

المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية

الدوحة - محرم ١٤٠٠ هـ

إقتباس النظام العسكري

في عهد النبي صلى الله عليه وسلم

من تأليف

اللواء الركن : محمود شيت خطاب

اللواء الركن : محمد جمال الدين علي محفوظ

الشيخ عبد اللطيف زايد

عني بنشره وطبعه خادم العلم

عبد الله بن إبراهيم الأنصاري

مدير الشئون الدينية

طبع على نفقة

صاحب السمو الشيخ حمد بن خليفة بن حمد آل ثاني ولي العهد ووزير الدفاع

دولة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين ، الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة ، ونصح الأُمّة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته ، ومن اقتدى بسنته وسار على دربه إلى يوم الدين .

وبعـــد :

فإن من فضل الله تعالى علينا ، أن وفقنا إلى القيام بـأعباءِ العمل على عقد المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية بالدوحة عاصمة دولة قطر في الخامس من محرم الحرام سنة ١٤٠٠ هـ ، هذا المؤتمر الذي ضم نخبة من خيرة المفكرين المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها ، أدلوا فيه ما نهلوه من علوم الإسلامَ الشريفة ، فكان ما قدموه ذخيرة طيبة من تراثنا الحضاري الذي نعتز به على مدى الأيام ، كما تعتز به الأجيال القادمة حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وقد كان الجانب العسكري من أهم الجوانب التي

بحثت في المؤتمر أَثناء انعقاده ، وفيه قدّم ثلاثة من الأَخوة المفكرين ثلاثة أَبحاث ، هي :

١ ـ جيش النبي ـ صلى الله عليه وسلم .

للواءِ الركن (محمود شيت خطاب)

٢ ـ الجانب العسكري من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم

للواءِ الركن (محمد جمال الدين علي محفوظ)

٣ ـ الجانب العسكري في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم

للشيخ عبد اللطيف زايد .

وقد أَجادوا جميعاً فيما بحثوا فيه ، وقدموا علماً نافعاً يمكن أَن يكون أَساساً لبدءِ انطلاقة هذه الأُمّة إلى ركن الجهاد الذي تخلت عنه هذه الأَيام ، فجزاهم الله كل خير .

وقد قمنا بعرض فكرة طباعة (الأَبحاث العسكرية) على حضرة صاحب السمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ، ولي العهد ووزير الدفاع بدولة قطر ، فرحب كعادته بطباعتها على نفقته الخاصة لتكون إحدى لبنات بناءِ الاستراتيجية

العسكرية الإسلامية بالمكتبة العربية في عصرها الحديث ، فجزى الله ولي العهد كل خير على ما أنفق ، وجزى الله الباحثين على ما قدموا ، ووفقنا جميعاً إلى إبراز تراثنا الحضاري في شتى الميادين ، خصوصاً النواحي العسكرية الإسلامية التي كدنا ننساها هذه الأيام .

ونفع الله بهذا الكتاب شبابنا الذي نرجو الله له أن يشب على طاعته ، ومعرفة ميادين الجهاد ، والتربية النبيلة التي تؤهله إلى الخير والسعادة .

والله ولي التوفيق وهو من وراء القصد وهو مولانا فنعم المولى ونعم النصير ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

خادم العلم

عبد الله بن إبراهيم الأنصاري

رئيس المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية

البحث الاول :



تاريخ

جيش النبيّ صلى الله عليه وسلم

بحث مقدم من :

اللواء الركن : محمود شيت خطاب



العسكرية الإسلامية

تاريخ
جيش النبيّ صلى الله عليه وسلم

تتلخص سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وحياته المباركة في :

التوحيد والجهاد .

لقد وحد النبي صلى الله عليه وسلم منذ مبعثة في مكة المكرمة الى هجرته إلى المدينة المنورة من أجل الجهاد : وحد الأفكار بالتوحيد ، ووحد الصفوف بالتوحيد ، ووحد الأهداف بالتوحيد ، وجمع الشمل بالتوحيد وبني الانسان بالتوحيد ، وأزال نعرات الجاهلية بالتوحيد ، وغرس التضحية والفداء بالتوحيد ، وجعل المسلمين كافة كالبناء المرصوص بالتوحيد .

لقد كانت حياته المباركة في مكة المكرمة عبارة عن توحيد من أجل الجهاد . وجاهد النبي صلى الله عليه وسلم منذ هجرته إلى المدينة المنورة من مكة المكرمة إلى أن التحق بالرفيق الأعلى من أجل التوحيد ، فكان جهاده لتبليغ الدعوة إلى الناس كافة ، ولتكون كلمة الله هي العليا في الأرض .

وكانت همته العالية منصرفة بكل طاقاتها المادية والمعنوية ، بتأييد من الله وتوفيقه ، إلى غاية سامية واضحة المعالم هي : (بناء الانسان المسلم) ، ليكون قدوة للآخرين في السلم والحرب ، أخلاقا وسلوكا ، ومعاملة ومنهجا ، وأسلوبا للحياة الدنيا والآخرة معا .

وكان سبيله إلى : بناء الانسان المسلم ، هو التوحيد من أجل الجهاد ، والجهاد من أجل التوحيد .

بالتوحيد ، أشاع الانسجام الفكري لأول مرة بين المسلمين في التاريخ ، وهذا الانسجام جعل التعاون الوثيق بينهم ممكنا . اذ لا تعاون وثيقا مؤثرا بدون انسجام فكرى يذيب الاختلافات ويقضي على النزعات ويحمي من الأهواء .

كما أن هذا الانسجام جعل الجهاد ممكنا أيضا ، يقود إلى النصر ويؤدي الى الظفر ، اذ أن التعاون الوثيق والجهاد المقدس الذي تستثيره العقيدة الراسخة الواحدة ، جعل من المسلمين قوة لا تقهر أبدا ، فوحد الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام في أيامه شبه الجزيرة العربية كلها تحت لواء الاسلام ، ولا نعرف لها وحدة بأي شكل من الأشكال وبأية صورة من الصور قبله أبدا ، فكان جيش النبي صلى الله عليه وسلم الذي أنشأه وأرسى دعائمه خلال عشر سنوات من عمره المبارك ، هو الذي حمل رايات المسلمين شرقا وغربا من بعده ، وتحمل أعباء الفتح الاسلامى العظيم الذى شمل خلال تسع وثمانين عاما (١١هـ ـ ١٠٠هـ) من الصين شرقا إلى قلب فرنسا غربا ، ومن سيبيريا شمالا إلى المحيط جنوبا ، فكان هذا

الممالك العربية
عند ظهور الاسلام

البحر الابيض
تدمر
بطراء
القادسية
مؤتة
بصرى
تبوك
المدائن
الحيرة
الكوفة
لخم
الابلة
البصرة
الخليج الفارسي
طي
تيماء
نجد
خيبر
المدينة
أحد
بئر بدر
هوازن
كندة
سليم
مكة
هذيل
اليمامة
عمان
اليمن
مأرب
صنعاء
حضرموت
بحر العرب
البحر الاحمر



الفتح فتحا مستداما ، لم ينحسر عن البلاد المفتوحة على الرغم من تقلبات الظروف وتطورات الزمن ، إلا عن الأندلس الذي انحسر عنها انحسارا سياسيا وعسكريا ، وبقي ثابتا راسخا فيها فكريا وثقافيا واجتماعيا حتى اليوم .

تنظيم الجيش الاسلامي

وتاريخ جيش النبي صلى الله عليه وسلم ، يبدأ من يوم مبعثه عليه الصلاة والسلام ، فقد عمل جاهدا في ميدان بناء الانسان المسلم ، الذي هو المجاهد المسلم قائدا وجنديا ، ولكن تاريخه في التطبيق العملي للجهاد عشر سنوات فقط بدأت في المدينة المنورة .

وحين هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة وأمر أصحابه بالهجرة إليها ، بدأ تنظيم الجيش الاسلامي وتسليحه وتجهيزه وقيادته (عمليا) جيشا نظاميا له كيان واحد ، وهدف واحد ، وفكر واحد ، وقيادة واحدة .

ومعنى الهجرة إلى المدينة المنورة ، من الناحية العسكرية ، هو حشد المجاهدين في قاعدة أمينة ، تمهيدا للنهوض بأعباء الجهاد .

وبادر النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة ، بعد استقراره في المدينة المنورة ، إلى اختيار مكان مناسب لبناء مسجده ، وبدأ ببنائه باللبن ، وشارك أصحابه في حمل اللبنات والأحجار على كواهلهم ، فتم للمسلمين بناء المسجد :

فراشه الرمل والحصى ، وسقفه الجريد ، وأعمدته الجذوع[1] .

وتم ببناء مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة ، بناء : الثكنة الأولى لجيش النبي صلى الله عليه وسلم ، والثكنة الأولى في الاسلام .

وفي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، أخذ بناء الأنسان المسلم يؤتي أكله مرتين : غير القادرين على الجهاد من أولاد المسلمين الصغار ليكونوا جيش المستقبل وجنود الفتح الاسلامي وقادته ، والقادرون على الجهاد من شباب المسلمين وكهولهم وشيوخهم أيضا ليكونوا جيش الحاضر والمستقبل وجنود الفتح الاسلامي وقادته ، والقادرون وغير القادرين على الجهاد من المسلمين يحقنون في المسجد النبوي الشريف بمصل الجهاد ماديا ومعنويا ، ليصبح الانسان المسلم مجاهدا من الطراز الأول بماله ونفسه في سبيل الله .

ولم يؤذن للمسلمين بالقتال وهو الجهاد الأصغر قبل الهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ، وبالرغم مما تحملوه من تعذيب وتشريد وعناء واضطهاد . وفي مكة المكرمة اجتمع النبى صلى الله عليه وسلم بسبعين رجلا من

---

(١) أنظر التفاصيل في طبقات ابن سعد (١ / ٢٣٩ ـ ٣٤٠) وسيرة ابن هشام (١ / ١١٤) والطبرى (٢ / ١٠٩) والبداية والنهاية (٢ / ٢١٤) وابن خلدون (٢ / ٧٤٠ ـ ٧٤١) ومختصر تاريخ البشر (١ / ١٢٧) وعيون الأثر (١ / ١٩٥) وخلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (١٤٦) . ومختصر كتاب البلدان لابن الفقيه (٢٤) .

مسلمي المدينة المنورة ليلا في (العقبة) (١) في بيعة العقبة الثانية ، فاستمع أحد المشركين وهو يتجول بين مضارب الخيام ومنازل الحجيج ما دار في اجتماع (العقبة) من حديث بين النبي صلى الله عليه وسلم وأولئك المسلمين القادمين من المدينة المنورة ، فصرخ ينذر أهل مكة بأعلى صوته : « ان محمدا والصباء (٢) معه ، قد اجتمعوا على حربكم » .

ولم يكترث مسلمو المدينة من أهل العقبة الثانية بانكشاف أمرهم ، بل أرادوا مهاجمة المشركين من قريش وغيرهم بأسيافهم ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بالتفرق والعودة إلى رحالهم ، إذ لم يأذن الله لهم بعد بالقتال (٣) .

وبعد الهجرة الى المدينة المنورة ، نزلت أول آية من آيات القتال :

(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا : ربنا الله) (٤) . فخرج الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام غازيا في شهر « صفر » على رأس إثنى عشر شهرا

---

(١) العقبة : الجبل الطويل يعرض للطريق فيأخذ فيه ، وهو طويل صعب الى صعود الجبل . وأما العقبة التى بويع فيها النبى صلى الله عليه وسلم ، فهى عقبة بين (منى) ومكة ، وبين مكة نحو ميلين ، وعندها مسجد ومنها ترمى جمرة العقبة انظر التفاصيل فى معجم البلدان (٦ /١٩٢ ـ ١٩٣) والمشترك وضعا والمتفق ضعفا (٣١١) .

(٢) الصباء : جمع صابئ ، وصبأ الرجل ترك دينه ، وكان المشركون يقولون لمن أسلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم : الصابى .

(٣) انظر التفاصيل فى سيرة بن هشام (٢ /٥٤ ـ ٥٧) .

(٤) الآيتان الكريمتان من سورة الحج (٢٢ : ٣٩ ـ ٤٠) .

من مقدمه إلى المدينة المنورة ، وبذلك بدأ الجهاد الأصغر عمليا في الاسلام .[1]

بناء الانسان المسلم

لقد قضى النبي صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة سنة من عمره المبارك في مكة المكرمة وسنة واحدة في المدينة المنورة بعد هجرته إليها يعمل جاهدا في ميدان : بناء الانسان المسلم ، منفذا رسالة الله في مجال الجهاد الأكبر .

وقضى عشر سنوات في المدينة المنورة من عمره المبارك ، من بداية الجهاد الأصغر حتى التحق بالرفيق الأعلى منفذا رسالة الله في مجال الجهاد الأكبر وهو بناء الانسان المسلم ، وفي مجال الجهاد الأصغر ، وهو الجهاد فى سبيل الله بالأموال والأنفس لأعلاء كلمة الله .

وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم في الأربعين من عمره المبارك ، والتحق بالرفيق الأعلى عن ثلاث وستين سنة ، فكان نبيا ورسولا ، ومعلما ورائدا وقدوة واسوة ثلاثا وعشرين سنة ، وكان نبيا ورسولا ومعلما ورائدا ، وزعيما وقائدا عشر سنوات ، بلغ الرسالة وادى الأمانة ، خلال عمره المبارك من مبعثه إلى وفاته في مجالين حيويين : مجال الجهاد الأصغر ، ومجال الجهاد الأكبر ، فعلمنا أن الجهاد الأكبر هو الأصل ، ولكن هذا الجهاد لا يبلغ غايته ويحقق أهدافه ويصان ويحمى إلا بالجهاد الأصغر ، فلاحق بغير قوة ، ولا قوة بغير مجاهدين صادقين ، يجاهدون أنفسهم

---

(١) سيرة ابن هشام (٢ / ٢٢٣) والدور (١٠٤) وانظر كتابنا : الرسول القائد (٢٧ ــ ٢٨) .

أولا بالعقيدة الراسخة ، لينتصروا على أعداء الاسلام بالأنفس الطاهرة ذات الأخلاق المحاربة ، لا بضخامة العدد والعدد ؛ اذ لم ينتصر المسلمون على أعدائهم بالتفوق العددي والعددي في أيام النبي صلى الله عليه وسلم ولا في أيام الفتح الاسلامي العظيم ، بل انتصروا بتطبيق تعاليم الدين الحنيف نصا وروحا ، فلما بدلوا ما بأنفسهم وتغلبت عليهم نفوسهم الأمارة بالسوء ، واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير ، أصبحت انتصاراتهم هزائم ، ولم يفلحوا أبدا .

إن تاريخ جيش النبي صلى الله عليه وسلم ، بدأ من أول نزول الوحي على . . المصطفى عليه الصلاة والسلام ، فأعد جنوده وقادته بالتدريج (أفرادا) في مكة المكرمة ببناء الانسان المسلم ، فلما هاجر إلى المدينة المنورة وشيد مسجده فيها ، بدأت مرحلة جديدة من مراحل ذلك الجيش هي مرحلة تنظيم (الأفراد) قادة وجنودا ، استعدادا للجهاد الأصغر ، ولم تمض سنة كاملة على اكمال تشييد المسجد النبوي الشريف ، الا وأصبح جيش النبي صلى الله عليه وسلم متكامل التنظيم ، قليل العدد ولكنه كثير المدد ، في قاعدة أمينة هي المدينة المنورة ، يرتكز عليها في جهاده ، وينطلق منها لتحقيق أهدافه ، ويعود إليها من . . غزواته ، ويحشد فيها الرجال والمعدات .

المسجد مقر للقيادة

واتخذ النبي صلى الله عليه وسلم من مسجده النبوي الشريف مقرا للقيادة : يعد فيه الخطط العسكرية ، ويعقد

في رحابه مجالس الجهاد ، ويهيىء فيه المجاهدين الصادقين ، ويصدر فيه القرارات والأوامر والوصايا ، وينصت فيه إلى آراء أصحابه ، لأن أمرهم بينهم شورى .

وكان يحشد أصحابه في المسجد ، ليشحنهم بطاقات مادية ومعنوية لا ينضب معينها ، ويحرض المؤمنين على القتال ، ويأمرهم بالثبات وينهاهم عن الفرار ، ويحذرهم الفرقة والنزاع ، ويأمرهم بالطاعة والنظام ، ويشيع فيهم المحبة والألفة والتآخي .

وكانت الغزوات والسرايا تنطلق من المسجد ، وتعقد الرايات والأعلام والبنود للمجاهدين في المسجد ، وتوزع فيه الأسلحة والمعدات . وكان أصحابه يجتمعون في المسجد حين يداهمهم الخطر ، ويعود المجاهدون من الغزوات والسرايا إلى المسجد ، وتضمد جروح المصابين في المسجد ، ويتعلم المسلمون أحكام الجهاد في المسجد .

والفرق بين الغزوات والسرايا ، أن الغزوات يقودها النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه ، والسرايا يقودها قادة النبي صلى الله عليه وسلم من أصحابه الغر الميامين .

أخرج الشيخان ــ واللفظ لمسلم ــ عن أنس رضي الله عنه ، قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أجود الناس وكان أشجع الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة ، فانطلق الناس قبل الصوت ، فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا وقد سبقهم إلى الصوت ، وهو على فرس لأبي طلحة رضي الله عنه ، يجري في عنقه السيف ، وهو يقول : لم تراعوا . . لم تراعوا . . » .

سبق النبي صلى الله عليه وسلم جماعة الاستطلاع إلى الصوت ، وكان الصحابة رضي الله عنهم قد تحشدوا في

المسجد انتظارا لأوامر الرسول القائد عليه الصلاة والسلام وتوجيهاته .

لقد كان المسجد في أيام النبي صلى الله عليه وسلم (مثابة) للمجاهدين . . قادة وجنودا ، والمثابة في المصطلحات العسكرية ، هي : مكان اجتماع القائد برجاله لاصدار الأوامر اليهم ومكان استلام الأوامر ، وكان المنادي ينادي حين يتعرض المسلمون لخطر داخلي أو خارجي : الصلاة جامعة . . الصلاة جامعة . . فيتقاطر المجاهدون الى المسجد زرافات ووحدانا تلبية للنداء ، عليهم السلاح كاملا ، ويجهز لهم من ورائهم الخيل والدواب والأبل أو يجهزونها لأنفسهم ويربطونها خارج المسجد ، وتعد لهم الأمتعة اللازمة والتجهيزات ، ليصاولوا العدو فورا ويقضوا على الخطر الداهم ، تنفيذا لخطة قائد واحد ، تحقيقا لغاية واحدة ، هي الدفاع عن الاسلام والمسلمين .

الرسول .. المثل والقدوة :

وقد استطاع النبي صلى الله عليه وسلم ، بناء الانسان المسلم على ثلاث دعائم : العقيدة الراسخة ، والقدوة الحسنة ، واختيار الرجل المناسب للعمل المناسب .

أما العقيدة الاسلامية ، فهي عقيدة منشئة بناءة ، صالحة لكل زمان ومكان ، لأنها تهتم بالمادة اهتمامها بالروح ، وتعنى بالحياة الدنيا عنايتها بالدار الآخرة ، وتغرس الضبط والنظام في القلوب والنفوس معا ، وتلتزم بالخلق الكريم والمعاملة الحسنة والمثل العليا الأخرى ، وتأمر بالشجاعة والثبات ، وتنهى عن الجبن والفرار .

أما القدوة الحسنة ، فقد كان خلق النبي صلى الله عليه وسلم القرآن ، وكان تعاليم الاسلام تمشي على الارض بشرا سويا ، لا يأمر بشيء إلا طبقه على نفسه أقــوى ما يكون التطبيق ، ولا ينهى عن شئ إلا ابتعد عنه أشد البعد ، وكان مثالا عاليا للشجاعة والأقدام ، وكان كالقمة العالية في عمله ومعاملته بالنسبة لأصحابه وكلهم قمم عالية ، وكان يؤثر رجاله بالخير والأمن ويستأثر دونهم بالخطر والمشقة ، وكان مثالا شخصيا لأصحابه في كل عمل يبتغي به وجه الله والدار الآخرة ، فكان قرنه خير القرون ، لأن تأثيره المباشر في أصحابه كان عظيما .

أما اختياره الرجل المناسب للعمل المناسب ، فقد كان مثالا رائعا حقا في الالتزام بالعمل الصالح والايمان العميق والخدمة المثمرة والكفاية العالية والماضي الناصع في اختيار قادته وعماله وقضاته وجباته .

وكل من قرأ سير عظماء الأمم في مختلف العصور ، وفكر كثيرا في طرق اختيارهم للذين يوكلون اليهم المناصب العامة ، لا يمكن ان يجدوهم شيئا مذكورا بالنسبة لاسلوب النبي صلى الله عليه وسلم في اختيار الذين يوكل اليهم المناصب العامة عسكرية أو مدنية .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ولي من أمر المسلمين شيئا ، فولى رجلا وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه ، فقد خان الله ورسوله » وفي رواية: « من قلد رجلا عملا على عصابة (١) وهو يجد فى تلك العصابة أرضى منه ، فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين » رواه الحاكم في صحيحه .

---

(١) السياسة الشرعية للامام ابن تيمية (١٠) .

لقد دلت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن الولاية أمانة يجب أداؤها . قال لأبي ذر الغفاري رضي الله عنه في الامارة : « انها أمانة وانها يوم القيامة خزي وندامة ، الا من أخذها بحقها ، وأدى الذي عليه فيها » رواه مسلم .(1)

وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه : « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اذا ضيعت الأمانة ، انتظر الساعة ، قيل يا رسول الله وما إضاعتها ؟ ! قال : اذا وسد (2) الأمر الى غير أهله ، فانتظر الساعة (3) ! !

لم يكن عليه الصلاة والسلام يقدم رجلا على رجل إلا بالحق ، وكان يختار الرجل المناسب للعمل الذي يناسبه ، فولى قيادة الجيش صاحب الطبع الموهوب والعلم . . المكتسب والخبرة العملية ، لذلك انتصر قادته في السرايا التي تولوا قيادتها في حياته المباركة ، فلما رحل إلى لقاء الله ، أصبح قادته أبرز قادة الفتح الاسلامي لأنهم من خريجي مدرسته في اختيار الرجال .

قال ابن تيمية رضي الله عنه في حق السلطان الذي يخالف عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم في اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب : فان عدل عن الأحق الأصلح إلى غيره ، لأجل قرابة بينهما ، أو ولاء عتاقة أو صداقة ، أو موافقة في بلد أو مذهب أو طريقة أو جنس ، كالعربية والفارسية والتركية والرومية ، أو لرشوة يأخذها منه من

---

(١) السياسة الشرعية (١٣) .
(٢) وسد الأمر الى فلان : أسند اليه القيام بتصريفه .
(٣) السياسة الشرعية (١٣) .

مال أو منفعة ، أو غير ذلك من الأسباب ، أو لضغن (١٢) في قلبه .

على الأحق ، أو عداوة بينهما ، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين ، ودخل فيما نهي عنه في قوله تعالى : (يأيها الذين آمنوا ، لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) (١٣) ثم قال : (واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة ، وأن الله عنده أجر عظيم) (٢) .

فان الرجل لحبه لولده ، أو لعتيقه ، قد يؤثره (٣) في بعض الولايات ، أو يعطيه مالا يستحقه ، فيكون قد خان أمانته ، وكذلك قد يؤثره زيادة في ماله أو حفظه ، بأخذ مالا يستحقه ، أو محاباة من يداهنه (٤) في بعض الولايات فيكون قد خان الله ورسوله ، وخان أمانته . (١٧) .

لقد ولى النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد قيادة الصحابة بعد إسلام خالد مباشرة . (١٨) .

وما يقال عن خالد بن الوليد يقال عن عمرو بن العاص ، فقد ولاه قيادة الصحابة بعد إسلام عمرو مباشرة . (١٩) .

وقال عنهما لأصحابه الذين كانوا من حوله : « ألقت اليكم مكة أفلاذ كبدها » (٢٠) .

---

(١) ضغن حقد .

(٢) الآية الكريمة من سورة الأنفال (٨ ـ ٢٧) .

(٣) الآية الكريمة من سورة الأنفال (٨ ـ ٢٨) .

(٤) يؤثره يفضله ويقدمه .

(١٦) المداهنة : المصانعة والمواربة .

(١٧) السياسة الشرعية (١١) .

(١٨) أسد الغابة (٣ / ٣٨٢) والاستيعاب (٧ / ١٠٣٤) .

(١٩) أسد الغابة (٣ / ٣٨٢) والاستيعاب (٧ / ١٠٣٤) .

(٢٠) أسد الغابة (٣ / ٣٨٢) والاستيعاب (٧ / ١٠٣٤) .



إنتشار الإسلام
في
عهد النبي صلى الله عليه وسلم
البحر الأبيض
حلب
حماه
حمص
دمشق
بصرى
مؤته
القدس
معان
أيله
تبوك
المدائن
الأهواز
القادسية
البصرة
دومة
الجندل
خيبر
تميم
خليج فارس
اليمامة
ضمار
عمان
المدينة
ينبع
ثقيف
بدر
مكة
الطائف
جشم
الاحقاف
نجران
حضرموت
اليمن
الحديدة
البحر العربي
بلاد الحبشة



وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه غنيا ، فأفاد المسلمون من ثرائه ، ولم نسمع (٢١) أن الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام كلف عثمان بمنازلة الأقران يوم الطعان .

وكان حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه شاعرا مجيدا ، فاستفاد المسلمون من قابليته الشعرية ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجعله مع النساء عندما يتوجه للجهاد .

وكان كثير من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يعدون من أشجع الشجعان ، ولكنهم بقوا جنودا في جيش المسلمين ، ولم يتولوا مناصب قيادية ، لأنهم كانوا جنودا في جيش المسلمين ، ولم يتولوا مناصب قيادية ، لأنهم كانوا جنودا متميزين ، ولم يكونوا قادة متميزين .

وكان من بين أصحابه من يحسن القراءة والكتابة ، فجعلهم كتابا للوحي ومحررين لرسائله إلى الملوك والأمراء .

وكان من بينهم اداريون ودعاة وجباة وقضاة ، فولى كل واحد منهم ما يناسب قابليته وكفاياته .

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرف حق المعرفة كل مزايا أصحابه ، فيفيد من تلك المزايا ويبرزها للعيان ، ويشجع أصحابها ويثني عليهم أطيب الثناء .

ولكنه في الوقت نفسه ، يغض الطرف عن النواقص ويتستر عليها ويبذل جهده لاصلاحها ، ولا يذكرها بل يذكر المزايا حسب ، ويأمر أصحابه بذكر مزايا أخوانهم حسب أيضا .

---

(٢١) سنن النسائى (٢ / ١٢٤) ، وانظر حاشية السند على هامش سنن النسائى (٣ / ١٣٤) .

واستفادته عليه الصلاة والسلام من كل مزية لكل مسلم ، واستقطاب تلك المزايا لبناء المجتمع الاسلامي الجديد ، فلا يضع لبنة الا في مكانها اللائق بها والمناسب لها ، جعل هذا البناء يرتفع ويتعالى سليما مرصوصا يشد بعضه بعضا .

وكان ذلك سببا من أهم أسباب أنتصار النبي صلى الله عليه وسلم عسكريا وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا ، وفي أيام الحرب وأيام السلام .

فلما التحق عليه الصلاة والسلام بالرفيق الأعلى ، خلف بين المسلمين عددا لا يكاد يعد ولا يحصى من القادة والأمراء والولاة والجباة والعلماء والفقهاء والمحدثين ، قادوا الأمة الاسلامية عسكريا وسياسيا واداريا وماليا وإجتماعيا ، وفكريا إلى المجد والسؤدد والخير ، وإلى الفتح والنصر والتوفيق ، والى طريق الحق وسبيل الرشاد .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم « أصحابي كالنجوم فبأيهم اقتديتم أهتديتم (٢٢) . فهؤلاء هم القادة الرواد ، من خريجي مدرسة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام .

لقد نسي النبي صلى الله عليه وسلم نفسه ، وركز على تفكيره عملا دائبا لمصلحة المسلمين .

نسي مصلحته الخاصة ، وانصرف إلى مصلحة المسلمين العامة ، لذلك . . استطاع تخريج القمم السامقة من مختلف القابليات والكفايات لمختلف المناصب والواجبات .

---

(٢٢) رواه البيهقي في السنن ، انظر مختصر الجامع الصغير للمناوي ـ مصطفى محمد عمارة ـ (١ / ٣٨٩) .

دعامات البناء :

استطاع بالدعامة الأولى : العقيدة الراسخة ، أن يجعل من ضمير الفرد رقيبا عتيدا عليه ، يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر ، وأن يجعل من المجتمع الاسلامي اخوة متحابين في الله : (إنما المؤمنون إخوة) (٢٣)

واستطاع بالدعامة الثانية : القدوة الحسنة ، أن يجعل من الفرد المسلم مؤمنا بأن العقيدة الاسلامية قابلة التطبيق عمليا ، وأن مالا يمكن أن يكون ، يمكن فعلا أن يكون ، وأن يجعل المجتمع الاسلامي مؤمنا بأنه المجتمع المثالي الذى يؤمن بعقيدة مثالية جاءت لمصلحة المؤمنين والناس جميعا : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا ، لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا) (٢٤) .

واستطاع بالدعامة الثالثة : اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب ، أن يجعل الفرد المسلم يعتمد على قدرته وكفايته وايمانه للتقدم لا على حسبه ونسبه وانحرافه عن مبادئه ، ويجعل المجتمع الاسلامى يثق بعدل القيادة وترفعها عن التحيز والأهواء .

هكذا أعد الرسول القائد الفرد المسلم ، وكل فرد مسلم جندي مجاهد في جيش المسلمين ، مؤمنا بعقيدته الراسخة ، واثقا بقيادته الأمينة ، لا يخشى على مستقبله الظلم والانحراف ، مطمئنا على حاضره غاية الاطمئنان .

وهؤلاء الأفراد يؤلفون المجتمع الاسلامي ، وهو جيش المسلمين المجاهدين في سبيل إعلاء كلمة الله ، يشيع فيه

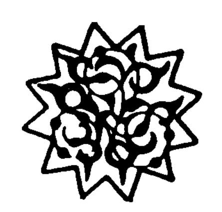
---

(٢٣) الآية الكريمة من سورة الحجرات (٤٩ : ١٠) .

(٢٤) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ١٤٣) .

الانسجام الفكري بالعقيدة الراسخة ، يثق بقادته ، ويتولى أمره الزبدة المختارة من أبنائه من أصحاب الكفايات العالية والقابليات المتميزة والايمان العميق والماضي المجيد .

هذا المجتمع الذي يدافع عن عقيدته ويحملها إلى الناس كافة لا يحملهم عليها ، ويدافع عن أرضه وعرضه – ولا أقول عن أعراضه ، لأن عرض كل مسلم عرض المسلمين جميعاً ، كل أفراده يتساوون بالحقوق والواجبات ، يسعى بزمتهم أدناهم ، وهم قوة على سواهم ، ليس بينهم تميز طبقي ولا عرقي ، وهو جيش النبي صلى الله عليه وسلم ، ومثل هذا الجيش لا يقهر أبداً ولا يتقهقر أبداً .



وجيش المسلمين الأول في تاريخه ، يتلخص بأربعة أدوار ، تدرج بها من الضعف إلى القوة ، ومن الدفاع إلى الهجوم ، فأصبح بالتدريج قوة ضاربة ذات عقيدة راسخة ومعنويات عالية ، تعمل تحت قيادة واحدة ، لتحقيق غاية واحدة . .

وهذه الأدوار الأربعة هي بحسب تسلسلها الزمني وتطورها التدريجي :

الدور الأول هو دور الحشد :

من بعثته صلى الله عليه وسلم سنة (٦١٠م) ، إلى هجرته من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة سنة (٦٢٢م) واستقراره هناك .

وفي هذا الدور ، اقتصر النبي صلى الله عليه وسلم على الدعوة ونشرها يبشر وينذر ، ويرسخ العقيدة ، ويجاهد بكل طاقاته لتبليغ الدعوة ونشر الاسلام .

وبهذا الجهاد الأكبر ، كون الخمـــيرة الأولى لجيش المسلمين ، ثم حشدهم في المدينة المنورة بالهجرة إليها ، فكانت المدينة هى القاعدة الأمنية الأولى لجيش المسلمين .

والدور الثانى ، هو دور الدفاع عن العقيدة :

وقد اقتصر في السنة الأولى من الهجرة ، على تنظيم الجيش الاسلامى واعداده للجهاد .

وبدأ النبي صلى الله عليه وسلم ـ بعد نزول آية الاذن بالجهاد الأصغر : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله . . .) (٢٥) ـ يرسل السرايا بقيادة القادة من أصحابه ، وقاد بنفسه الغزوات ، وانتهى هذا الدور ـ دور الدفاع عن العقيدة ـ بانسحاب الأحزاب عن المدينة المنورة بعد (غزوة الخندق) في شوال من السنة الخامسة الهجرية (٢٦) ، وقيل في ذي القعدة سنة خمس الهجرية (٢٧) . . . ومعنى هذا ، أن هذا الدور استمر أربع سنوات تقريبا .

مولد الجيش الاسلامي

وفي هذا الدور كان مولد الجيش ـ تنظيميا ـ مولد الجيش الاسلامي ـ جيشا مجاهدا في ظل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، فازداد تعداد المسلمين وأحرزوا انتصارا حاسما في غزوة بدر الكبرى في رمضان المبارك من السنة الثانية الهجرية (٢٨) ، وأثبت جدارته في الدفاع عن العقيدة الاسلامية ، وعن الدعوة الاسلامية ، وعن حرية

---

(٢٥) الآيتان الكريمتان من سورة الحج (٢٢ : ٣٩ ـ ٤٠) .
(٢٦) الدرر (١٧٩) وعيون الاثر (٢/٥٥) .
(٢٧) طبقات ابن سعد (٢/٦٥) والمغازي للواقدي (٢/٤٤٠) .
(٢٨) سيرة ابن هشام (٢/٢٦٦) وطبقات ابن سعد (٢/١٢) والدرر (١١٠) . . والمغازي (١/٢) ، (١/٢١) وعيون الاثر (١/٢٤٥) .

انتشارها بين الناس ، تجاه أعداء المسلمين من المشركين والمنافقين ويهود ، المتفوقين على المسلمين عددا وعددا .

وفي هذا الدور اجتاز الجيش الاسلامي الوليد وقتا عصيبا بنجاح باهر وانتصارات حاسمة ، وصفه الرسول القائد ، عليه أفضل الصلاة والسلام ، قبل خوض غزوة بدر الكبرى بقوله وهو يناجي ربه : « اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم فلا تعبد [٢٩] » . ــ مشيرا الى موقف المسلمين العصيب ــ ولكنه قال عليه الصلاة والسلام بعد انسحاب الأحزاب من غزوة الخندق : « الآن نغزوهم ولا يغزوننا ، نحن نسير اليهم [٣٠] » . مشيرا الى تحسن موقف المسلمين من حال الخطر المحدق إلى حال القوة والمنعة .

والدور الثالث ، هو دور التعرض :

من بعد غزوة الخندق إلى غزوة حنين [٣١] التى كانت في شهر شوال من السنة الثامنة الهجرية [٣٢] :

وفي هذا الدور ، انتشر الاسلام في شبه الجزيرة العربية كلها ، وأصبح جيش المسلمين قوة ضاربة ذات اعتبار ووزن وأثر في البلاد العربية ، واستطاع سحق كل قوة باغية من المشركين ويهود تعرضت للمسلمين .

---

(٢٩) سيرة ابن هشام (٢/٢٦٧) وعيون الاثر (١/٢٥٥) .

(٣٠) عيون الاثر (٢/٦٦) .

(٣١) حنين واد قبل الطائف ، بينه وبين مكة ثلاث ليال ، انظر التفاصيل فى معجم البلدان (٣/٣٥٤) .

(٣٢) طبقات ابن سعد (٢/١٤٩) والمغازي للواقدى (١/٦) وجوامع السيرة (٢٤١) .

والدور الرابع هو دور التكامل ـ من غزوة (حنين) إلى أن التحق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى ، في يوم الاثنين من شهر ربيع الاول من سنة إحدى عشرة الهجرية (٣٣) ـ

وفي هذا الدور تكاملت قوات المسلمين ، فسيطرت على شبه الجزيرة العربية سيطرة تامة بدون منازع ، ووحدتها توحيدا كاملا لأول مرة في تاريخها تحت لواء الاسلام .

ثم أخذت هذه القوة تحاول أن تجد لها متنفسا في خارج شبه الجزيرة العربية ، فكانت غزوة تبوك (٣٤) التي كانت في شهر رجب من السنة التاسعة الهجرية (٣٥) ايذانا بمولد الدولة الاسلامية (٣٦)

قدرة نادرة

ولست بحاجة إلى اثبات قابلية النبي صلى الله عليه وسلم القيادية وكفايته العسكرية (٣٧) ، وصدق الله العظيم :

---

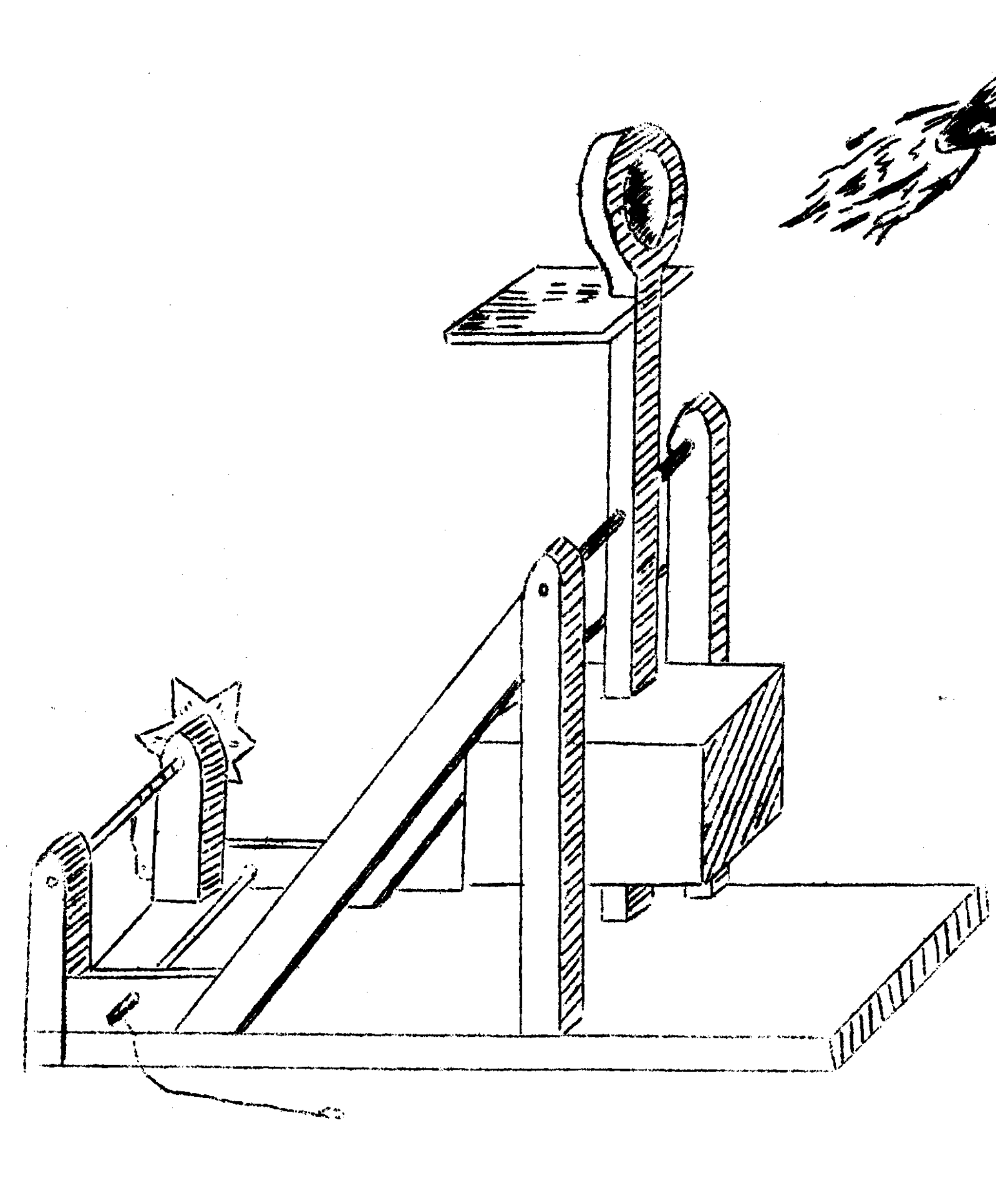
(٣٣) طبقات ابن سعد (٢/٢٧٢) وسيرة ابن هشام (٤/٣٣٢) والدرر (٢٨٧) .

(٣٤) تبوك : موضع بين وادي القرى والشام ، وهو حصن فيه عين ونخل ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٣٦٥) .

(٣٥) طبقات ابن سعد (٢/١٦٥) والدرر (٢٥٣) .

(٣٦) انظر كتابنا الفاروق القائد (٢٨/٢٩) .

(٣٧) انظر كتاب السبيل الى القيادة للمشير مونتكومري (١٧ ، ٢٨٢) وكتاب : المئة الأوائل للدكتور / مايكل هارث الذي اختار النبى صلى الله عليه وسلم ليكون الأول فى أهم رجال التاريخ .



منـجنيق لـرميّ النفط



(الله أعلم حيث يجعل رسالته) (٣٨) ، فقد كانت قابلياته وكفاياته القيادية والعسكرية وغيرها فذة نادرة لا تتكرر أبدا (٣٩) .

فقد قاد النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه سبعا وعشرين غزوة (٤٠) ، وفي رواية أخرى أنه قاد بنفسه خمسا وعشرين غزوة (٤١) .

ولكنني بمقارنة تعداد الغزوات وتوقيتها في المراجع المعتمدة للسيرة النبوية المطهرة والمغـازي والتاريـخ ، وإحصاء الغزوات التي قادها النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وجدت أن عدد الغزوات التي قادها بنفسه هي ثمان وعشرون غزوة ، ويبدو إن قسما من المصادر أغفلت غزوة من الغزوات سهوا ، وقسما منها أغفلت أكثر من غزوة واحدة ، ولكن تعداد الغزوات التي اعتمدتها وردت في أكثر من مصدر معتمد ، فآثرت اثباتها منسقة مبسطة ، لعل فيها فائدة للمعنيين بالدراسات العسكرية الاسلامية (٤٢) .

وكان ما قاتل فيه من المغازى تسع غزوات : بدر ، وأحد ، والمريسع والخندق ، وقريظة ، وخيبر ، وفتح مكة ، وحنين ، والطائف (٤٣) بينما فر المشركون في تسع عشرة غزوة

---

(٣٨) الآية الكريمة من سورة الأنعام (٦/ ١٢٤) .
(٣٩) انظر التفاصيل في كتابنا الرسول القائد (٤٢١ / ٤٨٠) .
(٤٠) طبقات ابن سعد (٢/ ٥) والمغازي للواقدى (١/ ٧) وعيون الاثر (١/ ٢٢٣) .
(٤١) جوامع السيرة (١٦) .
(٤٢) انظر التفاصيل في كتابنا : الرسول القائد (٤١٢ ـ ٤١٨) ، ولم يدرج قسم من كتاب مصادر الغزوات غزوة بني قينقاع مع غزواته عليه الصلاة والسلام ، انظر مثلا سيرة ابن هشام (٤/ ٢٨٠) .
(٤٣) طبقات ابن سعد (٢/ ٥ ـ ٦) وعيون الاثر (١/ ٢٢٣) وجوامع السيرة (١٧/ ٢١) .

من غزوات النبي صلى الله عليه وسلم بدون قتال (٤٤) .
وكانت سراياه التي بعث بها سبعا وأربعين سرية (٤٥) وفي رواية أنه بعث عددا أكثر من السرايا ، والأول أصح .
وقد قاد عليه الصلاة والسلام غزواته خلال سبع سنين من بعد هجرته من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ، فقد خرج إلى غزوة (ودان) (٤٦) وهي أول غزوة قادها بنفسه في شهر صفر من السنة الثانية الهجرية (٤٧) وكانت غزوة تبوك آخر غزواته في شهر رجب من السنة التاسعة الهجرية ، وكان من ثمرات تلك الغزوات توحيد شبه الجزيرة العربية تحت لواء الاسلام .

الرسول قائد ماهر

وبدأ الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام يخطط للفتح الاسلامي العظيم ، فهو الذي رسم الخطة التمهيدية التى حملت جيش المسلمين على فتح (ارض الشام) (٤٨) ـ

---

(٤٤) انظر كتابنا الرسول القائد (٤٢٤) .ظ

(٤٥) سيرة ابن هشام (٤/ ٢٨٠) وطبقات ابن سعد (٢/ ٥) وعيون الاثر (٢٢٣) وجوامع السيرة (١٧/ ٢١) .

(٤٦) ودان قرية قريبة من الجحفة ، وهناك ودان بين الابواء والجحفة ، وهي من الجحفة على مرحلة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/ ٤٠٥) .

(٤٧) المغازي للواقدى (١/ ٢) وطبقات ابن سعد (٢/ ٨) والدرر (١٠٣) وعيون الاثر (١/ ٢٢٤) .

(٤٨) أرض الشام حدودها من الغرب بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) ومن الشرق البادية من (أبلة) الى الفرات الى حد الروم ، ومن الشمال بلاد الروم (تركيا) ومن الجنوب حد مصر وتيه بني اسرائيل ، راجع التفاصيل في المسالك والممالك للاصطخرى (٤٣) ومعجم البلدان (٥/ ٢١٩) .

فلسطين والأردن وسورية ولبنان ـ وتأسيس أول ركن لدولة الاسلام خارج شبه الجزيرة العربية على شواطئ البحر الأبيض المتوسط الشرقية .

ذلك أن الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام إلى جانب تبليغه الدعوة الاسلامية إلى قادة العالم في وقته ـ كسرى فارس ، وقيصر القسطنطينية ، وأمراء وقادة العراق وأرض الشام ومصر والخليج العربي واليمن والحبشة ـ كان قائدا ماهرا يقظا لا يغض الطرف عن أي مظهر عدواني قد يحط من شأن دعوته أو يعمل على النيل منها أو يضع العراقيل في طريق حرية انتشارها ، فلم يقف ساكنا أمام استشهاد رسوله الذي بعثه الى أمير الغساسنة في (بصرى) (٤٩) ، فأرسل في السنة الثامنة الهجرية (٦٢٩ م) أحد قادته المقربين اليه ، وهو زيد بن حارثة الكلبي على رأس حملة تعدادها ثلاثة آلاف رجل الى الحدود الشمالية الغربية من حدود بلاد العرب ، وهناك عند (مؤتة) (٥٠) ، الواقعة على حدود (البلقاء) (٥١) إلى الشرق من الطرف الجنوبي للبحر الميت ، التقى المسلمون بقوات الروم وحلفائهم (٥٢) الغساسنة .

---

(٤٩) بصرى : قصبة كورة (حوران) من أعمال دمشق انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٧٨/٢) .

(٥٠) مؤتة : قرية من قرى البلقاء على حدود الشام ووادي القرى ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٩/٨) .

(٥١) البلقاء : كورة من أعمال ووادي القرى قصبتها عمان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٧٦/٢) .

(٥٢) انظر تفاصيل سرية (مؤتة) في كتابنا : الرسول القائد (٢٩٥ ـ ٣٠٢) .

غزوة من نوع آخر

ومهما تكن الخاتمة التي لقيتها غزوة (مؤتة) ، فان نتائجها وآثارها كانت بعيدة المدى ، فبينما رأى الروم تلك الغزوة (غارة) من الغارات التي اعتاد البدو شنها بين حين وآخر ، كانت سرية زيد إلى « مؤتة » في الحقيقة غزوة من نوع آخر لم تقدر امبراطورية الروم أهميتها ، فهي حرب منظمة كانت لها مهمة جديدة خاصة ، جعلت المسلمين يتطلعون جديا لفتح أرض الشام .

وفي العام التالي ، أي في السنة التاسعة الهجرية (٦٣٠ م) ، قاد النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه غزوة (تبوك) ، فأظهر قوة المسلمين للروم المتربصين بهم ، ثم عاد إلى المدينة المنورة ، فكانت تلك الغزوة غزوة استطلاعية ، بالاضافة إلى تأثيرها المعنوي في الروم وحلفائهم الغساسنة .

وفي السنة الحادية عشرة الهجرية (٦٣٢ م) ، أعد النبي صلى الله عليه وسلم سرية بقيادة أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي [٥٣] (حب رسول الله وابن حبه) ، لمهاجمة الروم ، فولى وجوه المسلمين شطر قبلة عينها لهم وأهداف واضحة جلية شرحها لهم ، وأصدر إليهم أوامر حاسمة جازمة .

وهكذا وقف الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام بثاقب نظره على أن أشد الأخطار التى يمكن أن تحل ببلاد

---

(٥٣) انظر تفاصيل سيرته في كتابنا : قادة فتح الشام ومصر (٣٣ ــ ٥١) .

العرب ودعوته الاسلامية ، موطنها أرض الشام ؛ حيث الروم وعمالهم الغساسنة ، وقد أثبتت حوادث الفتح الاسلامي فيما بعد صدق هذه الاشارة ، فكان الروم أشد المحاربين عنادا [٥٤] .

تلك هي قصة جيش المسلمين الأول ، الذي أنشأه وسهر على رعايته ، ودربه وجهزه ونظمه ، وهيأ له القادة الحماة القادرين ، وأشاع فيه المعنويات العالية بالعقيدة الراسخة ، حتى أصبح جيشا لا يقهر من قلة ولا بكثرة ، حقق وحدة قوية ، وأنشأ أمة عظيمة ، وحمى عقيدة راسخة ، في حياة قائده ورائده ، ومؤسس بنيانه ، ومشيد أركانه ، ومرسخ إيمانه بقوة الله وعزته وارادته وهديه .

وقد نشأ هذا الجيش في المسجد ، وشب وترعرع في المسجد ، واستوى على ساقه في المسجد ، وتلقى تعاليمه في المسجد ، فقد جعل الله الأرض كلها مسجدا وطهورا .

وفي المدينة المنورة ، في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، انطلق جيش المجاهدين الأولين للدفاع عن الاسلام والمسلمين ، ثم انطلق لحماية الدعوة الاسلامية وحرية نشرها وتبليغها إلى الناس ، ثم اندفع لصيانة الكيان الاسلامي ، ثم تكفل بصيانة الدولة الاسلامية مكانة وأرضا وعرضا ، ثم نهض بأعباء حرب المرتدين وإعادة الوحدة إلى شبه الجزيرة العربية ، ثم تحمل إعباء الفتح الاسلامي العظيم أقوى ما يكون عزما وإرادة وتصميما ، فنقل المسلمون بهذا الفتح الأمم إلى الاسلام ، ولم ينقلوا به الاسلام إلى الامم .

---

(٥٤) الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم (٤١) .

بنيان قوي

لقد أسس بنيان هذا الجيش على تقوى من الله ورضوان ، لذلك أحرز انتصارات باهرة لا تزال أعجوبة من أعاجيب الدهر ، وحقق فتوحات فذة لا تزال باقية على الدهر ، وصدق الله العظيم : (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ، أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم ، والله لا يهدي القوم الظالمين) (٥٥) .

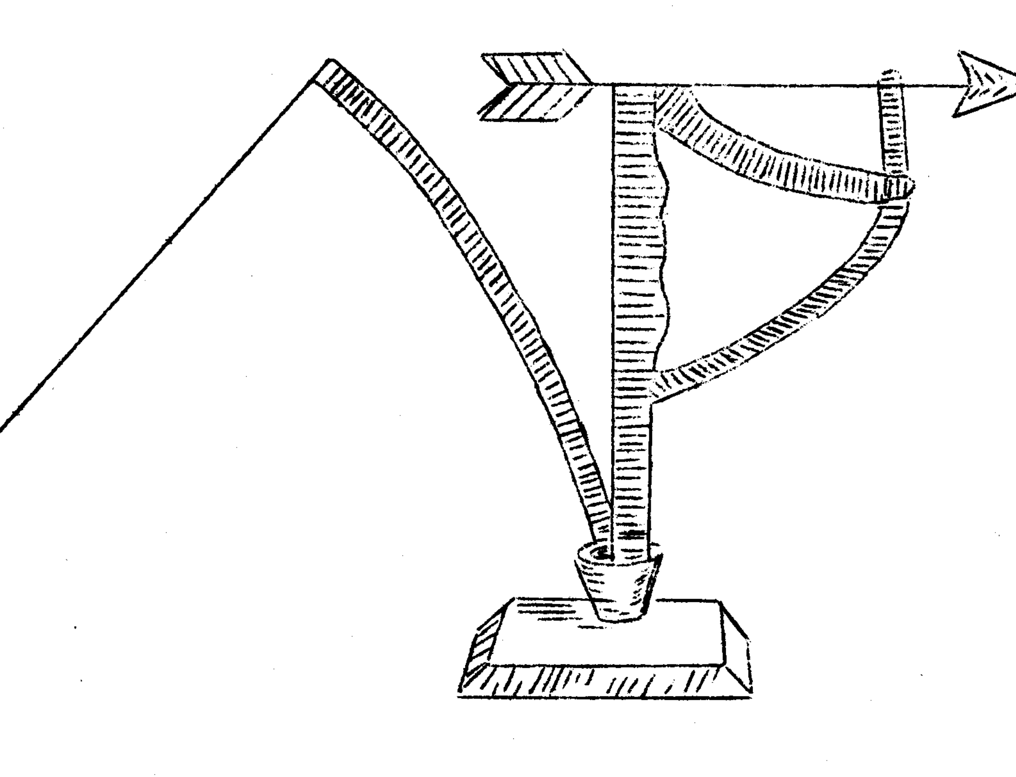
والدرس الذي يمكن أن نستخلصه من بناء الجيش الاسلامي الأول ، جيش النبي صلى الله عليه وسلم ، هو أن نبنى الجيوش العربية والاسلامية على أسس رصينة من تعاليم الدين الحنيف ، لتتحلى تلك الجيوش بالمعنويات العالية التي ترتكز على تلك التعاليم .

وأن نحسن لها اختيار القادة المؤمنين حقا ، من ذوي الطبع الموهوب والعلم المكتسب والتجربة العملية ، القادة الذين يؤثرون مصلحة أمتهم وبلدهم على مصالحهم الذاتية .

وأن نعد لها السلاح المتطور ، وندربها التدريب المتكامل ونهذبها التهذيب الناجع ، ونجهزها التجهيز المتميز ، وننظمها التنظيم الدقيق .

وأن نعيد للمسجد مكانته ليؤدي رسالته في غرس العقيدة الراسخة والمعنويات العالية ، فهو وحده يؤدي هذه الرسالة ، أما غيره من الأماكن فهي تؤدي رسالة من نوع

(٥٥) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩ : ١٠٩) .



منجنيق لرميّ السهام الثقيلة



آخر ، هي من مصلحة الأعداء لا من مصلحة الأصدقاء .

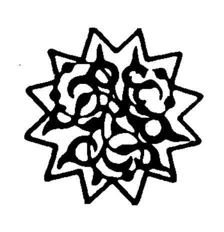
إن المسجد يكون في الأرض ، ولكن السماء تكون فيه . وكل مسجد هو معمل لتفريخ المجاهدين الصادقين ، والنوادي الترفيهية معامل لتفريخ التافهين والامعات والهتافة من إشباه الرجال .

والنفوس المؤمنة لا تتشبع بالماء الاسفنج ، بل تتشبع بروح المسجد وكل مسجد أسس على التقوى ثكنة لجيش المسلمين ومدرسة ، فمتى يعود المسلمون إلى المسجد ، ليستعيد مكانته ويؤدي رسالته ؟ !

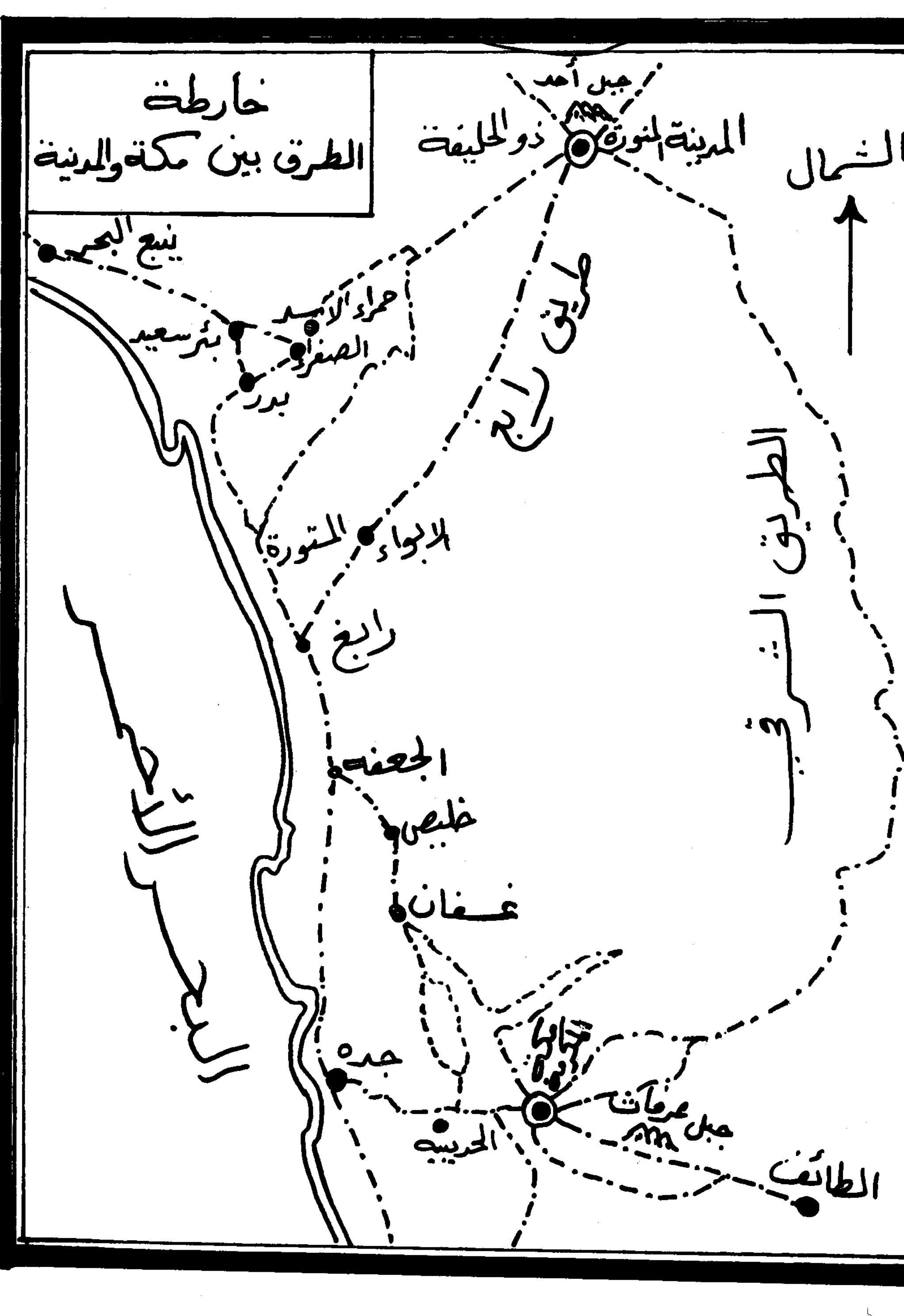
والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وصلى الله على إمام المجاهدين الصادقين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين .

والله أسأل أن يفيد بهذا البحث ، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . .






خارطة
الطرق بين مكة والمدينة
جبل أحد
المدينة المنورة
ذو الحليفة
الشمال
ينبع البحر
حمراء الأسد
بئر سعيد
الصفراء
بدر
طريق الهجرة
الطريق الشرقي
المستورة
الابواء
رابغ
الجحفة
خليص
عسفان
البحر الأحمر
جدة
الحديبية
جبل عرفات
الطائف

الغزوات التي قادها النبيّ صَلى الله عليه وسلم بنفسه

الملحق (أ)

اسم الغزوة	قوات الطرفين	
	المسلمون	أعداء المسلمين
ودان (الأَبواءِ)	٢٠٠ راكب وراجل	–
بواط بناحية رضوى	٢٠٠ راكب وراجل	١٠٠ راكب وراجل من قريش
العشيرة من بطن ينبع	٢٠٠ راكب وراجل	قوة من قربش وبني مدلج وبني ضمرة
بدر الأُولى	٢٠٠ راكب وراجل	قوة خفيفة بقيادة كرز بن جابر الفهري

المكان	التاريخ	مجمل النتائج
ودان	صفر من السنة الثانية الهجرية	تملصت قريش فحالف بني ضمرة
بواط	ربيع الأول من السنة الثانية الهجرية	لم يدرك قافلة قريش
العشيرة	جمادى الأولى السنة الثانية الهجرية	وادع بني مدلج وحلفاءهم بني ضمرة
بدر	جمادى الآخرة من السنة الثانية الهجرية	فر المشركون مما غنموه من المسلمين ولم يستطع المسلمون إدراكهم

الملحـــق (أ)

اسم الغزوة	قـوات الطـرفـين	
	المسلمـون	أعداء المسلمين
بدر الكبرى	٣١٥ معهم فرسان وسبعون بعيراً	٩٥٠ منهم ٢٠٠ راكب وهم من قريش
بنو قينقاع	مسلمو المدينة المنورة	بنو قينقاع من يهود
بنو سليم	٢٠٠ راكب وراجل	بنو سليم
السويق	قوة مطاردة خفيفة من المسلمين	٢٠٠ فارس من مشركي قريش
ذو أَمر	٤٥٠ بين راكب وراجل	بنو ثعلبة ومحارب

المكان	التاريخ	مجمل النتائج
بدر	رمضان من السنة الثانية الهجرية	انتصار المسلمين الحاسم على المشركين من قريش
المدينة المنورة	أوائل شوال من السنة الثانية الهجرية	تطهير داخل المدينة المنورة من يهود
قرقرة الكدر بين مكة والمدينة	أواخر شوال من السنة الثانية الهجرية	فرار بني سليم وتركوا أموالهم للمسلمين
قرقرة الكدر	ذو الحجة من السنة الثانية الهجرية	فرار مشركي قريش من مطاردة المسلمين
ذو أمر موضع في نجد	محرم من السنة الثانية الهجرية	فر بنو ثعلبة ومحارب وبقي المسلمون في دارهم نحو شهر

الملحق (أ)

اسم الغزوة	قوات الطرفين	
	المسلمون	أعداء المسلمين
بحران	٣٠٠ بين راكب وراجل	بنو سليم
أحد	٧٠٠ بينهم خمسون فارساً	٢٩٠٠ من قريش وحلفائها ومائة من بني ثقيف بينهم ٢٠٠ فارس
حمراءُ الأَسد	٦٣٠ راكب وراجل	٢٩٧٨ من قريش وحلفائها وثقيف
بنو النضير من يهود	مسلمو المدينة كافة	بنو النضير من يهود

المكان	التاريخ	مجمل النتائج
بحران على طريق المدينة مكة	ربيع الأول من السنة الثالثة الهجرية	فر بنو سليم فبقي المسلمون في ديارهم نحو شهر
جبل أُحد في ضواحي المدينة المنورة	شوال من السنة الثالثة الهجرية	استطاع المشركون تكبيد المسلمين سبعين شهيداً وكان انتصار المشركين انتصاراً تعبوياً
حمراءُ الأَسد بين المدينة ومكة	شوال من السنة الثالثة الهجرية	طارد المسلمون قريشاً وحلفاءها إلى حمراء الأَسد بعد انتهاءِ غزوة أُحد مباشرة ولكن المشركين انسحبوا
ضواحي المدينة المنورة	ربيع الأَول من السنة الرابعة الهجرية	إجلاءُ بني النضير عن ضواحي المدينة المنورة





الشمال
تبوك
تيماء
الحجر
(مدائن صالح)
خيبر
حرات خيبر
فدك
جبل أحد
المدينة المنورة
قباء
ذو القصد
حرة المدينة
ينبع البحر
بدر
الأبواء
رابغ
ذات عرق
خليص
عفان
جدة
مكة المكرمة
الحديبية
قرن المنازل
الطائف
البحر الأحمر
مواقع
بعض الغزوات

الملحــق (أ)

اسم الغزوة	قــوات الطــرفــين	
	المسلمــون	أعداء المسلمين
ذات الرقاع	٤٠٠ راكب وراجل	بنو ثعلبة ومحارب من غطفان
بدر الآخرة	نحو ألف راكب وراجل	٣٠٠ من مشركي قريش
دومة الجندل	ألف راكب وراجل	قبائل دومة الجندل
بنو المصطلق	ألف راكب وراجل	بنو المصطلق
الخنــدق	ثلاثة آلاف	عشرة آلاف من قريش وحلفائها عدا يهود المدينة

المكان	التاريخ	مجمل النتائج
ذات الرقاع بنجد	شعبان من السنة الرابعة الهجرية	فرار بني ثعلبة وبني محارب
بدر	شعبان من السنة الرابعة الهجرية	عادت قريش أدراجها إلى مكة ولم تذهب للقاء المسلمين في بدر حسب موعدها
دومة الجندل	ربيع الأول من السنة الخامسة الهجرية	لاذت القبائل بالفرار
المريسيع	شعبان من السنة الخامسة الهجرية	فرَّ بنو المصطلق بعد معركة قصيرة وانتصر المسلمون
المدينة المنورة	شوال من السنة الخامسة الهجرية	عودة الأحزاب عن حصار المدينة المنورة خائبين

الملحق (أ)

اسم الغزوة	قوات الطرفين	
	المسلمون	أعداء المسلمين
بنو قريظة من يهود	ثلاثة آلاف بينهم ٣٦ فارساً	٦٠٠ إلى ٧٠٠ من قريظة
بنو لحيان	نحو ٣٠٠٠	بنو لحيان
ذو قرد	جماعة مطاردة خفيفة	غطفان
الحديبية	١٦٠٠ راكب وراجل	قريش في مكة المكرمة
خيبر	١٦٠٠ راكب وراجل	يهود خيبر

المكان	التاريخ	مجمل النتائج
ضواحي المدينة المنورة	ذو القعدة من السنة الخامسة الهجرية	القضاءُ على بني قريظة
غران بين أَمج وعسفان	جمادى الأُولى من السنة السادسة الهجرية	فر بنو لحيان
ذو قرد	جمادى الأُولى من السنة السادسة الهجرية	فر بنو غطفان تاركين الغنائم التي أَخذوها من المسلمين
الحديبية	ذو القعدة من السنة السادسة الهجرية	عقد هدنة الحديبية بين المسلمين وقريش
خيبر	محرم من السنة السابعة الهجرية	فتح خيبر واستسلم يهود فدك ووادي القرى وتيماء

الملحـــق (أ)

اسم الغزوة	قـوات الطـرفـين	
	المسلمـون	أعداء المسلمين
عمرة القضاء	١٤٠٠ راكب وراجل	قريش
فتح مكة	عشرة آلاف	قريش وبنو بكر
حنين	١٢٠٠٠ ألفاً	هوازن وثقيف
حصار الطائف	١٢٠٠٠ ألفاً	ثقيف وقسم من هوازن

المكان	التاريخ	مجمل النتائج
مكة المكرمة	ذو الحجة من السنة السابعة الهجرية	بقي المسلمون ثلاثة أَيام في مكة بعد أَن خرج المشركون منها
مكة المكرمة	رمضان من السنة الثامنة الهجرية	فتح مكة المكرمة
وادي أوطاس قرب الطائف	شوال من السنة الثامنة الهجرية	فلك المسلمون عن الطائف ورحلوا عنها إلى المدينة واندحار هوازن وثقيف
الطائف	شوال من السنة الثامنة الهجرية	لم تستسلم الطائف ففك الحصار المسلمون عنها ورحلوا عائدين إلى المدينة المنورة

الملحـــق (أ)

اسم الغزوة	قــوات الطــرفــين	
	المسلمـــون	أعداء المسلمين
تبـــوك	ثلاثون أَلفاً منهم عشرة آلاف فارس	جيش كبير من الروم وحلفائهم من الغساسنة

المكان	التاريخ	مجمل النتائج
تبوك	رجب من السنة الثامنة الهجرية	فضل الروم ألا يشتبكوا بالمسلمين فأقام المسلمون في تبوك نحو عشرين يوماً ، وصالحوا القبائل وسكان منطقة الحدود الشمالية بين الحجاز وأرض الشام فأمنوا بذلك قاعدة متقدمة أمامية لعملياتهم المقبلة باتجاه الروم في أرض الشام .

الملحـــق (ب)

سرايا النبي ﷺ

اسم السرية	قوة السرية	قائد السرية	قوة الأعداء
حمزة بن عبد المطلب	ثلاثون من المهاجرين	حمزة بن عبد المطلب	٣٠٠ راكب
عبيدة بن الحارث	ستون من المهاجرين	عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب	أَكثر من مئتي راكب وراجل
سعد بن أَبي وقاص	عشرون من المهاجرين	سعد بن أَبي وقاص	قافلة لقريش

قائد الأعداء	المكان	التوقيت الهجري	النتــائج
أَبو جهل بن هشام	العيص	رمضان من السنة الأَولى	حجز بين الطرفين مجدي بن عمرو الجهني
أَبو سفيان ابن حرب	ماء بوادي رابغ	شوال من السنة الأَولى	جرت مناوشات بين الطرفين رمى فيها سعد ابن أَبي وقاص أَول سهم رمي في الإسلام
	الخرار	ذو القعدة من السنة الأَولى	تملصت القافلة ونجت

الملحـــق (ب)

سرايا النبي ﷺ

اسم السرية	قوة السرية	قائد السرية	قوة الأعداء
عبد الله بن جحش	اثنا عشر رجلا من المهاجرين	عبد الله بن جحش	أربعة رجال
عمير بن عدي ابن خرشة	رجل واحد	عمير بن عدي ابن خرشة	عدوة واحدة
سالم بن عمير	رجل واحد	سالم بن عمير	عدو واحد

قائد الأعداء	المكان	التوقيت الهجري	النتـــائج
عمرو بن الحضرمي	نخلة	رجب من السنة الثانية	١ ـ أَول قتيل من المشركين ٢ ـ أَول أسير من المشركين ٣ ـ أَول غنيمة للمسلمين ٤ ـ استعمال الرسائل المكتومة
عصماءُ بنت مروان	المدينة المنورة	رمضان من السنة الثانية	تعيب الإِسلام وتؤذي النبي وتحرض عليه وتقول الشعر
أَبو عفك اليهودي	المدينة المنورة	شوال من السنة الثانية	يحرض على رسول الله ويقول الشعر

سرايا النبي ﷺ

اسم السرية	قوة السرية	قائد السرية	قوة الأعداء
محمد بن مسلمة	نفر من الأَوس	محمد بن مسلمة	عدو واحد
زيد بن حارثة الكلبي	مائة راكب	زيد بن حارثة الكلبي	قافلة لقريش
عبد الله بن أَنيس	رجل واحد	عبد الله بن أَنيس	جماعة حشدوا لقتال المسلمين
أَبو سلمة بن عبد الأَسد		أَبو سلمة بن عبد الأَسد	بنو أَسد
المنذر بن عمرو الأَنصاري	سبعون رجلا من الأَنصار	المنذر بن عمرو الأَنصاري	سبعون من سليم

قائد الأعداء	المكان	التوقيت الهجري	النتـــائج
كعب بن الأَشرف	المدينة المنورة	ربيع الأَول من السنة الثالثة	يهجو النبي بشعره ويهجو أَصحابه ويحرض عليهم ويؤذيهم
صفوان بن أُميــة	القردة من أَرض نجد	جمادى الآخرة من السنة الثالثة	غنم قافلة قريش وأَسر فرات بن حيان فأَسلم
سفيان بن خالد الهذلي	عــرنة	المحرم من السنة الرابعة	حشد الجموع لقتال المسلمين
رئيس بني أَســد	قطــن	المحرم من السنة الرابعة	لحشدهم على المسلمين
سليم بن ملحان والحكم بن كيسان	بئر معونة	صفر من السنة الرابعة	غدر المشركون بالدعــاة المسلمين

الملحـــق (ب)

سرايا النبي ﷺ

اسم السرية	قوة السرية	قائد السرية	قوة الأعداء
مرثد بن أَبي مرثد الغنوي	عشرة رجال	مرثد بن أَبي مرثد الغنوي	عضل والقارة
محمد بن مسلمة الأَنصاري	ثلاثون راكباً	محمد بن مسلمة الأَنصاري	القرطاءُ بطن من بني بكر من كلاب
عكاشة بن محصن الأَسدي	أَربعون رجلا	عكاشة بن محصن الأَسدي	بنو أَسد
محمد بن مسلمة الأَنصاري	عشرة رجال	محمد بن مسلمة	بنو ثعلبة وبنو عوال من ثعلبة
أَبو عبيدة ابن الجراح	أَربعون رجلا	أَبو عبيدة ابن الجراح	بنو ثعلبة

قائد الأعداء	المكان	التوقيت الهجري	النتـــائج
رئيسا القبيلتين	الرجيع	صفر من السنة الرابعة	غدر المشركون بالمسلمين
رئيس القبيلة	القرطاءُ في البكرات بناحية ضرية	محرم من السنة السادسة	قتل نفراً منهم وهرب سائرهم وعاد بالغنائم
رئيس القبيلة	الغمر غمر مرزوق	ربيع الأول السنة السادسة	استاقوا مائتي بعير وهرب المشركون
رئيس القبيلة	ذو القصة	ربيع الآخر السنة السادسة	استشهد المسلمون وجرح قائدهم
رئيس القبيلة	ذو القصة	ربيع الآخر السنة السادسة	هرب المشركون وغنم المسلمون مواشيهم وأمتعتهم

الملحـــق (ب)

سرايا النبي ﷺ

اسم السرية	قوة السرية	قائد السرية	قوة الأعداء
زيد بن حارثة الكلبي		زيد بن حارثة الكلبي	سليم
زيد بن حارثة الكلبي	سبعون ومائة راكب	زيد بن حارثة الكلبي	قافلة لقريش
زيد بن حارثة الكلبي	خمسة عشر رجلا	زيد بن حارثة الكلبي	بنو ثعلبة
زيد بن حارثة الكلبي	خمسمائة رجل	زيد بن حارثة الكلبي	جـذام

قائد الأعداء	المكان	التوقيت الهجري	النتــائج
رئيس القبيلة	الجموم	ربيع الآخر السنة السادسة	غنم المسلمون شاءً ونعماً وأسرى
صفوان بن أميــة	العيص	جمادى الأولى السنة السادسة	غنم المسلمون القافلة
رئيس القبيلة	الطــرف	جمادى الآخرة السنة السادسة	غنم المسلمون عشرين بعيراً وهربت الأعراب
الهنيد بن عارض	حسمى	جمادي الآخرة السنة السادسة	غنم المسلمون ألف بعير وخمسة آلاف من الشاة مع مائة من الأسرى فأعادها النبي لهم

الملحق (ب)

سرايا النبي ﷺ

اسم السرية	قوة السرية	قائد السرية	قوة الأعداء
زيد بن حارثة الكلبي		زيد بن حارثة الكلبي	الأَعراب في وادي القرى بنو فزارة
عبد الرحمن ابن عوف		عبد الرحمن ابن عوف	بنو كلب
علي بن أَبي طالب	مائة رجل	علي بن أَبي طالب	بنو سعد ابن بكر

قائد الأعداء	المكان	التوقيت الهجري	النتــائج
رئيس القبيلة	وادي القرى	رجب من السنة السادسة	كبدهم خسائر في الأَرواح وأَصاب أَسرى
الأَصبغ بن عمرو الكلبي	دومة الجندل	شعبان من السنة السادسة	أَسلم الأَصبغ ابن عمرو الكلبي وأَسلم معه ناس كثير
رئيس القبيلة	فــدك	شعبان من السنة السادسة	لإحباط حشدهم مدداً ليهود خيبر فهرب بنو سعد وخلفوا خمسمائة بعير وأَلفي شاة غنمها المسلمون

الملحـــق (ب)

سرايا النبي ﷺ

اسم السرية	قوة السرية	قائد السرية	قوة الأعداء
زيد بن حارثه الكلبي	مفرزة خفيفة	زيد بن حارثة الكلبي	فزارة من بني بدر
عبد الله بن عتيك	رجل واحد مع مفرزة من خمسة رجال	عبد الله بن عتيك	أَبو رافع بن أَبي الحقيق
عبد الله بن رواحة	أَربعة رجال	عبد الله بن رواحة	رجل واحد
كرز بن جابر الفهري	عشرون فارساً	كرز بن جابر الفهري	ثمانية من العرنيين

قائد الأعداء	المكان	التوقيت الهجري	النتائج
رئيس القبيلة	أم قرفة بوادي القرى	رمضان من السنة السادسة	انتقم من بني بدر لنهبهم قافلة تجارية للمسلمين
أبو رافع سلام بن أبي الحقيق	خيبر	رمضان من السنة السادسة	قتله لأنه حرض غطفان على المسلمين
أسير بن زارم اليهودي	خيبر	شوال من السنة السادسة	قتله لأنه سار في غطفان وغيرهم يجمعهم لحرب المسلمين
هؤلاء ثمانية من العرنيين	الطريق القريبة من المدينة	شوال من السنة السادسة	خانوا الأمانة فعوقبوا على خيانتهم

الملحــق (ب)

سرايا النبي ﷺ

اسم السرية	قوة السرية	قائد السرية	قوة الأعداء
عمرو بن أُمية الضمري	رجلان	عمرو بن أُمية الضمري	أَبو سفيان بن حرب
عمــر بن الخطاب	ثلاثون رجلا	عمــر بن الخطاب	عجز هوازن
أَبو بكر الصديق		أَبو بكر الصديق	بنو كلاب
بشير بن سعد الأَنصاري	ثلاثون رجلا	بشير بن سعد الأَنصاري	بنو مره

قائد الأعداء	المكان	التوقيت الهجري	النتـــائج
أَبو سفيان ابن حرب	مكـــة	–	أَرسل أَبو سفيان ليغتال النبي فعاد هذا إِلى أَبي سفيان بعـــد إِسلامه
	تـــربة	شعبان من السنة السابعة	هرب المشركون فعاد إِلى مكة
	ضرية بنجد	شعبان من السنة السابعة	هرب المشركون وسبى قسماً منهم
	فـــدك	شعبان من السنة السابعة	غنم المسلمون فاستعاد المشركون الغنائم وكبدوا المسلمين خسائر فادحة

ملحـــق (ب)

سرايا النبي ﷺ

اسم السرية	قوة السرية	قائد السرية	قوة الأعداء
غالب بن عبد الله الليثي	مائة وثلاثون رجلا	غالب بن عبد الله الليثي	بنو عوال وبنو عبد بن ثعلبة
سعد بن بشير الأَنصاري	ثلاثمائة رجل	سعد بن بشير الأَنصاري	غطفان
ابن أَبي العوجاءِ السلمي	خمسون رجلا	ابن أَبي العوجاءِ السلمي	سليم
غالب بن عبد الله الليثي	بضعة عشر رجلا	غالب بن عبد الله الليثي	بنو الملوح
غالب بن عبد الله الليثي	مائتا رجل	غالب بن عبد الله الليثي	بنو مرة

قائد الأعداء	المكان	التوقيت الهجري	النتـــائج
رئيس القبيلة	الميفعـــة بناحية نجد	رمضان من السنة السابعة	كبدوا المشركين خسائر في الأَرواح وغنموا نعماً وشاء
عيينه بن حصن	يمن وجباد	شـــوال من السنة السابعة	هرب المشركون وغنم المسلمون نعماً كثيراً
رئيس القبيلة	الجموم	ذو الحجة من السنة السابعة	استشهدأكثر المسلمين
بنو الملوح	الكديد	صفر من السنة الثامنة	غنم المسلمون النعم
رئيس القبيلة	فـــدك	صفر من السنة الثامنة	أَخذ المسلمون ثـأْرهم من بني مرة الذين أَصابوا سرية بشير بن سعد الأَنصاري

الملحـــق (ب)

سرايا النبي ﷺ

اسم السرية	قوة السرية	قائد السرية	قوة الأعداء
شجاع بن وهب الأَسدي	أَربعة وعشرون رجلا	شجاع ابن وهب الأَسدي	بنو عامر من هوازن
كعب بن عمير الغفاري	خمسة عشر رجلا	كعب بن عمير الغفاري	قبائل عربية
زيد بن حارثة وجعفر بن أَبي طالب وعبد الله بن رواحة	ثلاثة آلاف رجل	زيد بن حارثة وجعفر بن أَبي طالب وعبد الله بن رواحة	مائة أَلف من غسان وحلفائهم

قائد الأعداء	المكان	التوقيت الهجري	النتــائج
رئيس القبيلة	السي ناحية الركبة من وراءِ المعـــدن	ربيع الأَول السنة الثامنة	غنم المسلمون نعماً وشاءً
	ذات أَطلاح	ربيع الأَول السنة الثامنة	استشهد المسلمون
شرحبيل بن عمر الغساني	مـؤتة	جمادى الأَولى السنة الثامنة	انسحب المسلمون بقيادة خالد ابن الوليد بعد استشهاد القادة الثلاثة وتكبد المسلمون خسائر فادحة بالأَرواح لتفوق المشركين عليهم تفوقاً ساحقاً

سرايا النبي ﷺ

اسم السرية	قوة السرية	قائد السرية	قوة الأعداء
عمرو بن العاص	ثلاثمائة رجل معهم ثلاثون فرساً وأَمدهم النبي بمائتي رجل	عمرو بن العاص وعلى المـــدد أَبو عبيدة بن الجراح	قضاعة
الخبط	ثلاثمائة رجل	أَبوعبيدة بن الجراح	جهينة

قائد الأعداء	المكان	التوقيت الهجري	النتــائج
رؤساءُ قبائل بلي وعذرة وبلقين	ذات السلاسل	جمادى الآخرة السنة الثامنة	وطئ بلاد بليّ ودوخها حتى أَتى إلى أَقصى بلادهم وبلاد عــذرة وبلقين ولقي جمعاً بعد ذلك فحمل المسلمون عليهم فهربوا في البلاد وتفرقوا. والهدف من السرية إحباط تجمعات قضاعة وحشدهم للهجوم على المسلمين
رئيس القبيلة	القبلية مما يلي ساحل البحر الأَحمر	رجب من السنة الثامنة	لم يلقوا كيداً

سرايا النبي ﷺ

اسم السرية	قوة السرية	قائد السرية	قوة الأعداء
أَبو قتادة ابن ربعي الأَنصاري	خمسة عشر رجلاً	أَبو قتادة ابن ربعي الأَنصاري	محارب بن غطفان
أَبو قتادة ابن ربعي الأَنصاري	ثمانية رجال	أَبو قتادة ابن ربعي الأَنصاري	
خالد بن الوليد	ثلاثون فارساً	خالد بن خالد	صنم لقريش وجميع بني كنانة

قائد الأعداء	المكان	التوقيت الهجري	النتـــائج
رئيس محارب من غطفان	خضرة في نجـد	شعبان من السنة الثا منة	غنم المسلمون مائتي بعير وألفي شاة
	بطن أضم	رمضان من السنة الثامنة	الهدف هو التضليل عن التوجه نحو مكة لفتحها فذهبت هذه السرية بعكس اتجاه مكة ثم تحرك المسلمون نحو هدفهم الأَصلي مكة
	العزى (صنم) في نخلة	رمضان من السنة الثامنة	هدم العزى

الملحـــق (ب)

سرايا النبي ﷺ

اسم السرية	قوة السرية	قائد السرية	قوة الأعداء
عمرو بن العاص	مفرزة خفيفة	عمرو بن العاص	صنم هزيل
سعد بن زيد الأَشهلي	عشرون فارساً	سعد بن زيد الأَشهلي	صنم للأَوس والخزرج وغسـان بالمسئـل
خالد بن الوليد	ثلاثمائة وخمسون رجلا	خالد بن الوليد	جذيمة من كنانة
الطفيل بن عمرو الدوسي	مفرزة خفيفة	الطفيل بن عمرو الدوسي	ذو الكفين (صنم عمرو ابن حممة الدوسي)

قائد الأعداء	المكان	التوقيت الهجري	النتائج
	سواع (صنم)	رمضان من السنة الثامنة	هدم سواع
	مناة (صنم)	رمضان من السنة الثامنة	هدم مناة
رئيس قبيلة جذيمة	ناحية يلملم	شوال من السنة الثامنة	كبد جذيمة خسائر في الأرواح
	في منطقة الطائف	شوال من السنة الثامنة	هدم ذا الكفين

الملحـــق (ب)

سرايا النبي ﷺ

اسم السرية	قوة السرية	قائد السرية	قوة الأعداء
عيينة بن حصن الفزاري	خمسون فارساً	عيينة بن حصن الفزاري	بنو تميم
قطبة بن عامر بن حديدة	عشرون رجلا	قطبة بن عامر بن حديدة	خثعم
الضحاك بن سفيان الكلابي		الضحاك بن سفيان الكلابي	بنو كلاب

قائد الأعداء	المكان	التوقيت الهجري	النتـــائج
رئيس بني تميم	بين السقيا وأَرض بني تميم	المحرم من السنة التاسعة	هرب المشركون فأَسر أَحد عشر رجلا وسبى إحدى عشرة امرأَة وثلاثين صبياً أَعادهم النبي إلى أَهليهم
رئيس خثعم	ناحية بيشة قريباً من تربة في ناحية تبالة	صفر من السنة التاسعة	تكبد المشركون خسائر بالأَرواح وغنم المسلمون النعم والشاء والأَسرى
رئيس بني كلاب	القرطاءُ بناحية زج لاوه	ربيع الأَول السنة التاسعة	انتصر على بني كلاب

الملحـــق (ب)

سرايا النبي ﷺ

اسم السرية	قوة السرية	قائد السرية	قوة الأعداء
علقمة بن مجزر المدلجي	ثلاثمائة رجل	علقمة بن مجزر المدلجي	الحبشة
علي بن أَبي طالب	مائة وخمسون رجلا على مائة بعير وخمسين فرساً	علي بن أَبي طالب	الفلس (صنم طيئ وفي- كتاب الأَصنام : الفَلس بفتح الفاءِ –
عكاشة بن محصـــن الأَسدي		عكاشة بن محصـــن الأَسدي	عذرة وبلي

قائد الأعداء	المكان	التوقيت الهجري	النتـــائج
رئيس الحبشة في الجزيرة التي تقابل مدينة جدة	الحبشة في جزيرة تقابل جـــدة	ربيع الآخر السنة التاسعة	هرب الأَحباش
عدي بن حاتم الطائي	محلة آل حاتم الطائي بـأَرض طيٍّ على جبلهم : أَجا	ربيع الآخر السنة التاسعة	هدم الفلس وعاد بالسبي والنعم والشاءِ
رئيس القبيلة	الجناب أَرض عذرة وبلي	ربيع الآخر السنة التاسعة	التفاصيل غير متيسرة عن هذه السرية ، ويبدو أَنها سرية من سرايا الدعوة

الملحـــق (ب)

سرايا النبي ﷺ

اسم السرية	قوة السرية	قائد السرية	قوة الأعداء
خالد بن الوليد		خالد بن الوليد	بنو عبد المدان
علي بن أَبي طالب	ثلاثمائة فارس	على بن أَبي طالب	مذحج

قائد الأعداء	المكان	التوقيت الهجري	النتائج
رئيس القبيلة	نجران	ربيع الأول السنة العاشرة	التفاصيل غير متيسرة عن هذه السرية ويبدو أنها سرية من سرايا الدعوة
رئيس القبيلة	اليمن (بلاد مذحج)	رمضان من السنة العاشرة	قاتلهم فانتصر عليهم وغنم منهم النعم والشاء وأسر الأسرى ، ثم أعلنوا إسلامهم

الملحـــق (ب)

سرايا النبي ﷺ

اسم السرية	قوة السرية	قائد السرية	قوة الأعداء
أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي	ثلاثة آلاف مجاهد بين راكب وراجل	أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي (حب رسول الله وابن حبه)	الروم وحلفاؤهم من قضاعة

قائد الأعداء	المكان	التوقيت الهجري	النتـــائج
رئيس قضاعة	ابني وهي أرض السراه ناحية البلقاء	صفر سنة إحدى عشرة	١ ـ أمر النبي بإنفاذ بعث أسامة في صفر

٢ ـ تحرك أسامة بجيشه إلى هدفه في ربيع الآخر بعد وفاة النبي ﷺ وتولي أبي بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة .

٣ ـ شن أسامة غارة سريعة فانتصر ، فعاد أدراجه إلى المدينة المنورة.

٤ ـ أثرت هذه السرية في الروم وحلفائهم تأثيرا بالغاً مما مهد للفتح الإسلامي القريب .



ايضـــاح الملحـق (ب)

١ ـ اعتمدت ما جاء في الجزء الثاني من طبقات ابن سعد في ترتيب سرايا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ التي أَدرجتها في الملحق (ب) بعد مقارنتها بالمصادر المعتمدة الأخرى .

٢ ـ وقد ذكر ابن سعد في الطبقات خمساً وخمسين سرية فقط ، بينما عدد السرايا الواردة في الملحق (ب) ست وخمسون سرية ، بزيادة سرية واحدة على ما ذكره ابن سعد في طبقاته .

والسرية التي أَضفتها إلى الملحق (ب) هي سرية أَبي سلمة بن عبد الأَسد إلى بني أَسد في (قطن) وهي ذات الرقم (١٠) في الملحق (ب) .

وقد اقتبست هــذه السرية وأَضفتها إلى الملحق (ب) من مغازي الواقدي لأَنها وردت في مصادر معتمدة أُخرى .

٣ ـ أَجمعت المصادر المعتمدة كلها بـأَن عدد سرايا النبي

ـ صلى الله عليه وسلم ـ هي سبع وأَربعين سرية ، وقد ذكرت ذلك في صلب هذا البحث .

والسرايا التي عدَّدها ابن سعد في طبقاته خمس وخمسون سرية ، على الرغم من أَنه ذكر في كتابه : أَن سرايا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سبع وأَربعون سرية .

ويبدو أَن ابن سعد لم يعتبر السرايا التي هدفها القضاءُ على شخص معاد سرايا بالمعني الصحيح كالتي هدفها تعبوي أَو سوقي للقضاءِ على جماعة أَو قبيلة أَو مجموعة من القبائل المعادية أَو فرض الحصار الاقتصادي على أَعداءِ الإِسلام بجعل الطرق التجارية التي يسلكها الأَعداءِ غير أَمينة .

وهذه السرايا التي كان هدفها القضاء على شخص معاد واحد هي ذات التسلسل :

(٥ ، ٦ ، ٧ ، ٩ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧) في الملحق (ب) فليعد إلى هذا الملحق من أَراد الاطلاع على التفاصيل .

كما يبدو أَن ابن سعد لم يعتبر السرية ذات التسلسل (٤٢) لأَنها سرية خرجت للتضليل فحسب، أَي لتوجيه أَنظار الأَعداءِ إِلى حركتها شمالا، تمهيداً لحركة النبي - صلى الله عليه وسلم - إِلى الجنوب لفتح مكة.

وبذلك يبقى من تعداد سراياه التي ذكرها سبع وأَربعون سرية.

٤ - أَما بالنسبة للملحق (ب) الذي عدد ستاً وخمسين سرية فتضاف السرية ذات التسلسل (٥٦) لأَنها نفذت بعد التحاق النبي - صلى الله عليه وسلم - بالرفيق الأَعلى في عهد أَبي بكر الصديق - رضي الله عنه - تضاف إِلى السرايا التي لم يعتمدها ابن سعد والواردة في المادة (٣) في أَعلاه، فيبقى تعداد السرايا في الملحق (ب) سبع وأَربعون سرية.. والله أَعلم.



الملحـــق (ج)

المصـــادر والمراجـــع

ابن الأَثير (عز الدين أَبو الحسن علي بن أَبي الكرم محمد ابن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأَثير الجزري) :

(١) أَسد الغابة في معرفة الصحابة ـ طهران ـ ١٣٧٧ هـ.

(١) تجريد أَسماءِ الصحابة ـ حيدر آباد ـ الدكن (الهند) ١٣١٥ هـ.

(٣) الكامل في التاريخ ـ بيروت ـ ١٣٨٥ هـ.

ابن تغري بردي الأَتابكي (جمال الدين أَبو المحاسن يوسف ابن تغري بردي الأَتابكي) :

(٤) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ القاهرة ـ ١٣٨٣ هـ.

ابن تيمية (تقي الدين أَحمد بن عبد الحليم بن مجد الدين أَبو البركات عبد السلام ابن تيمية) :

(٥) السياسة الشرعية ـ تحقيق محمد المبارك ـ بيروت ـ ١٣٨٦ هـ.

ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أبو الفضل أَحمد بن علي بن حجر العسقلاني) :

(٦) الإِصابة في تمييز الصحابة ـ القاهرة ـ ١٣٢٥ هـ.

(٧) تهذيب التهذيب ـ حيدر آباد ـ الدكن (الهند) ـ ١٣٢٧ هـ.

(٨) فتح الباري بشرح البخاري ـ القاهرة ـ ١٣٠١ هـ.

ابن حزم الأَندلسي (أَبو محمد علي بن أَحمد بن سعيد بن حزم الأَندلسي) :

(٩) جمهرة أَنساب العرب ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ القاهرة ـ ١٣٨٢ هـ.

(١٠) جوامع السيرة ـ القاهرة ـ بلا تاريخ .

ابن خرداذبة (أَبو القاسم عبيد الله بن خرداذبة) :

(١١) المسالك والممالك ـ طهران ـ ١٩٦٣ م.

ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون) :

(١٢) العبر وديوان المبتدأ والخبر ـ القاهرة ـ ١٣٨٤هـ.

ابن سعد (أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري) :

(١٣) الطبقات الكبري ـ بيروت ـ ١٣٧٦ هـ.

ابن سيد الناس (محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس) :

(١٤) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ـ القاهرة ١٣٥٦ هـ.

ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن عساكر الشافعي) :

(١٥) تهذيب ابن عساكر ـ دمشق ـ ١٣٢٩ هـ.

ابن عبد البر (يوسف بن عبد البر النمري) :

(١٦) الدرر في اختصار المغازي والسير ـ تحقيق الدكتور شوقي ضيف ـ القاهرة ـ ١٣٨٦ هـ.

ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن إبراهيم الهمذاني المعروف بابن الفقيه) :

(١٧) مختصر تاريخ البلدان ـ لايدن ـ ١٨٨٥ م.

ابن كثير (عماد الدين أَبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي) :

(١٨) البداية والنهاية في التاريخ ـ القاهرة ـ بلا تاريخ .

(١٩) تفسير ابن كثير ـ القاهرة ـ ١٣٤٧ هـ .

ابن ماجة (محمد بن يزيد بن ماجه القزويني) :

(٢٠) سنن ابن ماجه ـ القاهرة ـ ١٣١٣ هـ .

ابن منظور (أَبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور) :

(٢١) لسان العرب ـ بيروت ـ ١٣٧٤ هـ .

ابن هشام (أَبو محمد عبد الملك بن هشام بن أَيوب الحميري) :

(٢٢) السيرة النبوية ـ تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ـ القاهرة ـ ١٣٥٦ هـ .

أَبو الفدا (إسماعيل بن علي عماد الدين صاحب حماة) :

(٢٣) تقويم البلدان ـ باريس ـ ١٨٤٠ م .

(٢٤) المختصر من أَخبار البشر ـ القاهرة ـ ١٣٢٥ هـ .

أَبو يوسف (القاضي أَبو يوسف يعقوب بن إِبراهيم صاحب الإِمام أَبي حنيفة) :

(٢٥) الخراج ـ القاهرة ـ ١٣٤٦ هـ .

أَحمد بن حنبل (الإِمام) :

(٢٦) مسند الإِمام أَحمد بن حنبل ـ القاهرة ـ ١٣١٣ هـ .

الإِدريسي (الشريف الإِدريسي) :

(٢٧) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ـ نشره دوزي ودي جوجه ـ لايدن ـ ١٨٦٦ م .

الاصطخري (أَبو إِسحاق إِبراهيم بن محمد الفارسي (الاصطخري) :

(٢٨) المسالك والممالك ـ تحقيق محمد جابر عبد العال الحسيني ـ القاهرة ـ ١٣٨١ هـ .

البخاري (الإِمام أَبو عبد الله محمد بن إِسماعيل البخاري) :

(٢٩) صحيح البخاري ـ بولاق ـ ١٣٠٠ هـ .

البشاري (المقدسي المعروف بالبشاري) :

(٣٠) أَحسن التقاسيم في معرفة الأَقاليم ـ لايدن ـ ١٩٠٦ م.

البغوي (الإمام البغوي) :

(٣١) تفسير البغوي ـ على هامش تفسير ابن كثير ـ القاهرة ـ ١٣٤٧ هـ.

(٣٢) شرح السنة ـ بيروت ـ ١٣٩١ هـ.

البلاذري (أَحمد بن يحيي بن جابر البلاذري) :

(٣٣) فتوح البلدان ـ القاهرة ـ ١٩٥٩ م.

البلخي (أَبو زيد أَحمد بن سهل البلخي) :

(٣٤) البدء والتاريخ ـ باريس ـ ١٨٩٩ م.

البيضاوي (القاضي أَبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي) :

(٣٥) تفسير البيضاوي ـ القاهرة ـ ١٣٣٠ هـ.

البيهقي (أَبو بكر أَحمد بن الحسين البيهقي) :

(٣٦) دلائل النبوة ـ القاهرة ـ ١٣٨٩ هـ.

الجوزي (أَبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي) :
(٣٧) صفة الصفوة ـ حيدر آباد ـ الدكن (الهنـد) ـ ١٣٥٥ هـ.

الحلبي (علي بن برهان الدين الحلبي) :
(٣٨) إنسان العيون في سيرة الأَمين والمأْمون (السـيرة الحلبية) ـ القاهرة ـ بلا تاريخ .

الحنبلي (أَبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي) :
(٣٩) شذرات الذهب في أَخبار من ذهب ـ القاهرة ـ ١٣٥٠ هـ.

الخزرجي (أَحمد بن عبد الله الخزرجي) :
(٤٠) خلاصة تذهيب الكمال في أَسماءِ الرجال ـ القاهرة ـ ١٣٢٢ هـ.

الذهبي (شمس الدين محمد بن أَحمد بن عثمان الذهبي):
(٤١) تاريخ الإِسلام ـ القاهرة ـ ١٣٨٦ هـ.
(٤٢) دول الإِسلام ـ القاهرة ـ ١٣٨٦ هـ.
(٤٣) سير أَعلام النبلاءِ ـ تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ـ القاهرة ـ بلا تاريخ .

(٤٤) العبر ـ تحقيق فؤاد سيد ـ الكويت ـ ١٦٩١ م .
(٤٥) ميزان الاعتدال ـ القاهرة ـ ١٣٢٤ هـ.

الزاوي (طاهر أَحمد الزاوي الطرابلسي) :
(٤٦) ترتيب القاموس المحيط ـ القاهرة ـ ١٩٥٩ م .

الزمخشري (أَبو القاسم جاد الله محموذ بن عمر الزمخشري)
(٤٧) تفسير الكشاف ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ١٣١٩ هـ.

السمهودي المــدني :
(٤٨) خلاصة الوفا بأَخبار دار المصطفي ـ القاهرة ١٣٦٧هـ.

الطبري (أَبو جعفر محمد بن جرير الطبري) :
(٤٩) تاريخ الأَمم والملوك ـ القاهرة ـ ١٣٥٨ هـ.
(٥٠) تفسير الطبري ـ القاهرة .

الظاهري (غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري) :
(٥١) زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ـ باريس ١٨٩٤ م .

العصامي (عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي) :
(٥٢) سمط النجوم العوالي في أَنباءِ الأَوائل والتوالي ـ القاهرة ـ ١٣٧٩ هـ.

عياض (القاضي عياض) :
(٥٣) الشفا بتعريف حقــوق المصطفى ـ القسطنطينية ـ ١٣١٢ هـ.

القرطبي (أَبو عبد الله محمد بن أَحمد الأَنصاري القرطبي)
(٥٤) الجامع لأَحكام القرآن ـ القاهرة ـ ١٣٥٦ هـ .

القزويني (زكريا بن محمد القزويني) :
(٥٥) آثار البلاد وأَخبار العباد ـ بيروت ـ ١٣٨٠ هـ .

الكلبي (أَبو المنذر هشام بن محمد الكلبي) :
(٥٦) الأَصنام ـ القاهرة ـ ١٣٣٢ هـ .

الماوردي (أَبو الحسن علي بن حبيب البصري الماوردي) :
(٥٧) الأَحكام السلطانية ـ القاهرة ـ ١٣٤٧ هـ .

مجمع اللغة العربية في القاهرة :
(٥٨) المعجم الوسيط ـ القاهرة ـ ١٣٢٧ هـ .

محمد رشيد رضا :
(٥٩) تفسير المنار ـ القاهرة ـ ١٣٢٥ هـ

محمد فؤاد عبد الباقي :
(٦٠) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ القاهرة ـ ١٣٧٨ هـ.

محمد مصطفى عمارة :
(٦١) مختصر شرح الجامع الصغير للمناوي ـ القاهرة ـ ١٣٧٣ هـ.

محمود شيت خطاب :
(٦٢) الرسول القائد ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة ـ بلاتاريخ
(٦٣) الفاروق القائد ـ الطبعة الرابعة ـ بيروت ١٣٩١ هـ.
(٦٤) قادة فتح الشام ومصر ـ بيروت ـ ١٣٨٥ هـ.

المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي) :
(٦٥) مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ـ القاهرة ـ ١٩٦٤ م.

النووي (أبو زكريا محيي الدين بن شرف الدين النووي) :
(٦٦) تهذيب الأسماء واللغات ـ دمشق ـ بلا تاريخ.

الهـرثمي (صاحب المأمون) :
(٦٧) مختصر سياسة الحروب.

الواقدي (محمد بن عمر بن واقد) :

(٦٨) كتاب المغازي ـ تحقيق الدكتور مارسدن جونس ـ أُوكسفورد ـ ١٩٦٦ م .

ياقوت الحموي (شهاب الدين أَبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي) :

(٦٩) المشترك وضعاً والمفترق صفعاً ـ لايدن ـ ١٨٤٦ م .

(٧٠) معجم البلدان ـ القاهرة ـ ١٣٢٣ هـ .

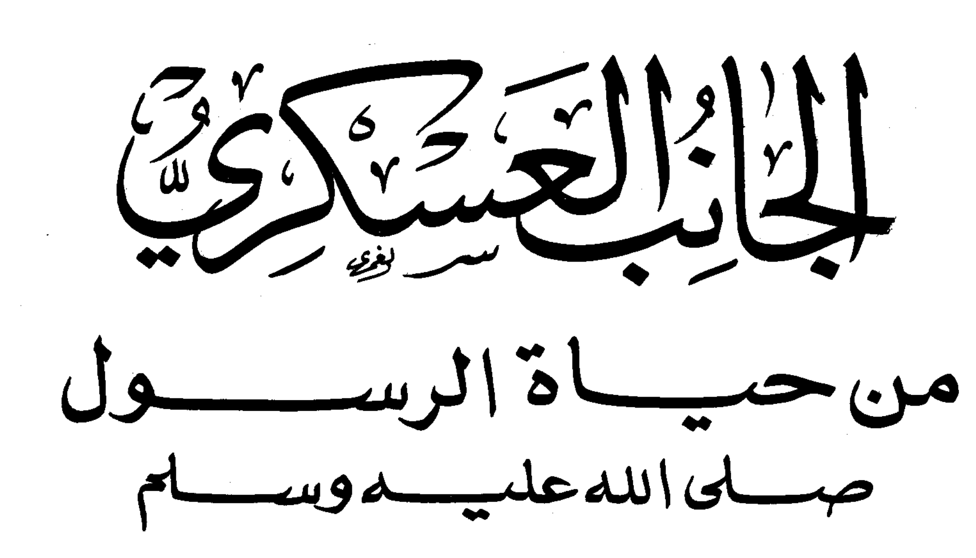
اليعقوبي (أَحمد بن يعقوب) :

(٧١) البلدان ـ لايدن ـ ١٨٩٢ م .





البحث الثاني :



اللواء الركن :
محمد جمال الدين علي محفوظ
جمهورية مصر العربية



مقدمة

لقد سبقت حكمة الله أن تكون الامة الاسلامية قوية الشوكة مرهوبة الجانب ؛ ففرض عليها الجهاد وأمرها باعداد القوة التي ترهب الاعداء ووجهها الى المبادىء الاساسية لتنظيم شئون الحرب للدفاع عن الدين ورد العدوان .

وعلى هذه الأسس قامت أول مدرسة عسكرية إسلامية شاملة ، وتكون أول جيش في تاريخ الاسلام والمسلمين .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قائد هذه المدرسة ومعلمها الأول ، كما كان قائد ذلك الجيش ومعلمه الأول ، فهو المثل الكامل والقدوة المثلى ، كما يقول الله تعالى : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) الاحزاب ٢١ ، وكما خاطبه بقوله : (وإنك لعلى خلق عظيم) القلم ٤ ، وقد وضعه الله تحت حراسته ورعايته حتى حدث هو عن نفسه فقال : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » .

فلا عجب إذن أن يظهر النبي صلى الله عليه وسلم في الأمور الحربية ما يثير الاعجاب والتقدير من عبقرية فذة في القيادة والتخطيط وإدارة العمليات الحربية ، ولا عجب أيضاً أن يكون جيش الاسلام الذي تعلم فى المدرسة العسكرية الاسلامية وطبق نظرياتها وتعاليمها في ميادين القتال تحت قيادة النبى صلى الله عليه وسلم ، مضرب الأمثال في الكفاية القتالية والشجاعة والعبقرية الحربية .

وتاريخ معارك الاسلام في عصر النبوة ، يشهد للمسلمين بقدرتهم وكفاءتهم العالية في القيام بجميع أشكال العمليات العسكرية : مثل الدفاع والهجوم والمطاردة والتخلص من المعركة وميزة الاقتراب والاغارات وأعمال الاستطلاع والمخابرات والحرب النفسية ودوريات القتال والهجوم على القرى والمواقع الحصينة وأعمال الحصار وغيرها . .

وقيام المسلمين بهذه العمليات المتنوعة دليل على كفايتهم وكفاية تدريبهم عليها . يقول كلاوزفتز : « يمكن للقوات العسكرية المدربة جيداً أن تقوم بجميع الأعمال العسكرية » .

وسوف نعرض بقدر ما يتسع المقام لبعض الجوانب العسكرية من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم .

أوّلاً: عقيدة الجهاد

يعرف العسكريون أن العقيدة العسكرية هي السياسة المرسومة التي تعبر عن وجهات النظر الرسمية للدولة فيما يتصل بالقواعد الأساسية للصراع المسلح وما يتعلق بطبيعة الحرب وغاياتها وطرق إدارتها وإعداد البلاد والقوات المسلحة لها .
والعقيدة العسكرية في الاسلام تتبلور في عقيدة « الجهاد في سبيل الله » ونجد ذلك في القرآن والسنة كما يلى : —

قال تعالى :

- (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم) (الحج ٧٨) .
- (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والأنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) (التوبة ١١١) .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم :

- (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم) .
- (الجهاد ماض إلى يوم القيامة) .
- (سئل الرسول أي الناس أفضل ؟ . . قال : « مؤمن يجاهد فى سبيل الله بنفسه وماله) .

هدف الجهاد فى سبيل الله :

وتتميز عقيدة الجهاد بوضوح الهدف . . وهو « سبيل الله » و « إعلاء كلمة الله » وهو هدف يسع كل القيم الانسانية السامية كالدفاع عن الوطن وعن العرض والكرامة والحق والعدل والسلام . . أما العدوان والاغتصاب فليست من أهداف الجهاد الاسلامى يقول الله تعالى :

- (وقاتلوا فِي سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) . (البقرة ١٩٠) .
- (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم) .

(الانفال ٦١) .

ثانيًا : استراتيجية الرّدع

يقول الله تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) . (الأنفال ٦٠) . ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم « نصرت بالرعب مسيرة شهر » (متفق عليه) ويستخلص من ذلك أن النظرية الاستراتيجية للحرب فِي الاسلام هِي « الردع » من خلال إعداد « القوة الرادعة » .

وهذا ما يفهم من لفظ « ترهبون » فالاسلام قيد الأمر باعداد القوة والمرابطة بمهمة إرهاب الأعداء

وإخافتهم من عاقبة العدوان على بلاد الأمة .

ويفهم أيضا من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم « نصرت بالرعب مسيرة شهر » أن إظهار القوة للأعداء وإخافتهم يحقق النصر عليهم ويؤدي إلى تحقيق الأهداف أكثر من أية وسيلة أخرى من وسائل مواجهة الأعداء .

وتدل إحصائيات معارك عصر النبي على تطبيق نظرية الردع فمن بين ثمان وعشرين غزوة قادها النبي صلى الله عليه وسلم ضد المشركين واليهود ، نشب القتال في تسع منها فقط هي (بدر ــ أحد ــ الخندق ــ بنى قريظة ــ بنى المصطلق ــ خيبر ــ فتح مكة ــ حنين ــ الطائف) . بينما فر الأعداء فى تسع عشرة غزوة منها بدون قتال .

والمدهش أن نظرية الردع التي هي أول نظرية حربية في الاسلام منذ أربعة عشر قرنا تعتبر في القرن العشرين مفتاح الاستراتيجية المعاصرة وقد وصل إليها الفكر العسكري العالمي بعد معاناة قاسية وطويلة في حروب طاحنة اكتوى العالم بنارها . وذلك مما يعبر عنه الجنرال اندريه بوفر بقوله « إن رجل القرن العشرين الذي تلاحقه مآسي الحربين العالميتين ١٩١٤ ــ ١٩١٨ ، ١٩٣٩ ــ ١٩٤٥ ، هذا الرجل المسلح بكل وسائل العلم الحديث ربما وجد أخيرا الوسيلة لمنع وقوع مثل هذه المآسى ، وهى استراتيجية الردع » .

ولا بد لنا من التأكيد على ما تتميز به استراتيجية الردع الاسلامي من نوايا سامية ، فالمعروف أن نظرية الردع المعاصرة ظهرت وارتبطت « بالتوازن النووي » فطالما هناك توازن بين القوتين العظميين في القوى النووية فان احتمال قيام الحرب بينهما يكون بعيدا جدا بسبب قدرة

كل جانب على الرد والانتقام إذا ما وجهت إليه الضربة المدمرة أولا .

لكننا لو تصورنا أن إحدى القوتين تمكنت من إحراز تفوق ساحق على الأخرى بحيث يختل التوازن ـ وهذا أمر وارد تماما ـ فالمتوقع أن تندلع الحرب النووية فوراً بالنظر إلى ما يسود العلاقات الدولية من توتر وتناقضات فى المصالح .

أما الأمة الاسلامية فانها إذا تملكت القوة المتفوقة على أعدائها حتى يصبح ميزان القوى فى صالحها فان ذلك لا يغريها باستخدام تلك القوة ضدهم ما داموا ممتنعين عن العدوان عليها . أى أن الأمة الاسلامية « لا تتعدى حدود الردع » ما دام يحقق هدفه وهو إخافة العدو ومنعه من إستخدام القوة .

ذلك أمر بديهى لأن العدوان ليس غاية من غايات الحرب فى الاسلام ، ولأن القصد من إعداد القوة فى الاسلام هو إرهاب العدو ليمتنع عن استخدام القوة .

ثالثاً: التأهب والاستعداد القتالي

عنى الاسلام أشد العناية باتخاذ الحيطة والحذر لحرمان العدو من المفاجأة ووقاية المسلمين من آثارها المدمرة ، يقول الله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) (النساء ٧١) ويقول أيضا : (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا) (المائدة ـ ٩٢) .

ولعل أبلغ ما يؤكد أهتمام الاسلام بالحذر ما جاء في القرآن بشأن الصلاة في الحرب : (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) (النساء ـ ١٠٢) .

وهكذا أمر بأن تصلي طائفة مع الرسول وأسلحتها معها ، وجعل الطائفة الأخرى للحراسة حتى إذا فرغت الطائفة الأولى اتخذ كل من الفريقين حالة الآخر .

نستخلص مما تقدم ما يلي :

- أن الاسلام يعد الحذر أمراً بالغ الحيوية لمصلحة الاسلام والمسلمين ، ولا يرضى بالتواكل أبداً وهل هناك ما هو أدل على ذلك من أنه يأمر المسلمين بالحذر والحيطة والاستعداد في الصلاة التي يؤدونها لله ويكونون فيها بين يديه ؟
- أن الاسلام يفتح عيون المسلمين على الخطر المحدق بهم من أعدائهم المتربصين الذين ينتظرون لحظة الغفلة منهم (ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم . .) . كما يجسد عواقب تلك الغفلة والاضرار البالغة التى يتعرض لها المسلمون بسببها « فيميلون عليكم ميلة واحدة) .
- أن الاسلام يحذر من الاستهانة بالعدو فهي تؤدي إلى

إهمال الحذر فتتعرض الأمة للهلاك .

- أن الاسلام يحذر من الاغترار بالقوة ، فهي كالاستهانة بالعدو تؤدي إلى إهمال الحذر ، ولقد كان ما حدث للمسلمين في غزوة حنين من هزيمة بسبب إغترارهم بقوتهم حين قال قائلهم « لن نغلب اليوم من قلة » .

القوة والمرابطة :

وللمرابطة وزن كبير وشأن خطير في تقدير الاسلام . . ففي الآية الكريمة (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) ، خص الله تعالى (رباط الخيل) بالذكر ، مع أنها داخلة فيما قبلها (من قوة) ، وهذا دليل على أهمية المرابطةمن جهة ، وتأكيد لما بينها وبين القوة من ارتباط وثيق بحيث لا تستغني إحداهما عن الأخرى من جهة أخرى :

- **فالقوة** : في حاجة إلى المرابطة لتحميها باليقظة والحراسة والانذار المبكر ، وهي بدون ذلك تفقد فاعليتها وقيمتها إذا تمكن العدو من تحقيق المباغتة .

- **والمرابطة** : في حاجة إلى القوة التي تحمي ظهرها وتساندها وتدعمها .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الرباط :

- « رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها » (أخرجه الشيخان) .
- « عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله وعين

باتت تحرس فى سبيل الله (رواه الترمذى) »
- « من رابط ليلة حارسا من وراء المسلمين كان له مثل أجر من خلفه ممن صام وصلى » (رواه الطبرانى عن أنس بن مالك) .

درجة الاستعداد القصوى :

ويقرر الاسلام الطريق العملى الذى يحرم العدو من مباغتة المسلمين ، وهو أن تكون لدى المسلمين قوات متأهبة على أقصى درجات التأهب والاستعداد للحركة والانطلاق نحو الخطر بمجرد الاشارة . وذلك ما يفهم من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله كلما سمع هيعة (أى صيحة خطر) طار اليها » وفى رواية أخرى :

« من خير معايش الناس لهم رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه (أي ظهره) كلما سمع هيعة أو فزعة (اى الخوف) طار عليه يبغي القتل أو الموت » .

ويدل الحديث على معنى الاستعداد الكامل والمستمر للانطلاق بمجرد الاشارة ، فالفارس « الممسك بعنان فرسه » . لن يكون بحاجة إذا رأى خطرا أو جاءته الاشارة ، إلى الاتيان بأي تصرف ولا حتى مد يديه إلى عنان فرسه ليمسك بها لأنه ممسك بها فعلا ، أي أن كل ما سوف يفعله هو الانطلاق الذي اختار له الحديث لفظة (طار) وهي أسرع أشكال الحركة على الاطلاق (. .) .

ولقد قدم الرسول القائد صلى الله عليه وسلم بنفسه مثلا على درجة الاستعداد القصوى : عن أنس رضي الله

عنه قال : « كان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس ، وأجود الناس ، وأشجع الناس ، لقد فزع أهل المدينة ليلة ، فانطلق ناس قبل الصوت ، فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت ، واستبرأ الخبر ، على فرس لأبى طلحة عرى ، والسيف فى عنقه وهو يقول : « لن تراعوا » (رواه الشيخان) .

رابعًا: التطوير وملاحقة العصر

يقول ابن سعد فى طبقاته عن وفد ثقيف عندما جاءوا مسلمين :

« لم يحضر عروة بن مسعود ولا غيلان بن سلمه حصار الطائف . كانا بجرش يتعلمان صنعة العرادات والمنجنيق والدبابات ، فقدما وقد انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطائف ، فنصبا المنجنيق والعرادات والدبابات واستعداوا للقتال . . ثم ألقى الله فى قلب عروة الاسلام » .

وكانت الاستراتيجية العسكرية لكل من فارس وبيزنطة عند ظهور الاسلام تقوم على أساس أن الفرسان تشكل القوة الضاربة الرئيسية فى جيوشهما ولم يكن ذلك هو الحال فى جيش الاسلام فى أول تكوينه ففى بدر مثلا كانت قوة المسلمين (٣٠٥) رجال وكان معهم فرسان فقط . . لكن مما يدل على حرص الرسول القائد صلى الله عليه وسلم على ملاحقة عصره عنايته الفائقة بتدريب المسلمين على

ركوب الخيل وعلى فنون الحرب بها وعلى اقتنائها ، وهناك أحاديث عديدة يحث فيها صلوات الله وسلامه عليه المسلمين على ذلك :

- « الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة ، الأجر والغنيمة » .
- « عاتبوا الخيل فانها تعتب » (أي أدبوها وروضوها للحرب والركوب فانها تتأدب وتقبل العتاب) .
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا بالله وتصديقا بوعده ، فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة » (أخرجه البخاري) .

- كما رغب عليه الصلاة والسلام في اقتناء الخيل والعناية بها فجعل للفارس عند توزيع الغنائم سهمين ، وجعل للراجل سهما واحدا ، وذلك لكي يستعين الفارس بالسهم الزائد على إعاشة فرسه وإعدادها للحرب .

وكان من أثر ذلك أن كان بعض الفرسان الأشداء يخرج للقتال بفرسين يحارب عليهما ويأخذ أسهمهما كما فعل الزبير بن العوام في غزوة حنين وفي حروب الشام المختلفة .

وهكذا قفزت نسبة الفرسان إلى مجموع جيش المسلمين من شئ يكاد لا يذكر في أول معركة (أقل من واحد بالمائة في بدر) إلى نسبة الثلث في آخر معارك عصر النبوة وهي تبوك إذ كانت قوة المسلمين ثلاثين ألفا بلغت قوة الفرسان فيها عشرة آلاف . . وقد حدث هذا التطور في أقل من سبع سنوات .

ولقد حافظ المسلمون على تطبيق قاعدة التطوير في المجال الحربي حتى شهد لهم الامبراطور البيزنطي (ليو) ـ رغم ما عرف عنه من تعصب ضد العرب والمسلمين ـ فقد نقل عنه فون كريمر في كتابه (الشرق تحت حكم الخلفاء) أنه قال : « إن الجندي العربي ما كان يفترق عن الجندي البيزنطي في المؤن والسلاح » .

ثم إن ما سجله التاريخ بعد ذلك من انتصار الجيوش الاسلامية على جيوش فارس وبيزنطة يعد انتصارا للاستراتيجية العسكرية الاسلامية على استراتيجية كلا الدولتين العظميين لأن الحرب ـ كما هو معروف ـ هي المحك وهي مجال الاختبار الحقيقي للاستراتيجية العسكرية وللكفاية الحربية . فان دل ذلك على شئ فهو يدل على أن الاستراتيجية الاسلامية لم تكن على مستوى عصرها فحسب بل إنها تميزت على الاستراتيجيات المعاصرة في كثير من النواحى .

خامسًا: صفات القيادة

ولقد اجتمعت لدى الرسول القائد أكمل صفات القيادة التي تجعله قدوة القادة في كل زمان . والمعروف في العلم العسكرى أن هناك صفات معينة يجب أن تتوفر في القائد حتى يستطيع أداء مهمته بكفاية ومقدرة ، وأن يرفع معنويات رجاله وأن ينجح في توجيههم نحو الهدف المحدد وفي تحقيقه على أكمل وجه . وقد استخلص الباحثون هذه

الصفات من دراسة وتحليل حياة القـادة العسكريين البارزين ، لكن الأمر الجدير بالذكر والتنويـه أن تلك الصفات جميعا لم تجتمع ـ بطبيعة الحال ـ لدى أحد من القادة بمفرده وإنما هي مجموعة من الصفات التي اتسم بها عدد كبير من القادة ، يختلف كل منهم عن الآخر فيما لديه منها من حيث الكمية والنوع والقوة والضعف .

والباحث المدقق يجد أن كل تلك الصفات ـ بل وصفات أخرى غيرها ـ قد اجتمعت في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا غرو ، فهو المثل الكامل : ـ

١ ـ الصبر وقوة الاحتمال والثبات على المبدأ :

لقد أوذي الرسول عليه الصلاة والسلام في الله في نفسه وأصحابه ، فلم يلحقه جزع ، بل كان شجاعا حكيما وصبورا كريما ، فكم ناله من أذى المستهزئين وكيد المنافقين فما لج بالشكوى بل كان دأبه الصبر مع التفويض لله تعالى حتى جعل له من أمره فرجا . . وكان يقابل الأذى بالصبر الجميل ، ويعامل أعداءه بالمداراة ويتألفهم بحسن المصانعة فكان يقابل الحمق والخرق بالحلم والرفق ، والصلف واللجاج بالوداعة والأناة ، وحسبنا أن نلقي طرفا على تاريخ الدعوة الاسلامية لنعرف كيف كان النبي مثالا في الثبات على المبدأ وهى فضيلة كبيرة في القائد .

أنظر كيف لبث ثلاث سنين يدعو الى الاسلام أقواما جفاة لا دين لهم إلا عبادة الأصنام وحجتهم أنهم يتبعون ما وجدوا عليه آباءهم ، وأخيرا لم يسلم إلا ثلاثة عشر رجلا ، فأى نجاح هذا ؟ . لا شك أنه

غير مشجع ، ولكنه ظل ثابتا على مبدئه مستمرا في دعوته بكل عزم وإرادة ، ثم أنظر إليه وهو يقول لعمه وهو يحاول إقناعه بالرجوع في دعوته عن قريش وترك الدعوة : (والله يا عم ، لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ، على أن أترك هذا الأمر أو أهلك دونه ما تركته) ، ثم نظر كيف تحمل عليه السلام مسئولية ثمان وعشرين غزوة وعشرات من السرايا ، وصراعات اقتصادية واجتماعية وسياسية على الصعيد المحلي والعالمي ومجتمع جديد يتكون بكل جوانبه ومشكلاته ومتناقضاته وتصاعد أحداثه ، ومقابلتـــه لقضايا الحياة اليومية من توفير للأقوات إلى قضاياه الكبرى المصيرية .

٢ ـ الشجاعة والنجدة :

قال ابن عمر : « ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم . . » .

لقد فزع أهل المدينة ذات ليلة إذ سمعوا صوتا قويا غير عادي . فانطلق بعض الناس نحو الصوت ، فتلقاهم رسول الله راجعا وقد سبقهم إلى الصوت وعرف الخبر ، وكان راكبا فرسا عاريا والسيف في عنقه وهو يقول « لن تراعوا » وهكذا كان أسبق القــوم إلى النجدة ، وأسمى مثل على الاستعــداد والتأهــب واليقظة . أما في الحرب فقد برزت شجاعة الرسول القائد صلى الله عليه وسلم بصورة ليس لها مثيل في التاريخ .

(أ) فقد قاد بنفسه ثمان وعشرين غزوة إنطوت على كل صور العمليات الحربية من دفاع وهجوم ومطاردة وحصار ، وقيام القائد بتولي القيادة بنفسه شجاعة لا تؤثر أن تتوارى حيث يتاح لها أن تتوارى .

(ب) لم يكتف بالقيادة ، بل كان يشترك في القتال بنفسه وخاصة في المواقف الصعبة والحرجة من المعركة ، وفي ذلك يقول علي ابن أبي طالب رضي الله عنه : « كنا اذا اشتد الخطب واحمرت الحدق ، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ، ولقد رايتني يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله وهو أقربنا إلى العدو .

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : « والله كنا إذا حمي الوطيس نتقي برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه الشجاع الذي يحاذى به » .

(ج) وفي غزوة حنين لما ولى المسلمون ، طفق الرسول يركض ببغلته نحو الكفار ، قال العباس : وأنا آخذ بلجامها أكفها ألا تسرع ، وكان صلى الله عليه وسلم يركض ببغلته إلى العدو وينوه باسمه فيقول : « أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب » . ولو لم يثبت الرسول عليه السلام مع عشرة فقط من أصحابه في تلك الغزوة لاستطاعت هوازن وثقيف أن تبيد المسلمين .

أن سجل الغزوات حافل بالمواقف التي

يتصدع منها قلب أشجع الشجعان ومع ذلك فقد ثبت الرسول صلى الله عليه وسلم فيها غير مكترث بما يحدق به من أخطار .

٣ ـ التوازن النفسي :

إن الحرب معاناة قاسية وشرسة تتطلب قدرا كبيرا من التوازن النفسي الذي يمكن المقاتل من السيطرة على أعصابه في المواقف الشديدة كالهزيمة مثلا حتى لا تتعرض معنوياته للانهيار ، كما يمكنه من السيطرة على أعصابه أيضا عند إحراز النصر على العدو حتى لا يغفل عن واجب الحذر مثلا ، أو حتى لا يطغيه الفرح ويغريه بالخروج عن آداب الحرب أو أخلاقياتها .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة عليا في التوازن النفسي وحفلت سيرته بصور أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة من التحكم في الأعصاب في أشد المواقف حرجا في السلم والحرب معا :

(أ) فلم يكن سهلا السيطرة على الأعصاب عند تطويق المشركين له ، ولبعض أصحابه في غزوة أحد من كل جانب ، ومع ذلك احتفظ بتوازنه وكافح مع أصحابه حتى استطاع أن يخلص المسلمين من فناء أكيد .

(ب) ولم يكن سهلا السيطرة على الأعصاب يوم الخندق عندما علم بغدر اليهود ونقضهم للعهد ، فأصبح الخطر يهدد قوات المسلمين من خارج المدينة (بعشرة آلاف من الأحزاب) ومـن

داخلها باليهود ، ومع ذلك سيطر على أعصابه فصد الأحزاب وقضى على اليهود .

(ج) ولم يكن سهلا السيطرة على الأعصاب يوم حنين عند انهزام المسلمين ، لكنه ثبت مع عشرة فقط ، تجاه التيار الجارف من مطاردة المشركين واحتفظ بتوازنه النفسي حتى هزم أعداءه . فعاد أصحابه ليروا أسرى المشركين مكبلين بالأصفاد .

(د) تلك أمثلة من توازنه النفسي في وقت الشدة ، أما في وقت الرخاء فأروع ما يذكر من أمثلة ما كان يوم فتح مكة وحصوله على نصر ساحق على قريش التي ناصبته العداء أكثر من عشرين عاما لكنه سيطر على أعصابه ولم يظهر منه أي موقف من مواقف العظمة والجبروت التي أظهرها غيره من القادة عند انتصارهم ، فلم يرفع مثلا شعار المنتصرين في الحرب العظمى الأولى « ويل للمغلوب » بل كانت قولته المشهورة لقريش « إذهبوا فأنتم الطلقاء » .

٤ ـ العدل وعدم الاستعلاء :

كان الرسول عليه الصلاة والسلام يعدل صفوف المسلمين في غزوة بدر فوجد رجلا اسمه سواد خارجا عن الصف ، فطعنه بعصا خشبية كانت في يده وقال : « إستو يا سواد » (أي لكي يستوي في الصف) فقال الرجل : « يا رسول الله أوجعتني ، وقد بعثك الله بالعدل والحق فأقدني » (أي مكني من

القصاص من نفسك) ، فكشف النبي عن بطنه وقال : « استقد » ، (أي خذ القصاص) فتأثر الرجل ، وقبل بطنه الشريف . .

وكان عليه الصلاة والسلام يكره أن يميز نفسه أو يميزه أصحابه بشيء ، حدث أنه كان يطوف بالبيت فقال : أسقوني ، فقالوا : إن هذا الماء يخوضه الناس ، ولكننا نأتيك بماء من البيت . فقال : لا حاجة لي فيه أسقوني مما يشرب منه الناس .

وعند بناء المسجد في المدينة حمل النبي الحجارة والتراب والجريد واللبن كأي فرد من المسلمين ، وكان عليه الصلاة والسلام في سفر وتهيأ أصحابه لاعداد الطعام وتقاسموا العمل فيما بينهم فقال : « وعلي جمع الحطب ، فقالوا : يا رسول الله إنا نكفيك هذا فقال الرسول : « علمت أنكم تكفونني إياه ، ولكني أكره أن أتميز عليكم ، وإن الله يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه » .

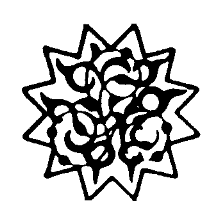
وفي مسير الاقتراب إلى بدر قسم الرسول عليه السلام الابل المتيسرة وعددها سبعون بعيرا بين أصحابه وكان من نصيبه مع علي بن أبي طالب ومرثد بن أبي مرثد الغنوي يعتقبونه (أي يتناوبون ركوبه) تماما كما يفعل أي فرد من أفراد قواته .

وفي غزوة الخندق ، حفر بيده الشريفة ، وحمل الأحجار والأتربة على عاتقه ، قال البراء بن عازب : « كان رسول الله ينقل التراب يوم الخندق حتى اغبر بطنه » .

٥ ـ قوة الشخصية :

أرسلت قريش عروة بن مسعود الثقفي لمفاوضة الرسول عليه السلام في الحديبية ، فعاد الى قريش يقول : « يا معشر قريش ، إني جئت كسرى في ملكه ، وقيصر في ملكه ، والنجاشي في ملكه ، وإني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد : لا يتوضأ إلا أبتدروا وضوءه ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه وإنهم لن يسلموه لشيء أبداً » . . بهذا الوصف الرائع يصف مشرك من أعداء الرسول شخصية النبي الكريم صلى الله عليه وسلم . . إن أهم أسباب هذه الشخصية القوية النافذة التي كان يتحلى بها عليه السلام محبته للناس جميعا ورغبته الشديدة في خيرهم وهدايتهم ، بالاضافة إلى خلقه العظيم ، لقد كان عليه السلام متواضعا حليما رؤوفا رحيما ، ومع ذلك لا يستطيع أحدا ان يرفع صوته فوق صوته ولا يستطيع أحد أن يديم النظر الى وجهه المنير ، ولا يستطيع أحد أن يرد له أمرا أو يتردد في تنفيذه .

ومن الأقوال المشهورة لتشرشل « إن شخصية القائد في نظرى هي كل شيء في الحرب هي الروح التي تحارب بها الجنود ، وهى السلاح الذي يضربون به ، وهي المنبع الذي يستمدون منه قوتهم وإيجابيتهم بالنصر » .



سادسًا: إعداد القادة العسكريين

بلغ عدد القادة الفاتحين الذين حملوا رايات الاسلام شرقا وغربا في أيام الفتح الاسلامي العظيم (١١ هـ - ٩٤ هـ) ستة وخمسين ومائتي قائد (٢٥٦) منهم ستة عشر ومائتا قائد (٢١٦) من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأربعون قائدا من التابعين لهم باحسان رضوان الله عليهم .

من أجل ذلك فان النظرية الاسلامية لاعداد القادة والتي طبقها النبي صلى الله عليه وسلم وجرت عليها سنته تستحق أن نقف عندها بكل التقدير والاجلال ، فهي تشتمل على عدة أسس هى :

١ - اكتساب القائد لصفات المقاتل :

إن بناء المقاتل أساس لبناء القائد ، تلك إحدى حقائق العلم العسكري ، فلا يقود المقاتلين إلا مقاتل .

وقد قررت النظرية الاسلامية لاعداد القادة هذا المبدأ ، ويعتبر منهج الاسلام في « بناء المقاتل » خير المناهج التى تكفل أن تجتمع للفرد المسلم كل السجايا والفضائل الحربية التى تجعلـه مقاتـلا لا يقهر ، كالشجاعة وقوة التحمل والخشونة والحزم والصراحة والغيرة على الشرف ، والنجدة والنخوة والانضباط والطاعة والنظام وتقدير المسئولية والايمان بالحق والقتال عن عقيدة ، كما يكفل منهج الاسلام

أيضا تدريب المقاتل عمليا على القتال وأساليبه .

ـ التحلى بصفات القيادة :

ويوجه الاسلام القادة إلى التحلى بصفات القيادة ، وكان الرسول القائد صلى الله عليه وسلم القدوة المثلى للمسلمين في هذا المجال .

فالمعروف أن هناك صفات معينة يلزم توافرها فى القائد حتى يستطيع أداء مهمته بكفاءة ، وأن يرفع معنويات رجاله ، وأن ينجح في قيادتهم نحو الهدف المحدد وأن ينجح كذلك في تحقيق هذا الهدف على أكمل وجه .

ولقد قام الباحثون بدراسة حياة القادة العسكريين وتحليلها لاستخلاص هذه الصفات ، فوصلوا إلى عدد كبير منها مثل : قوة الشخصية ـ حسن المظهر ـ اليقظة ـ الشجاعة ـ الحسم ـ الثقة ـ قوة التحمل ـ الحماس ـ قوة التأثير ـ التواضع ـ الروح المرحة ـ القدرة على التصرف ـ النزاهة ـ الذكاء ـ الحكمة ـ العدل ـ الولاء ـ المشاركة الوجدانية ـ إنكار الذات ـ إجادة التعبير والخطابة .

وليس من المعقول أن تجتمع جميع صفات القائد الناجح لشخص واحد ، وإنما عادة ما يفتقد القائد بعضها وقد لاحظ الباحثون أن النقص أو الضعف في بعض الصفات تعوضه دائما قوة في البعض الآخر .

فاذا كانت صفات القيادة التي استخلصها

الباحثون هي مجموعة من مزايا شخصيات عديدة برزت في مجال القيادة فان هذه الصفات بل وصفات أخرى غيرها قد اجتمعت في رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو المثل الكامل الذي يقول الله تعالى فيه : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) ـ الأحزاب ٢١ ـ .

وهكذا كان الرسول القائد صلى الله عليه وسلم هو القدوة والمعلم في كمال الأخلاق وكمال العقل وحسن السياسة واحترام النفس والتواضع والصبر وقوة الاحتمال والثبات على المبدأ والوفاء والشجاعة والنجدة واللياقة البدنية وحسن العشرة والثقة المتبادلة وروح الدعابة والمحبة المتبادلة والتوازن النفسي وبعد النظر وقوة الشخصية . . الخ .

٣ ـ المشاركة في التخطيط للمعارك :

من أهم ما يفيد في إعداد قادة المستقبل : اشتراكهم في التخطيط للمعارك ، بالتفكير والمناقشة وابداء الرأي ويدخل ذلك في نطاق مبدأ الشورى الذي أمر به الاسلام وطبقه الرسول صلى الله عليه وسلم خير ما يكون التطبيق حتى قال عنه أبو هريرة رضي الله عنه : « ما رأيت أحدا قط كان أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

ومن وجهة نظر العلم العسكري فان الشورى تحقق أهدافا بالغة الأهمية نذكر منها : ـ

(أ) تدريب الأفراد على فن التفكير واستخدام

العقل والتعبير عن الرأي .

(ب) تدريبهم على حل المشكلات بالطريقة العلمية ، والطريقة العلمية هي المدخل الصحيح للوصول إلى القرار السليم ، على أساس من تحديد الأهداف بوضوح وتحليل وفحص المعلومات والمعطيات ، واستعراض البدائل والحلول المختلفة للمشكلة موضع البحث ، واختيار الحل أو البديل الأفضل ثم اختبار هذا الحل وتقييمه ، ومن خلال هذا التدريب يكتسب قادة المستقبل المعرفة والقدرة على إصدار القرارات السليمة في الوقت المناسب وهي من أهم مطالب القيادة الناجحة .

(ج) تدريبهم على المبادأة والتصرف السليم في المواقف التي تواجههم دون الحاجة إلى الرجوع إلى القيادة وخاصة في المواقف المفاجئة أو التي لا تحتمل الانتظار أو التأخير وذلك لأن مشاركتهم في التخطيط تتيح لهم معرفة واسعة بنوايا القائد وأهدافه وإحاطة وافية بجوانب الموضوع وأبعاده ، تمكنهم من اتخاذ القرار السليم في المواقف بهدي تفكيرهم وحده .

والامثلة على تطبيق مبدأ الشورى في الاسلام اكثر من ان تحصى ، ففي المجال العسكرى استشار الرسول صلى الله عليه وسلم اصحابه في كافة غزواته عدا غزوة الحديبية لانه كان يصر فيها على نواياه السلمية التي تؤمن الاستقرار الضروري لانتشار الاسلام ، وكان يصدر في ذلك عن حكمة

وبعد نظر وسياسية رشيدة أدركها اصحابه فيما بعد حين رأوا ما حققه الصلح من خير للدعوة .

ففى غزوة بدر مثلا استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في مبدأ دخولهم المعركة ضد قريش ، واستقر الرأي على قبول المعركة ، وعندما وصل جيش المسلمين الى مكان المعركة نزل الرسول على رأي الحباب بن المنذر الذى اشار بان ينتقل الجيش الى مكان آخر أفضل من الأول لانه قريب من ماء بدر ويسيطر عليه .

وفي غزوة آحد استشار النبي أصحابه في مبدأ البقاء في المدينة ولقاء قريش فيها او لقائهم خارجها ، فاستقر الرأي على الخروج ، واستجاب الرسول صلى الله عليه وسلم وقال لهم : « لكم النصر ما صبرتم » . .

٤ ـ تولي القيادة الفعلية لعمليات القتال المحدودة :

مما لا شك فيه ان تولي القيادة الفعلية ومباشرة مسئولياتها ، هو تتويج للجهود التي تستهدف اعداد القادة ، اذ أن من مبادىء الاعداد والتدريب المعروفة ، الانتقال من المرحلة « النظرية » في الدراسة الى مرحلة « التطبيق العملي » .

لكن الحكمة تقضي وخاصة في المجال العسكري ان يكون هذا الانتقال تدريجيا من الاعمال البسيطة الى الاعمال الكبيرة ، وأن يكون ذلك كله تحت اشراف القائد المعلم وتوجيهه .

وهذا ما فعله الرسول القائد المعلم صلى الله عليه

وسلم ، فقد عهد الى اصحابه بالقيادة في اشكال متعددة من اعمال القتال المحدودة مثل دوريات الاستطلاع ودوريات القتال ، والاغارات . ومن خصائص هذه العمليات انها محدودة من حيث الاهداف والقوة التي تكلف بها ، اذ تتراوح تلك القوة بين بضعة افراد وبضع مئات ، وتعتبر مقدمة بالغة الاهمية لتولي مهام اكبر منها ، فهي تفيد القائد ـ الى جانب اكتساب الخبرة القتالية ـ في دراسة الارض والطرق ومصادر المياه واستطلاع احوال العدو والدخول معه في تجربة القتال الفعلى لسبر اغواره واختبار قوته وقدراته القتالية والتعرف على اساليبه في القتال .

ومن امثلة عمليات القتال المحدودة التي عهد الرسول الى الصحابة بقيادتها ما يلي :

أ ـ دوريات الاستطلاع :

سرية عبد الله بن جحش وقوتها ١٢ رجلا في شهر رجب من السنة الثانية للهجرة .

ب ـ دوريات القتال :

* سرية حمزة ـ وقوامها ٣٠ رجلا بقيادة حمـزة بن عبد المطلب في رمضان من السنة الاولى للهجرة .
* سرية عبيد بن الحارث ـ وقوامها ٦٠ رجلا بقيادته في شوال من السنة الاولى للهجرة .

جـ ـ الاغارات :

* سرية ابي سلمة ـ وقوامها ١٥٠ رجلا بقيادة ابي سلمة بن عبد الاسد في ذي الحجة من السنة الثالثة من الهجرة .

* سرية عكاشة ـ وقوامها ٤٠ رجلا بقيادة عكاشة بن محصن الاسدى في ربيع الاول من السنة السادسة للهجرة .

٥ ـ قيادة وحدات الجيش تحت القيـادة العليـا للرسول ﷺ

وهذه صورة أخرى من صور اعداد القادة ، وفيها يتولون قيادة الوحدات التي يتألف منها جيش المسلمين تحت القيادة العليا للرسول عليه الصلاة والسلام وهذا الاسلوب يعود على القادة بعدة مزايا نذكر منها :

أ ـ مباشرة القيادة الفعلية تحت اشراف القائد المعلم الذي هو في نفس الوقت القائد العام للمعركة ، ويتيح لهم ذلك ، الافادة من ملاحظاته وتوجيهاته .

ب ـ اتاحة الفرصة العملية لملاحظة اسلوب القائد المعلم في القيادة الحربية في كل نواحى التخطيط للمعركة وادارتها وتصرفه فى مواقفها المختلفة ، وهي فرصة ممتازة للتعلم (على الطبيعة) واكتساب الخبرة القتالية في نفس الوقت .

وقد اتاح الرسول القائد صلى الله عليه وسلم تلك الفرصة لاصحابه على امثل وجه كما يتبين من التحليل التالي : ـ

أ ـ بلغ مجموع أعمال القتال المختلفة التي دارت فى عهد الرسول اكثر من ستين عميلة ، تولى الرسول بنفسه قيادة ثمان وعشرين عملية منها .

ب ـ أحتوت تلك العمليات التي قادها الرسول بنفسه على شتى صور واشكال العمليات العسكرية كما يتبين مما يلي : ـ

- دوريات القتال والاغارات :

  مثل غزوة الابواء ـ غزوة بواط ـ غزوة العشيرة ـ غزوة بدر الاولى ـ غزوة بني سليم . . الخ .

- المعارك الدفاعية :

  مثل غزوة بدر ـ غزوة احد ـ غزوة الخندق .

- المعارك الهجومية :

  مثل غزوة فتح مكة ـ غزوة حنين ـ غزوة تبوك .

- عمليات الحصار :

  مثل غزوة بني قريظة ـ حصار الطائف .

- مهاجمة القرى والمواقع الحصينة والقتال في المدن :

  مثل غزوة خيبر .

- عمليات المطاردة :

  مثل غزوة حمراء الاسد .

وهكذا قدم الرسول القائد المعلم لاصحابه القدوة والمثل في قيادة كافة اشكال الاعمال العسكرية ، هذا بالاضافة الى انه عليه الصلاة والسلام كان يكلفهم بقيادة الواحدات التي يتألف منها الجيش تحت قيادته في المعركة كما ذكرنا ، ومن امثله ذلك :

- في غزوة بدر كان الجيش يتألف من كتيبتين : كتيبة المهاجرين يقودها علي بن ابي طالب ، وكتيبة الانصار ويقودها سعد بن معاذ .
- في غزوة الفتح كان الجيش يتألف من أربعة ارتال يقودها اربعة من القادة هم : الزبير بن العوام ، وخالد بن الوليد ، وسعد بن عبادة ، وابو عبيدة بن الجراح ، ثم انه اذا ما راجعنا سجل الغزوات الثماني والعشرين التي قادها النبي بنفسه وامعنا النظر في « التوزيع

الزمني والكمي » لهذه العمليات فسوف نخرج بالحقائق التالية : ـ

فى السنة الثانية للهجرة :	عدد العمليات	٨
فى السنة الثالثة للهجرة	عدد العمليات	٤
فى السنة الرابعة للهجرة :	عدد العمليات	٣
فى السنة الخامسة للهجرة :	عدد العمليات	٤
فى السنة السادسة للهجرة :	عدد العمليات	٣
فى السنة السابعة للهجرة	عدد العمليات	٢
فى السنة الثامنة للهجرة :	عدد العمليات	٤
	المجموع	٢٨

نستخلص من هذه الحقائق ما يلي :

أ ـ ان الرسول القائد صلى الله عليه وسلم حرص على مباشرة القيادة بنفسه طوال فترة الصراع وعلى امتدادها من السنة الثانية الى السنة الثامنة للهجرة ، وفي كل سنة من سنواتها بلا استثناء ، مع اتاحته الفرصة ـ في الوقت نفسه ـ لاصحابه لكي يتولوا قيادة غيرها من اعمال القتال .

ب ـ ان النبي صلى الله عليه وسلم قاد في السنة الثانية للهجرة ـ وهي بداية الصراع ـ اكبر عدد من اعمال القتال وهو ثماني غزوات بينما لم يزد متوسط عدد العمليات التى قادها في السنوات التالية عن ٣ ـ ٤ عمليات سنويا .

وهذا التركيز ـ في العام الاول للصراع المسلح ـ له دلالاته التى لا تفوت القائد المحنك الخبير بفن الحرب ، ويعد في نظر الاستراتيجية العسكرية من علامات القيادة الحربية الفذة ، كما يعتبر ـ في مجال اعداد القادة

للمستقبل ـ درسا عمليا من اعظم الدروس التي يقدمها القائد المعلم :

- فهو يتيح للقائد الاعلى ـ في بداية الصراع وقبل تصاعده ـ الفرصة لدراسة مسرح العمليات دراسة شخصية من الناحية الطبوغرافية مثل طبيعة الارض واحوال الطرق والمسالك والدروب والهيئات الطبيعية وموارد المياه . . الخ .

والديموجرافية مثل تركيب السكان وتوزيعهم ومظاهر الكثافة والتخلخل السكاني وغيرها مما يمكن القائد الأعلى من رسم استراتيجية شاملة لادارة الصراع من حيث الاهداف والوسائل . . الخ . .

- ويتيح للقائد كذلك الفرصة لدراسة العدو عن طريق الاحتكاك المباشر ، وتقييم كفاءته القتالية ماديا ومعنويا ، ودراسة اساليبه في القتال واسلحته التي يقاتل بها واكتساب الخبرة القتالية .
- هذه الدراسات الشخصية الشاملة ، تمكن القائد من التخطيط السليم لجميع العمليات الحربية المقبلة في ضوء تصوره للصراع ومداه واتجاهاته .

× ونتيجة لذلك تنمو لدى القائد ثقته في نفسه وفي كفاءته وقدراته ، كما تنمو لدى سائر رجاله ـ فى نفس الوقت ـ ثقتهم في انفسهم وفي قائدهم ، فيواجهون تحديات الصراع المقبلة واثقين في النصر .

٦ ـ تولى مركز القائد الثانى فى المعركة :

ومن صور التدريب على القيادة ان يعين القائد في المركز

التالي للقائد الاساسى وهذا يمنحه الفرصة لمباشرة القيادة اذا غاب القائد الاصلي عن المعركة لاصابته او استشهاده او لأي سبب آخر .

وقد أتاح الرسول القائد صلوات الله وسلامه عليه لأصحابه تلك الفرصة أيضا فكان حريصا على أن يعين مع القائد الذي يعقد له لواء القيادة قائدا ثانيا بل وثالثا في بعض الأحيان ، ومن ذلك مثلا تعيين عمير بن هشام قائدا ثانيا مع علي بن أبي طالب قائد كتيبة المهاجرين في بدر ، وتعيين جعفر بن أبي طالب قائدا ثانيا ويليه عبد الله بن رواحه مع زيد بن حارثة القائد الاصلي في غزوة مؤته .

٧ ـ تولي القيادة المستقلة للمعارك الكبيرة :

وتلك أرقى صور إعداد القادة ، حيث يباشر القائد مسئولية القيادة كاملة لاحدى المعارك الهامة ، ويكون فيها مستقلا في إدارته للمعركة ، يواجه المواقف وحده ويتخذ القرارات وحده دون الرجوع إلى القائد الاعلى ، ومن الطبيعى أن يكون كل ذلك ضمن الاطار العام للاستراتيجية العليا التي قررها القائد الأعلى .

وقد أتاح الرسول القائد تلك الصورة من صور الاعداد للقيادة في تعيينه لزيد بن حارثه الكلبي لقيادة الجيش في مؤته ، وفي تعيينه لاسامة بن زيد لقيادة جيش المسلمين لغزو الروم وهي البعثة التي أنفذها أبو بكر رضي الله عنه فور توليه الخلافة .

الجهاد باللسان : قال الرسول القائد عليه الصلاة والسلام « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم »

وقال عليه الصلاة والسلام لحسان بن ثابت وكان من شعراء الاسلام « يا حسان اهـج المشركين وجبريل معك ، اذا حارب أصحابى بالسلاح فحارب أنت باللسـان »

وقال أيضا « إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذى نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبـل »

(نضح النبل يعني الرمي بالسهام) .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعبد الله بن رواحه « بين يدي رسول الله وفي حرم الله تقول الشعر ؟ فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام : خل عنه يا عمر ، فلهي ـ يعني القصيدة ـ أسرع فيهم من نضح النبل » .

وفي رواية : خل عنه يا عمر ، فوالذي نفسي بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبل (   ) .

وتدل هذه الأحاديث على وجوب الجهاد بالنفس والمال واللسان :

(أ) الجهاد بالنفس : وهو القتال المباشر .

(ب) الجهاد بالمال : وهو بذل المال في إتمام ما يحتاج إليه في الجهاد كالسلاح ونحوه وهذا ما يستفاد من آيات الجهاد التي وردت في القرآن الكريم (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم) .

(ج) الجهاد باللسان : باقامة الحجة على الأعداء ، ودعائهم إلى الله تعالى ، ورفع الاصوات عند اللقاء

ويزجرهم ترويعا لهم ونحو ذلك من كل ما فيه نكاية للعدو .

قال تعالى :

(ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح) ـ « التوبة ١٢٠ » .

وتدل الأحاديث أيضا على أن الجهاد باللسان لا يقل أهمية ولا أثرا عن الجهاد بالنفس والمال ، بل قد يكون أشد أثرا على الأعداء من القتال .

نستخلص من ذلك المبادئ الاساسية الآتية :

(أ) الجهاد باللسان واحد من أساليب جهاد الاعداء .

(ب) الجهاد باللسان واجب وجوب الجهاد بالنفس والمال .

(ج) الجهاد باللسان قد يكون أسرع وأشد تأثيرا على الاعداء من القتال .

اللسان سلاح معنوي شديد التأثير :

والواقع أن العلم العسكرى وخبرة الحروب يجمعان على أن الحرب النفسية سلاح فعال وشديد التأثير في المعركة ويساهم مساهمة كبيرة مع أعمال القتال وغيرها من أساليب الصراع في تحقيق الانتصار بسرعة وبأقل الخسائر في الأرواح والمعدات .

والحرب النفسية أخطر أنواع الحروب لأنها تستهدف في المقاتل عقله وتفكيره وقلبه ، لكي تحطم روحه المعنوية وتقضي على إرادة القتال فيه ، وتقوده بالتالي نحو الهزيمة .

ومن هنا جاءت خطورة سلاح الحرب النفسية الذي

أصبح في العصر الحديث يحتل مكان الصدارة بين أسلحة الحروب ، والذي يؤمن العسكريون بأنه قد يكون أشد أثرا من الاسلحة الاخرى في تحقيق هدف النصر بسرعة وبأقل الخسائر ، وهذا هو ما عبر عنه قول الرسول القائد عليه الصلاة والسلام « خل عنه يا عمر ، فوالذي نفسي بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبل » .

ولقد نوه القادة والزعماء بأهمية الحرب النفسية وأثرها في إدارة الصراع وفي نتائجه فمن ذلك قول القائد الالماني روميل : « إن القائد الناجح هو الذي يسيطر على عقول أعدائه قبل أبدانهم » .

وقول الجنرال ديجول : « لكي تنتصر دولة ما في حرب عليها أن تشن الحرب النفسية قبل أن تتحرك قواتها إلى ميادين القتال ، وتظل هذه الحرب تساند هذه القوات حتى تنتهي من مهمتهما » .

ويقول تشرشل « كثيرا ما غيرت الحرب النفسية وجه التاريخ » .

ونذكر فيما يلي بعض الأمثلة من صور الحـــرب النفسية وأشكالها التى زخرت بها معارك الاسلام في عصر النبوة .

١ ـ الشعارات والهتافات :

اتخذ المسلمون الشعارات والهتافات لتحقيق عدة أهداف منها التعارف فيما بينهم أثناء الالتحام بالاعداء أو فى الظلام ومنها اثارة انفعالات الشجاعة والحماسة في نفوسهم مع ترويع العدو وبث الرهبة والخوف في قلبه ، ومن أمثلة صيحات القتال التي

استخدمها المسلمون في عصر النبوة « أحد ، أحد في غزوة بدر ، و « أمت أمت » في غزوة أحد ، ومنها أيضا « يا خيل الله إركبي » في غزوة ذي قرد ، هذا إلى جانب التكبير الذي كان شعار كل مسلم « الله أكبر » .

وما تزال كل الجيوش في هذا العصر تتخذ لرجالها صيحات للقتال تحمسهم وتحفزهم إلى الاقدام والاستبسال في المعركة ، وهي تستند في هذا على ادراكها للعوامل النفسية وأثرها على إرادة القتال .

٢ ـ التفريق بين العدو وحلفائه :

في غزوة الخندق تجمعت قوى قريش والقبائل الأخرى واليهود للقضاء على المسلمين وحدث أن جاء نعيم بن مسعود الغطفاني (وكانت غطفان من القبائل التى انضمت إلى قريش في التجمع المذكور) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره أنه أسلم ولم يعلم قومه ، وطلب منه أن يأمره بما يشاء فقال له الرسول « إنما انت رجل واحد ، فخذل عنا ما استطعت فإن الحرب خدعة » .

فقام نعيم بهذه المهمة بأسلوب بارع حاذق بحيث حققت مهمته هدفها في الوقيعة بين المتحالفين وفي إزالة الثقة فيما بينهم .

فقد ذهب نعيم إلى يهود بني قريظة ـ وكان لهم نديما في الجاهلية ـ فقال لهم : « قد عرفتم ودي إياكم ، وقد ظاهرتم قريشا وغطفان على حرب محمد ، وليسوا كأنتم البلد بلدكم به أموالكم وأبناؤكم

ونساؤكم لا تقدرون أن تتحولوا منه ، وإن قريشا وغطفان إن رأوا نهزة (أي فرصة) وغنيمة أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين محمد ، ولا طاقة لكم به ، فلا تقاتلوا حتى تأخذوا منهم رهنا (رهائن) من أشرافهم حتى تناجزوا محمدا » .

قالت بنو قريظة : أشرت بالنصح ولست عندنا بمتهم . .

ثم خرج نعيم إلى قريش فقال لهم : « بلغني أن قريظة ندموا ، وقد أرسلوا إلى محمد : هل يرضيك عنا أن نأخذ من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقي منهم ، فأجابهم أن نعم .

فإن طلبت قريظة منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا لهم رجلا واحدا . . وجاء نعيم غطفان فقال لهم « أنتم اهلي وعشيرتي » وقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم .

أرسل أبو سفيان وسادة غطفان إلى قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان في ليلة سبت وطلبوا منهم الاستعداد للهجوم نهار السبت ، ولكن قريظة اعتذروا بأنهم لا يقاتلون يوم السبت ، ثم طلبت رهائن من قريش وغطفان قبل أن تشرع بأي هجوم .

قالت قريش وغطفان : لقد صدق نعيم . .

ولما رفض طلب قريظة بأعطائها رهائن من قريش وغطفان قالت : لقد صدق نعيم . . وهكذا

كانت دعوة نعيم البارعة سببا في تفريق جمع الاعداء .

٣ ـ تحييد القوى الأخرى وحرمان العدو من مخالفتها :

اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة سياسة تقوم على عقد الاتفاقات والمعاهــدات مع مختلف القبائل لكفالة حرية الدعوة وحسن الجوار والمعاملة ، وكانت النتيجة المباشرة لتلك المعاهدات حرمان قريش من قوى كان يمكنها أن تتحالف معها وتشد أزرها في صراعها مع المسلمين .

٤ ـ زعزعة ثقة العدو في احراز النصر :

وتعتبر غزوة الفتح مثلا فذا في هذا المجال فلقد أدى التخطيط العبقرى الذي وضعه الرسول القائد صلى الله عليه وسلم الذي اعتمد فيه إلى أقصى حد على العوامل النفسية إلى زعزعة ثقة قريش في إمكان النصر على المسلمين ، حتى لقد قال زعيمهم أبو سفيان لقومه « يا معشر قريش »؛ هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به . . » .

وقد حقق تخطيط رسول الله أهدافه بفتح مكه بلا قتال .

٥ ـ التخويف والضغط النفسي :

كتب أبو سفيان الى الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « نريد منك نصف نخل المدينة فان أجبتنا الى ذلك ، وإلا أبشر بخراب الديار وقلع الآثار » .

تجاويـــت القبائـــل من نزار لنصر الـلات في البيـت الحرام
وأقبلـت الضراغـــم من قريش على خيـــل مسومـــة ضرام

فأجابه الرسول بكتاب جاء فيه « وصل كتاب أهل الشرك والنفاق والكفر والشقاق وفهمت مقالتكم ، فوالله ما لكم عندي جواب إلا أطراف الرمـــاح ، وأشفار الصفاح ، فارجعوا ويلكم عن عبادة الأصنام وأبشروا بضرب الحسام وبفلق الهام ، وخراب الديار وقلع الآثار » .

طرق الوقاية من الحرب النفسية في الاسلام

١ ـ الأيمان وقوة العقيدة :

تقرر المدرسة الاسلامية أن العقيدة الراسخة المؤسسة على الايمان الذي لا يتزعزع هي الركيزة العظمى لتحصين المجاهد ضد الحرب النفسية .

فالمؤمن إيمانا كامـــلا لا يخـــاف الوعيـــد ولا يرهب التهديد ، وليس جبانا رعديدا كاؤلئك الذين يقول الله فيهم :

(فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظروف اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت) .

بل إن المؤمن لا يزيده التهديـــد والوعيـــد وأساليب الحرب النفسية المختلفة الا إيمانا وثباتا واستعدادا للبذل والتضحية كأولئك الذين قال فيهم جل شأنه :

(الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) .

ويتفق علماء النفس وخبراء الحرب النفسية على أن الحرب النفسية « تؤثر بفعالية أكثر على الجنود الخالين من العقائد الثابتة وذوي الوعى السياسي الضيق وغير المثقفين » .

لذلك كان الأيمان بالنسبة للمسلمين نورا يهديهم وكان بالنسبة للاعداء صخرة تتحطم عليها أساليبهم ومحاولاتهم للنيل من معنويات المسلمين .

٢ ـ الوعي والمعرفة بأهداف العدو وأساليبه في الحرب النفسية :

عني القرآن أشد العناية بكشف أهداف أعداء الاسلام والمسلمين من الكفار والمنافقين وأساليبهم ومحاولاتهم للتفريق بين المسلمين والقضاء على وحدتهم وأمتهم وللتخذيل والتوهين وتثبيط العزائم ، وأرشد المسلمين إلى طريق مواجهتها ومقاومتها والقضاء عليها .

والواقع أن الوعي والمعرفة بأهداف العدو وأساليبه في الحرب النفسية من أهم وسائل تحصين المقاتلين ضد آثار تلك الحرب ، فهي ـ من وجهة نظر علم النفس ـ تجعل المقاتل مستعدا استعدادا نفسيا لمواجهتها وعدم التأثر بها وخاصة إذا كان مسلحا ـ بالاضافة إلى هذا الوعي والمعرفة ـ بالايمان القوي والعقيدة الراسخة .

(أ) فضح محاولات التفرقة ومقاومتها :

قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم

بعد إيمانكم كافرين) ـ آل عمران ١٠٠ ـ .

والمعنى أن الله تعالى كأنه يقول : هؤلاء أعداؤكم يعملون دائما على تفريقكم ومحاولة إضلالكم والايقاع بينكم . فإن تطيعوهم فإنهم لا يكتفون منكم بتفرق يوهن قوتكم ويزلزل اخوتكم وإنما يظلون يتابعون عملهم ضدكم حتى تكفروا وتخضعوا لهم وتصيروا مثلهم :

(يردوكم بعد إيمانكم كافرين) .

وينهى الله تعالى عن التفرق الذى هو الضعف والفشل فيقول :

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) .

ويأمر المسلمين أن يذكروا ما كانوا عليه في الجاهلية من عداوة وتقاتل وتفرق مما تسبب عنه إضعاف شأنهم وتسلط عدوهم عليهم .

(واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمتة اخوانا) . ـ آل عمران ١٠٣ ـ .

(ب) كشف محاولات التخذيل وتثبيط العزائم :

يقرر القرآن الكريم أن الدور الذي لعبه أعداء الدين في التخذيل وتثبيط العزائم وإضعاف الهمم له خطورته إذا انساق في تياره

أبناء الأمة ، ويوضح أنه كلما لقيت دعواتهم آذانا صاغية فإنهم يفرحون بذلك ويستبشرون وهذا شأنهم في كل عصر .

ومن الأمثلة التي أوردها القرآن في هذا المجال أؤلئك المنافقون الذين دعوا المسلمين ـ عندما أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بالاعداد لغزوة تبوك ـ إلى أن يتخلفوا عن الرسول ولا ينفروا في لظى الشمس ووهج الحر . . فجاءت الآية الشريفة تحذر من اتباعهم وتنبئهم أن جهنم أشد حرا وتطلب من الرسول ألا يستعين بهم في غزوة أخرى .

قال تعالى : (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون . فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون . فإن رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين) (التوبة ٨١ ـ ٨٣) .

إزالة آثار الحرب النفسية

وقد وضع الرسول صلى الله عليه وسلم عدة مبادىء لازالة آثار الحرب النفسية نذكر منها على سبيل المثال :

١ ـ المواجهة بالحقيقة الدامغة

ليس هناك مثل الحقائق وسيلة للقضاء على الحرب النفسية وإزالة آثارها تلك حقيقة علمية يقررها علماء النفس وخبراء الحرب النفسية .

فإن غيبة الحقيقة تولد لدى الانسان فراغا فكريا يجعله فريسة سهلة للاشاعات والأخبار المضللة التى يذيعها الأعداء مستغلين ذلك المناخ الذي يتهيأ لهم لتحقيق أغراضهم في تدمير الروح المعنوية .

ولا تفلح وسائل تكذيب الاشاعات والأخبار المضللة في إزالة تلك الآثار الهدامة كما تفلح الحقيقة التي هي السبيل الأوحد لقطع الشك والقضاء على البلبلة والغموض .

ومن الأمثلة التي تساق في هذا المجال ما حدث في غزوة أحد من إشاعة قتل النبي وكان صدور هذه الإشاعة في وقت عصيب وفي ظروف بالغة القسوة فكان لها أثر في نفوس المسلمين فخارت قواهم وألقى كثير منهم ما معهم من سلاح .

فكان رد الرسول القائد على إشاعة مقتله أن صعد فوق الجبل ليطمئن أصحابه ويرد إليهم الثقة في أنفسهم وكان عليه الصلاة والسلام ينادي « إلي يا فلان إلي يا فلان أنا رسول الله » .

وهكذا كانت الحقيقة الدامغة بوجود رسول الله بنفسه حيا أبلغ رد يقضي على ما أشيع عن مقتله ولم تؤد هذه الحقيقة الى إزالة الآثار المعنوية للاشاعة فحسب بل أدت دورها الايجابي الفعال في تجميع القوى المبعثرة وفي رد الثقة في النصر إلى المسلمين .

٢ ـ إزالة الآثار بالعمل العسكرى :

ويصل اهتمام المدرسة الأسلامية بازالة آثار الحرب النفسية إلى القيام بالعمل العسـكرى إذا اقتضى الامر . فانه بعدما كان في أحد جعل الرسول القائد صلوات الله وسلامه عليه يفكر فيما خلفته الهزيمة من آثار على هيبة المسلمين : ـ

(أ) فأهل يثرب من اليهود والمنافقين والمشركين يظهرون أشـد السرور لما كان من هزيمـة أصحابه .

(ب) وسلطان المسلمين بالمدينة الذي كان قد استقر فلم يبق لأحد أن ينازع فيه يوشك أن يضطرب ويتزعزع .

(ج) وكبير المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول قد خرج على الجماعة وعاد من أحد ولم يشترك في القتال بدعوى أن محمدا لم يسمع رأيه أو أن محمدا غضب على مواليه من اليهود .

(د) ولو ترك أمر نتيجة المعركة على النحو الذي انتهت إليه لبقيت الهزيمة الكلمة الأخيرة بين المسلمين وقريش ، ولهان أمر محمد وأصحابه على العرب ولتضعضع سلطانهم بالمدينة ولكانوا عرضـة لاستخفاف قريش واستهزائها بهم في أنحاء شبه الجزيرة . وهكذا كان لابد من ضربة جريئة تخفف من وقع هزيمة أحد وترد إلى المسلمين قوتهم المعنوية وتدخل إلى روح اليهود والمنافقين الرهبة وتعيد إلى محمد وأصحابه سلطانهم بيثرب قويا كما كان .

فلما كان الغد من يوم أحد أمر الرسول القائد صلوات الله وسلامه عليه المسلمين بالخروج لمطاردة العدو على ألا يخرج إلا من حضر الغزوة فخرج المسلمون حتى بلغوا حمراء الأسد .

فوقع في روع أبي سفيان أن أعداءه جاءوا من المدينة بمدد جديد وأبلغه معبد الخزاعي « أن محمدا قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قد وقع . اجتمع معه من كان تخلف عنه وكلهم أشد ما يكون عليكم حنقا ومنكم للثأر طلبا » .

فخاف أبو سفيان لقاء المسلمين لكنه فكر فيما يؤدي إليه فراره من آثار فلجأ إلى الحيلة وإلى أساليب الحرب النفسية فأرسل إلى المسلمين من يبلغهم أنه قد أجمع السير إليهم ليستأصل بقيتهم (أسلوب التخويف) .

لكن الرسول صلى الله عليه وسلم لما بلغته رسالة أبي سفيان لم يتضعضع عزمه بل ظل في مكانه يوقد النار طيلة الليل ثلاثة أيام متتابعة ليدل قريشا على أنه على عزمه وأنه منتظر رجعتهم .

وأخيراً فترت همة أبي سفيان وقريش وعادوا أدراجهم إلى مكة ورجع المسلمون إلى المدينة وقد استردوا الكثير من هيبتهم .

ثامنًا: التدريب على القتال

١ ـ تقوية الأجسام : ـ

حث الأسلام على تعلم السباحة وركوب الخيل والسباق في الجرى والسباق بين الفرسان على الخيل أو الابل ، والمصارعة ورفع الأثقال إلى غير ذلك من ألوان التربية البدنية والرياضية التى تبني الجسم القوي السليم ، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » . وقال : « إن لبدنك عليك حقا » وكان عليه السلام يتمتع بلياقة بدنية قوية فكان يصرع الرجل القوي ويركب الفرس عارية فيروضها على السير ، وكان يداعب من يحب بالمسابقة في العدو .

٢ ـ التدريب على السلاح والرماية :

وحث الأسلام على التدريب على الرماية بالقوس والنضال بالسهام والطعن بالرمح والحربة ، والضرب بالسيف وهي أسلحة القتال المعروفة في ذلك الوقت وقد عني النبى صلى الله عليه وسلم عناية فائقة بتدريب المسلمين على الرمى فقال :

- « ألا إن القوة الرمي » (وكررها ثلاثا) .
- « إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة ، صانعه المحتسب فى عمله الخير ، والرامي به ، والممد به ، فارموا واركبوا ، وأن ترموا أحب إلى من أن تركبوا » .

- « كل ما يلهو به المرء المسلم باطل ، إلا رميه بقوسه ، وتأديب فرسه ، وملاعبة أهله » .
- ويروى أن بعض الأحباش كانوا يلعبون بحرابهم عند النبي عليه السلام في المسجد فدخل عمر رضي الله عنه فأنكر عليهم ذلك فقال النبي : « دعهم يا عمر » . وهكذا سمح باتخاذ المسجد ميدانا للتدريب ، وقد بلغ من تقدير المسلمين للتدريب أن بعضهم كان يتدرب حتى في يوم العيد .
- ومر عليه الصلاة والسلام بموضع كان الصحابة يتدربون فيه على الرمى ، فنزع نعليه وقال : « روض من رياض الجنة » . . يقصد أن العمل الذى يعمل في هذا الموضع (وهو التدريب على الرمى) يوجب روضة من رياض الجنة .

٣ ـ الفروسية والقتال على الخيل :

وقد عني النبى عليه السلام بتدريب المسلمين على ركوب الخيل والقتال عليها وشجعهم على اقتنائها كما قدمنا .

تاسعًا: الانضباط والتقاليد العسكرية

للمجتمع العسكرى فى كل مكان تقاليد عسكرية خاصة تقتضيها طبيعته . ويعتبر تعلم الجندي لهذه التقاليد

وتعويده عليها أساسا لتحوله من مواطن « مدني » إلى رجل « عسكري » .

وعادة ما يرى المواطن العادي في هذه التقاليد نوعا من القيد على حريته ، إذ يدخل بيئة جديدة عليه ، وحياة خشنة تحكمها أوامر وتعليمات وقوانين ، وتتطلب منه نوعا من السلوك المنظم الدقيق إلى غير ذلك مما لم يكن مألوفا لديه في حياته قبل الجندية .

من أجل ذلك كانت مرحلة الاعداد الأساسية التي يقضيها الجندي في مستهل حياته العسكرية والتي تقوم على غرس التقاليد العسكرية فيه ، من أخطر المراحل التي توليها الجيوش كل عنايتها حتى تتم عملية التحويل بصورة صحيحه لا تترك مضاعفات أو آثارا نفسية ضارة في نفس الجندي تصاحبه طوال خدمته في الجيش فتعيق حركته وتضعف من إيجابيته وقد تضعف من إرادته على القتال في الحرب وهنا يكمن الخطر كله .

إن الناس في نظرتهم للجندية في أي مجتمع يتفاوتون في إقبالهم عليها وفهم مغزاها ، فمنهم من يؤديها امتثالا للقانون ومن يؤديها خدمة للوطن وتريد القيادة أن تجعل من هؤلاء وأولئك محاربين يخوضون الحرب ، فيقاتلون بارادة قوية وعزيمة لا تلين ويقدمون أرواحهم فداء للهدف الذي يقاتلون من أجله لذلك تضع كل القيادات نظما معينة للتربية الأساسية للجندي تصب فيها كل خبرات العسكريين وأساتذة العلوم السلوكية ، ومع ذلك فلا يستطيع أي جيش أن يدعي أنه قد وجد العلاج الناجح لتلك المشكلة .

ومهما أجهد الخبراء والمربون أنفسهم في ذلك فان الطريق الذي يؤخذ من توجيهات الاسلام هو أمثل الطرق وأضمنها وأحكمها على الاطلاق :

١- فالطاعة :

التي تقع على رأس قائمة التقاليد العسكرية يأمر بها الاسلام ويوضح فلسفتها ومغزاها الاجتماعي فليست الطاعة « خضوعا للسلطة » بل هي « ضرورة اجتماعية » لصالح الجماعة فالله تعالى يقول : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » .

وأولوا الأمر هم الذين ائتمنهم الله على من هم في رعايتهم ممن هم دونهم في الرتبة ويقول جل شأنه : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) .

ويوضح الرسول عليه الصلاة والسلام ضرورة القيادة لصالح الجماعة فيقول : « إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم » .

كما يأمر بالطاعة فيقول : « اسمعوا وأطيعوا وأن ولي عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة » .

لكن الطاعة التي يريدها الاسلام ليست عمياء بل هي الطاعة الواعية البصيرة « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » وقد دعم الاسلام الطاعة وعمليا في العبادات .

٢ ـ والنظام والنظافة وحسن المظهر :

وهي من التقاليد العسكرية ، من الأمور التي اهتم بها الاسلام وحث عليها حتى ألحقها بآداب

العبادات ، يقول الله تعالى :

(يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) .

والنظافة والطهارة من مظاهر المسلمين كالوضوء والاغتسال كما أخبر الله تبارك وتعالى فقال :

(لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) .

وليس هذا فحسب بل كانت أول أوامر الرسالة دعوة إلى الطهارة كما يفهم من قوله تعالى :

(يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر ، وثيابك فطهر) .

ويوجه الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين إلى التزام المظهر الحسن فيقول :

- « إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده » .
- « أصلحوا رحالكم ولباسكم حتى تكونوا في الناس كأنكم شامة » (الرحال جمع رحل وهو المسكن وما فيه من أثاث والشامة هي الخال أو الحسنة التي تكون في الخد وهي من علامات الجمال) .

وكره الاسلام للمسلم أن يفرط في مظهره وأن يهمل هيئته حتى يكون زريا في أعين الناس فقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا مضطرب الشكل منتفش الشعر فقال : « أما وجد هذا ما يسكن به

رأسه ؟ . « فلما أصلح الرجل شأنه قال عليه السلام » : هذا خير من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان . .

كذلك يحض الاسلام على العناية بنظافة الثكنات ومظهرها وتهويتها وتعريضها للشمس حتى تكون صحية ولنبعد عن التشبه باليهود حيث أخبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « نظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود » .

٣ ـ والاحترام المتبادل بين الرتب واحترام الأقدمية :

وهي من التقاليد العسكرية ، تعدها توجيهات الأسلام من العلاقات التي تربط أفراد الجيش برباط قوي لأنهم إخوة متحابون تجمعوا حول هدف واحد ، قال تعالى : (إنما المؤمنون إخوة) .

وعلى أساس هذه العلاقة يتصرف الأفراد فيكون هناك توقير للكبير رتبة ، واحترام للصغير وعطف عليه يدلنا على ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . « أنزلوا الناس منازلهم » .

وقد جلس الرسول عليه الصلاة والسلام يوما وحوله أصحابه فدخل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فلم يجد مكانا يجلس فيه ، فأفسح له أبو بكر مكانا بجوار الرسول وناداه أن يجلس فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « يا أبا بكر ، إنما يعرف الفضل لأهل الفضل ، ذو الفضل » .

وقد أمر الله بعدم رفع الصوت على القائد الأول للمسلمين فقال :

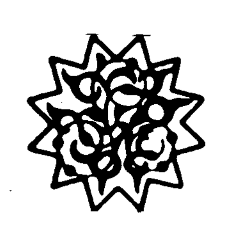
(يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) .

٤ ـ والعناية بالأسلحة والمعدات :

واجب لا يؤديه المسلم لأن « الأوامر العسكرية تقضي بذلك » بل يؤديه وفاء بالأمانة التي في عنقه والتي يأمر دينه أن يؤديها وأن يصونها ومحافظة منه على أدوات « القوة » التي أمر الله باعدادها وحرصا منه على أدوات « الجهاد في سبيل الله » وظيفته الشريفة التي كرمه الله بأن اختاره لها (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم) وإحساسا منه وإدراكا لعواقب إهمال هذا الواجب كما أخبر الله تعالى في قوله .

(ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) .

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة حيث كان يناول ابنته فاطمه سيفه ويقول : « اغسلي عن هذا دمه يا بنية فوالله لقد صدقني اليوم » وناولها علي بن أبي طالب سيفه وقال : « وهذا أيضا فاغسلي عنه دمه فوالله لقد صدقني اليوم » .



عاشرًا: المخابرات العسكرية

يقرر العلم العسكري أن المخابرات هي الخطى المتناسقة المدروسة الموجهة لاستخدام كل الوسائل المتيسرة للحصول على كافة أنواع المعلومات وتصنيفها وتقديرها لإمداد المسئولين بالحقائق والتقديرات الواقعية وفي الوقت المناسب لوضع استراتيجية الدولة ولرسم سياسات معينة ولاتخاذ القرارات السليمة التي تكفل سلامة الأمن القومي للدولة ، وللعمل ضد عمليات المخابرات المعادية لمنعها من إلحاق الضرر بالدولة في أية صورة من الصور .

وبصفة عامة تنطوي المخابرات على العناصر التالية : –

(أ) الحصول على المعلومات عن العدو .

(ب) فرز وفحص وتقييم هذه المعلومات وتقدير مدى صحتها .

(جـ) تفسير هذه المعلومات واستخلاص النتائج المفيدة منها .

(د) إمداد المسئولين بهذه المعلومات والنتائج المستخلصة منها .

(هـ) الافادة من هذه المعلومات وما يستخلص منها في التخطيط وفي اتخاذ القرارات ومقاومة أعمال مخابرات العدو .

وتنقسم المخابرات بالنسبة إلى المستوى والمجال والتأثير إلى نوعين :

مخابرات استراتيجية ومخابرات تكتيكية .

فالمخابرات الاستراتيجية :

تتعلق بالمعلومات المتعلقة بالمسائل الكبرى مثل المعلومات عن نوايا الدولة الأجنبية (أو العدو) وإمكانياتها العسكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والمعنوية . . ومواطن الضعف والقوة لديها .

أما المخابرات التكتيكية :

فتتعلق بالمعلومات ذات الطابع المحلى المحدود أو ذات طابع التخصص في ناحية محددة .

ويقرر العلم العسكري أنه يتحتم توافر صفات وخصائص معينة فيمن يتولى عملا من أعمال المخابرات نذكر منها :

الذكاء ـ الفهم العميق ـ القدرة على التصرف ـ القدرة على إصدار الحكم السليم ـ صفاء الرؤية ـ المرونة وسرعة التحول من حال إلى حال ـ الثبات والاتزان في مواجهة أخطر المواقف وأعقدها ـ حاسة حب الاستطلاع ـ القدرة على كتمان المعلومات . . ألخ .

ولقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم رجال مخابرات سواء في المدينة أو في مكة أو في غيرهما وكان سر اختيارهم لهذه المهام اتصافهم بتلك الصفات التي

ذكرناها ، ومن هؤلاء حذيفة بن اليمان العبسي رضي الله عنه الذي اختاره الرسول صلى الله عليه وسلم دون غيره من الصحابة ليكون عينا له في المنافقين في المدينة ، وذلك لتمتعه بمزايا الكتمان الشديد ، فلا يفشي سره لأحد ، وبحضور البديهة فلا يرتبك في المواقف الحرجة ، وبتقديره العميق لأهمية صيانة الأسرار العسكرية عن الأعداء فلا يفشي نياته ونيات المسلمين وأهدافهم ، وبالذكاء الخارق وموهبة حب الاستطلاع .

وليس أدل على توفر صفات رجل المخابرات فيمن اختارهم النبي ليعملوا في هذا المجال مما يلي : —

(أ) لم ترد في « تاريخ السيرة » حادثة واحدة انكشف فيها أمر واحد من رجال مخابرات النبي ﷺ

(ب) كانت نيات الأعداء بالعدوان تبلغ النبي صلى الله عليه وسلم في وقت مبكر يمكنه من اتخاذ اجراءات المواجهة حسبما يقتضي الموقف .

(ج) لم يضع خطة لغزوة أو سرية دون أن تكون لديه المعلومات اللازمة للتخطيط الناجح عن العدو وعن الأرض والظروف المحيطة .

أمثلة للمخابرات التكتيكية في عهد النبي ﷺ

(أ) كان للنبي صلى الله عليه وسلم عيون وأرصاد محلية في المدينة يطلعونه على كل صغيرة وكبيرة تضر بالمصلحة العامة للمسلمين في السلم والحرب على حد سواء فاختار مثلا حذيفة بن اليمان العبسي ليأتيه بأخبار المنافقين ونواياهم .

(ب) في غزوة بدر بعث النبي صلى الله عليه وسلم اثنين من أصحابه للحصول على معلومات عن قافلة قريش . وعند بئر بدر سمعا جارية تطالب صاحبتها بدين عليها والثانية تجيبها : عندما تأتي العير (أي القافلة) غداً أو بعد غد سأقوم بخدمتها ثم أقضيك الذي لك « فأسرع الرجلان فأخبرا الرسول صلى الله عليه وسلم بما سمعا » .

كما بعث عليه الصلاة والسلام دورية أخرى للحصول على معلومات عن قريش وقافلتها كانت تتألف من علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه وعند ماء بدر وجدت غلامين لقريش يستقيان فأتت بهما إلى النبي فتولى عليه الصلاة والسلام استجواب الغلامين فعلم منهما أن قريشا وراء الكثيب (بالعدوة القصوى) ، ولما أجابا بأنهما لا يعرفان عدد رجال قريش سألهما « كم ينحرون من الجزر (أي الابل) كل يوم » فقالا : يوما تسعة ويوما عشرة فاستنبط الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك أنهم بين التسعمائة والألف (لأن العرب على عادتهم يخصصون بعيرا لكل مائة) ، كذلك عرف الرسول من الغلامين أن أشراف قريش جميعا خرجوا للقتال .

أمثلة للمخابرات الاستراتيجية في عهد النبي ﷺ

(أ) كان للنبي صلى الله عليه وسلم عيون وأرصاد خارج المدينة :

١ ــ في مكة (مركز قريش الرئيسي) وهي تبعد عن المدينة بحوالي ٤٠٠ كيلو متر فكان عمه العباس وبشير بن

سفيان العتكي .

٢ ـ في القبائل العربية الأخرى في أنحاء شبه الجزيرة العربية فكان منهم مثلا : عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي في قبيلة هوازن .

٣ ـ في بلاد فارس .

٤ ـ في بلاد الروم « بيزنطة » .

(ب) ومن أمثلة نشاط مخابرات النبي الاستراتيجية ما يلي :

١ ـ قبل غزوة أحد أرسل العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم (وكان من رجال مخابراته في المدينة) رسالة يخبره فيها عن وقت خروج قريش لقتاله وعن عدد قوات قريش ، فأسرع حامل رسالة العباس رضي الله عنه بايصال تلك الرسالة إلى النبي صلى الله عليه وسلم (حتى أنه قطع المسافة بين مكة والمدينة المنورة في ثلاثة أيام) فلما قرأ أبي بن كعب الرسالة على النبي طلب ألا يبوح بمضمونها لأحد .

٢ ـ قبل غزوة الخندق التى عبأ فيها المشركون عشرة آلاف مقاتل عدا اليهود لمهاجمة المدينة كان النبي عليه الصلاة والسلام على علم بنوايا أعدائه (من خلال رجال مخابراته في مكة والقبائل العربية) وحفر المسلمون خندقا حول المدينة كان مفاجأة للمشركين لما رأوه حتى قالوا : « والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها » .

وهذه الواقعة لا تدل على نجاح مخابرات النبي الاستراتيجية التي عرفته بنوايا أعدائه مبكراً

فحسب ، بل تدل على عجز مخابرات الأعداء على المستويين الاستراتيجي والتيكتيكي معا وذلك على الرغم من أن حفر الخنق استغرق حوالى عشرين يوما في المتوسط كانت كافية جداً لرجال المخابرات لكشفه والاعلام عنه . .

كما تدل تلك الواقعة أيضاً على نجاح المخابرات الوقائية للمسليمن وعلى مدى كتمانهم لسر خطتهم الحربية وحرمان العدو من الحصول على معلومات عنها .

وهذا ما عبر عنه خبير المخابرات والجاسوسية العالمي لاديسلاس فاراجو في قوله : « عندما قرر المكيون (قريش) أن يتخلصوا من محمد عليه الصلاة والسلام نهائيا عبأوا ضده قوة تتكون من عشرة آلاف مقاتل ، ولم ينزعج النبي لأنه كان قد ترك في مكة عملاء أكفاء أبلغوه بخطط أعدائه ، أما خصومه فلم يكن لهم عملاء عنده ، ولذلك فعندما وصل المكيون إلى المدينة أذهلهم أن يجدوا خندقا وجداراً يحيطان بالمدينة إحاطة السوار بالمعصم حميا محمدا عليه الصلاة والسلام وأتباعه من العدوان » .

٣ ـ بعد فتح مكه قررت بعض القبائل العربية ان تغزو المسلمين قبل أن يغزوهم وبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم نبأ تجمع هوازن وثقيف لمهاجمته فأرسل عبد الله بن ابي حدرد الاسلمي ليأتيه بالمعلومات اللازمة وفي هذا قال ابن اسحاق ولما سمع بهم نبى الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم عبد الله بن ابى حدرد الأسلمى وأمره ان يدخل فى الناس ، فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ثم

يأتيه بخبرهم : فأنطلق أبن أبي حدرد فدخل فيهم فأقام فيهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع من مالك (إبن عوف النصرى قائد هوازن) وأمر هوازن ما هم عليه ، ثم اقبل احتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر » .

حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع من مالك (إبن عوف النصرى قائد هوازن) وأمر هوازن ما هم عليه ، ثم اقبل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر » .

ومن هذه المعلومات عرف النبي نواياهم ومكان تجمعهم فقرر مهاجمة هذه القبائل ليحتفظ بالمبادأة بيد المسلمين.

تعلم لغة العدو :

من الضرورات الحيوية في مجال المخابرات والحرب النفسية معرفة لغة العدو وإجادتها سواء من حيث التحدث بها أو الكتابة .

ولقد عني النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فأمر زيد بن ثابت بتعلم لغة اليهود وفي هذا يقول زيد : « أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعلمت له كتاب اليهود بالسريانية وقال : إني والله ما آمن يهود على كتابي « ثم يقول زيد فوالله ما مر بي نصف شهر حتى تعلمته وجدت فيه فكنت أكتب له إليهم وأقرأ له كتبهم اليه » . وصدق من قال : « من عرف لغة قوم أمن شرهم » .

استخدام الشفرة :

في مجال المخابرات عادة ما تحول لغة الرسائل سواء الشفوية أو المكتوبة إلى لغة أخرى تستخدم فيها الرموز

بحيث لا يستطيع فهم مضمونها سوى مرسلها والمرسلة إليه وهو ما يعرف باسم الشفرة .

واستخدام الشفرة أمر حيوي لاخفاء محتويات الرسائل عن الأعداء ، ومن المعروف أن كل طرف من الأطراف المتحاربة يضع لنفسه شفرة خاصة وفي نفس الوقت يسعى جاهدا بكل الوسائل لكشف سر الشفرة التي يستخدمها الطرف الآخر (أي حل رموزها) ومن أجل ذلك فان الجيوش في العصر الحديث لا تستخدم شكلا واحداً من أشكال الشفرة لمدة طويلة بل تقوم بتغييرها من حين لآخر حتى لا تعطي الفرصة الكافية لأعدائها لكي يكشفوا رموزها حتى لقد يصل الأمر إلى تغيير الشفرة عدة مرات في اليوم الواحد .

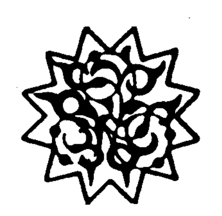
ولقد عني النبى صلى الله عليه وسلم بهذا الاسلوب الذي تبدو فكرته واضحة تماما في الواقعة التالية :

في غزوة الخندق علم النبي صلى الله عليه وسلم أن يهود بني قريظة قد نكثوا عهدهم الذي كان بينهم وبين المسلمين وذلك بعد أن أحاط بالمدينة عشرة آلاف مقاتل من قريش والقبائل العربية الأخرى .

وتحرج موقف المسلمين كثيرا ـ وكان عدد مقاتليهم ثلاثة آلاف مقاتل ـ بعد أن نكث بنو قريظة عهدهم وهم داخل المدينة ، فأصبح الخطر يهدد المسلمين من داخل المدينة ومن خارجها ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة وعبد الله ابن رواحة وخوات بن جبير إلى بني قريظة ليقفوا على جلية الأمر ، وأمرهم بأن (يلحنوا) بالقول حين يعودون ولا يفصحون في حالة تأكدهم من خبر نكث بني قريظة للعهد .

ولقد كان سبب حرص الرسول على استخدام هذا الاسلوب من اساليب الشفرة هو خوفه على معنويات المسلمين من الانهيار ، وحرصه على كتمانه حتى يستكملوا **إعداد الخندق وسائر استعداداتهم العسكرية قبل ان يعلمهم به .**

ولو أن النبي صلى الله عليه وسلم سمح بأذاعه هذا النبأ الخطير قبل ان يعد المسلمون كل متطلبات القتال لانهارت معنويات المسلمين .



حادى عشر: الأمن ومقاومة الجاسوسية

عنيت المدرسة الاسلامية بالأمن أشد العنايـة ، ووضعت له المبادىء والأصول والاساليب ، ولقد أثبت تاريخ صدر الاسلام أن من أسباب انتصار المسلمين على أعدائهم الكثيرين أن أسرار النبي صلى الله عليه وسلم وأسرار المسلمين كانت مصونة وبعيدة عن متناول الأعداء ، في الوقت الذي كان النبي صلوات الله وسلامه عليه يطلع على نيات أعدائه العدوانية عن طريق عيونه وأرصاده « رجال مخابراته » قبل وقت مبكر فيعمل من جانبه على إحباط ما يبيتونه للاسلام من غدر وخيانة ودسائس .

كذلك لم يستطع المشركون وأعداء الاسـلام أن يباغتوا قوات النبي صلى الله عليه وسلم في الزمان والمكان وأسلوب القتال ، بينما استطاع صلوات الله وسلامه عليه أن يباغت أعداءه في معظم غزواته وسراياه .

اللسان وأمانة الكلمة

من المبادىء المعروفة أن الأمة التي تكتم أسرارها الحربية هي الأمة التي يمكن أن تنتصر ، والأمة التي لا تكتم أسرارها الحربية هي الأمة التي لا يمكن أن تنتصر .

وما يقال عن الأمة يقال عن الأفراد لأن الأمة تتكون من أفراد .

واللسان الذي هو نعمة من نعم الله على عباده يستطيعون بها التعبير عن آرائهم وتبادل المنافع مع الناس ، هو وسيلة الخير والسعادة في الدنيا والآخرة إذا أحسن استعماله كما أنه سبب قوى للشر والشقاء في الدارين إذا أسيء استعماله فهو سلاح ذو حدين ، يمكن به النفع ويمكن به الضر . . والقرآن الكريم ينبئ بأن كل لفظ من الانسان مسجل عليه ، فيقول الله تعالى :

(ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) (ق ١٨) .

فالكلمة أمانة عظمى لها مكانتها في الاسلام ، وتقدير أمرها والتدبر فيها قبل اللفظ بها مرتبط بالايمان كما يفهم من قول النبي صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » .

كتمان الأسرار .

وينبه الاسلام إلى اليقظة والحذر في قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) وكما في قول الرسول عليه الصلاة والسلام « المؤمن كيس فطن » فاليقظة والحذر والوعي والفطنة كلها تدفع إلى كتمان الأسرار ، التي جعلها الاسلام أمانة من الأمانات يجب على المسلمين أن يحافظوا عليها ، كما قال تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم) .

وقال النبي عليه الصلاة والسلام « ألا لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له « وقال أيضا » آية

المنافق ثلاث : « إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان » .

الصمت :

الصمت من أكبر أسباب الوقاية من افشاء الأسرار (والوقاية خير من العلاج) والاسلام يرشد إلى الصمت ويدعو المسلمين إليه ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

- « من سره أن يسلم فليلزم الصمت » .
- « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » .
- « طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه ، وأنفق الفضل من ماله » .
- « الصمت حكم وقليل فاعله » .
- « أمسك عليك لسانك » .
- « من كف لسانه ستر الله عورته » .

كبح شهوة الكلام (الثرثرة والتحدث بدون حرص) :

من الناس من تتحكم فيه شهوة الكلام أكثر مما تتحكم فيه شهوة الطعام ، فيستر جهله بادعاء العلم (وخاصة ببواطن الأمور) فيطلق لسانه فيما يعرف وفيما لا يعرف فلا يدع سراً إلا أذاعه ، ولا يتخيل حديثا إلا جعله حقيقة ملموسة ، ولا يتورع عن ترديد ما يلقى في أذنيه من أنباء هدفها إيقاع الضرر بالأمة كالاشاعات وغيرها .

والاسلام ينهى عن ذلك كما يفهم من قوله تعالى :

(ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين) . (لقمان ٦) .

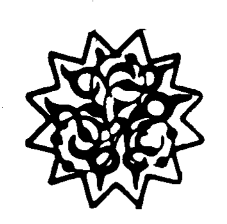
وقوله جل شأنه :

(ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى ف الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد) . (البقرة ٢٠٤ ـ ٢٠٥) .

ـ وقال النبي صلى الله عليه وسلم « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » .

ـ وقال : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » .

ـ وقال : « لا تتكلم فيما لا يعنيك فإنه فضل (فضول) ولا آمن عليكم الوزر ، ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعاً » .



مراجـــع البـحــث

القرآن الكريم

الجهاد : المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الاسلامية .

الجهاد : د . أحمد محمد الحوفي

عبقرية محمد : عباس محمود العقاد

القرآن والقتال : الشيخ / محمود شلتوت

سيرة ابن هشام

الرسول القائد : اللواء الركن محمود شيـت خطاب

المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الاسلاميــــــــة : الباحـث

مدخل إلـــــى الاستراتيجية العسكرية : جنرال أندريه بوفر

الردع والاستراتيجية : جنرال أندريه بوفر

البحث الثالث :

الجانب العسكري

من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم

بحث

الشيخ عبد اللطيف زايد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ان الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ

وبعد ، ، ،

فان شخصية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تقف وحيدة بين شخصيات العالم وعظماء التاريخ ، فريدة في تاريخ البشرية كلها ، فان جميع المحامد والفضائل العليا وجدت فيه وانتهت اليه ، دون سواه من الناس ، فهو صلى الله عليه وسلم قمة شماء ، من أي جهة جئت اليه وجدته عظيما وصدق فيه قوله الله تعالى (وانك لعلى خلق عظيم) (٤) سورة القلم .

وللنبي صلى الله عليه وسلم ميزة ثانية ، وهو أن سيرته المطهرة ، وجميع تصرفاته وما صدر عنه ، كله مسجل ومدون في كتب متعددة من كتب الحديث والسيرة وهذه الكتب شاملة لكل ما جاء عنه ، حتى شملت هذه المدونات الأمور الخاصة التي في البيت ، ومع نسائه أمهات المؤمنين ، وما عرف عن أحد قط حديثا أو قديما ، تحدث عن نفسه بهذه الصراحة والوضوح .

والميزة الثالثة أن كل ما صدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بحث ونوقش ووضع تحت منظار العقل والنقل ، بطريقة فريدة في العالم ، وهذا البحث وهذه المناقشة كانت من طبقات من الرجال لا عهد للعالم كله بأمثالهم ، فقد امتازوا بالصدق ، ودقة الضبط والنقل .

والميزة الرابعة أنه نتيجة لبحث ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نشأت علوم ومعارف وأبحاث تكاد أن تبلغ الغاية وتصل الى النهاية ، تحت قبة السنة المطهرة والسيرة العطرة ، وهذه العلوم خاصة بالمسلمين وحدهم دون سواهم .

وهناك أمر آخر يخص هذا البحث وهو الجانب العسكري عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فالرسول يعتبر قائدا عسكريا ورائدا وخبيرا في كثير من الأعمال العسكرية ابتكر أمورا في فنية القتال ، ومواجهة الأعداء وبعض هذه الجوانب لم يأخذ بها العسكريـون إلا في العصور الأخيرة .

هذا والله سبحانه أسأل أن ينفعنا بهذه السيرة العطرة ، فجزى الله رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم خير ما يجزي نبيا عن أمته .

الرسول بشر مجتبى

إن النبي محمدا صلى الله عليه وسلم اختاره الله عز وجل واجتباه واصطفاه ؛ ليهدي الناس إلى الصراط المستقيم ويبين لهم معالم الحق ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور ويصل بهم إلى السلام الكامل في الدنيا والآخرة .

ولقد أشار الله عز وجل إلى هذه الأمور في كثير من الآيات مبينا لها وموضحا ومحددا لها ومفصلا . فمن أمثلة ذلك قول الله تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الأيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم) (١) وقوله (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) (٢) وقوله (كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) (٣) وقوله (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا . وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا) (٤) والأمثلة على ذلك كثيرة والشواهد متعددة . هكذا كان محمد صلى الله عليه وسلم ؛ ولهذا أرسل وبعث وبهذا كان رحمة للعالمين ، قال تعالى (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) (٥) وقال هو عن نفسه (إنما أنا رحمة مهداة) وهو سيد ولد آدم ولقد اصطفاه الله من سلسلة سادة كرام (قال صلى الله عليه وسلم : إن الله اصطفى من ولد اسماعيل كنانة واصطفى من كنانة

---

١ ـ الآية ٥٢ : الشورى　　٢ ـ الآية ٩ : الصف

٣ ـ الآية (١) ابراهيم

٤ ـ الآيات ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ الأحزاب　　٥ ـ الآية ١٠٧ الأنبياء

قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم فأنا خيار من خيار) (١) وقال صلى الله عليه وسلم « لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات من لدى آدم الى أن ولدني أبي وأمي لم يصبني من سفاح الجاهلية » .

ومع هذا الاصطفاء والتميز فالرسول صلى الله عليه وسلم بشر فيه جميع صفات البشر التى خلق الله الناس عليها . لقد نشأ كما نشأ غيره من البشر ، تربى في مكة ودرج على أرضها وأكل الطعام الذي يأكله أهلها ، وجلس على ترابها وعاش في قريش كرجل منهم ، يتعامل معهم ويشاركهم أيامهم ويرعى أغنامهم ويتاجر في أموالهم ، وتزوج من نسائهم وأنجب أولادا عاشوا معهم .

ولقد أصر الرسول بعد الرسالة على أن يؤكد هذه البشرية تأكيدا كبيرا حتى لا يغالي فيه الناس كما حدث لبعض الأنبياء السابقين حينما تغالى فيهم قومهم ولعلنا نذكر ما حدث لعيسى عليه السلام حينما غالى فيه النصارى فجعلوه ابن الأله أو جعلوه أقنوما ضمن أقانيم ثلاثة هى الله كزعمهم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قال تعالى (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) (٢) .

ولقد أكد القرآن كذلك هذه البشرية وتحدث عنها بما لا يدع مجالا للغلو والتطرف قال تعالى (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي) (٣) وقال : (قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا) (٤) .

---

١ ــ الحديث رواه الترمذى وفى مسلم بلفظ آخر .

٢ ــ من آية ٧٣ : المائدة ٣ ــ آية ١١٠ : الكهف

٤ ــ من آية ٩٣ : الاسراء

يروي عدي بن حاتم أن رجلا خطب أمام النبي صلى الله عليه وسلم فقال (من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى) فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : بئس الخطيب أنت ، قل : ومن يعص الله ورسوله (١) ، يريد بذلك أن مجرد جمعه مع الله عز وجل في ضمير واحد في قوله (ومن يعصهما) قد يوهم مساواته لله سبحانه وتعالى ، ولما قال رجل أمامه إذا شاء الله وشئت يا رسول الله قال له : أتجعلني لله ندا ؟ قل إذا شاء الله ثم شئت .

وروى البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فانما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » . قال ابن حجر : السبب الذي جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يقول هذا الكلام أن معاذا أخبره أنه رأى رجالا في اليمن يسجد بعضهم لبعض ثم قال له : أفلا نسجد لك ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « لا تطروني » الحديث .

الرسول قدوة كاملة :

ورغم أن الرسول صلى الله عليه وسلم أكد بشريته هنا وكذلك القرآن الكريم بينها وأكدها ، رغم ذلك فان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتمتع بصفات ويتخلق بأخلاق حتى (كأنها) بلغت حد الاعجاز البشري .

---

١ ــ رواه مسلم .

فقد كان صلى الله عليه وسلم فريدا في أخلاقه بين الناس بل وحيدا في صفاته بين الأنبياء والرسل وما عرفت عنه الزلات والسقطات ولا ما عاب غـيره من أمثالـه ونظرائه .

محمد صلى الله عليه وسلم الخلق الكامل والمثل الكامل والأدب الكامل ، وأنه خاتم الأنبياء المرسلين عنده اجتمعت المحامد ولديه التقت الفضائل ، وعنه تؤخـذ الأعمال والمواقف فهو القدوة في الدنيا والأسوة للناس إلى أن تقوم الساعة (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) (١) فمن أي جهة من جهات حياته جئته تجده شامخا ، وفي أي جانب من جوانب تصرفاته تجده عظيما ، وفي أى فعل أو عمل أو حركة تجده كبيرا عملاقا .

فلو حاولنا أن نضع مقارنة بينه وبين غيره من الأنبياء والمرسلين أو الزعماء والمصلحين في أي جانب من جوانب الحياة التي فاقوا فيها غيرهم تجده صلى الله عليه وسلم قد فاقهم وظهر عليهم .

لقد وصلت أخلاقه وصفاته إلى القمة . وكيف لا ؟ وهي أخلاق القرآن ، لقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه فقالت (كان خلقه القرآن) (٢) . فأخلاقه صلى الله عليه وسلم هى التفسير الحي الواقعي لهذا القرآن الكريم .

وكان صلى الله عليه وسلم قرآنا مطبقا يمشى بين الناس ، وتجد الله عز وجل يصفه صلى الله عليه وسلم بالعظمة في أخلاقه بل يصفه بأخلاق هي القمة في الأخلاق ،

---

١ ـ الآية ٢١ : الأحزاب ٢ ـ أبو داود ومسلم

فيقول عز وجل (وإنك لعلى خلق عظيم) (١) ويقول (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) (٢).

وهذه قريش على الرغم من عداوتها وحربها له لم تأخذ عليه هفوة ولم تسجل عليه كذبة قبل النبوة ولا بعدها ولذلك لقبته (بالأمين) وها هو الرسول صلى الله عليه وسلم يستنطق قريشا الاعتراف بصدقه حينما أمر بالجهر بالدعوة وقف على الصفا ونادى قبائل قريش فلما اجتمعوا سألهم هذا السؤال . أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقيَّ ؟ قالوا نعم ما جربنا عليك كذبا .

كتب الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه « خاتم النبيين » تحت هذا العنوان (أخلاقه خارقة للعادة) ثم قال (لقد قال بعض الكتاب معددا الخوارق التي صاحبت الدعوى المحمدية ، قال : إن من أعظم الخوارق التي كانت لمحمد صلى الله عليه وسلم أخلاقه فكانت في ذاتها أمرا خارقا للعادة بين بني الانسان فهي أعلى من أخلاق الملائكة ، لأن الملائكة حسنت أخلاقهم بمقتضى كونهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وليس فيه روحانية عيسى عليه السلام المجردة بل كانت فيه الروحانية الانسانية بما في الانسان من مطالب الجسم وتجرد الروح ، فمحمد صلى الله عليه وسلم بين الناس الانسان الذي تتجلى فيه الانسانية الكاملة ، وفي طبيعته روحانية إرادية ، فكل ما فيه من أخلاق للتربية ، للارادة دخل في تكوينه ، فهو

---

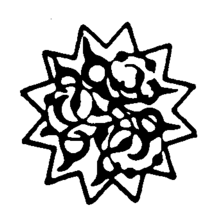
١ ـ آية ٤ من سورة القلم ٢ ـ آية ١٢٨ : التوبة

ليس حصورا ، ولكنه عفيف لم يتدل إلى خنأ قط ، ففضيلته كف للشر وتجنب له ، والعفة من حصور ليست كالعفة ممن له شهوات تغالبه ، وأهواء تعانده ، وبمعركة بين القوتين تكون النصرة للعفة والغلب للفضيلة ، وما يكون الوصول إليه بغلاب يكون أعلى وأنقى مما يجيء رخيصا سهلا) .

مما تقدم نتبين أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان قمة في كل صفاته وأخلاقه وهذه ميزة امتاز بها عن سائر الخلق ، ولقد تبين لنا كذلك أنه كان في كل صفة قدوة للناس ومثالا يحتذى ولكني أزيد على ذلك فأقول : إن هناك ميزة امتاز بها محمد صلى الله عليه وسلم عن سائر الخلق بل حتى عن الأنبياء والمرسلين وأعني بهذه الميزة أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان قدوة كاملة للناس جميعا ، فقد عاش صلى الله عليه وسلم كل الحياة التي يمكن أن يحياها أي انسان ، لقد وجدت القدوة عند كل الأنبياء ولكنها لم تكمل إلا عند محمد صلى الله عليه وسلم . وكل انسان يمكنه أن يقتدي بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فالأعزب يقتدي به والمتزوج يقتدي به ورب الاسرة والأولاد يقتدي به والعامل يقتدي به وصاحب العمل يقتدي به والفرد العادي يقتدي به ورئيس الدولة يقتدي به والمرؤس يقتدي به والزعيم السياسي يقتدي به والقائد العسكري يقتدي به الى غير ذلك ، فهو قدوة كاملة للناس جميعا ويمكن لكل إنسان يطلب القدوة الحسنة أن يجدها فيه صلى الله عليه وسلم .

ونحن في هذا البحث نحاول أن نبرز جانبا من جوانب العظمة في شخصية محمد صلى الله عليه وسلم وهو الجانب المتمثل في كونه صلى الله عليه وسلم كان قائدا عسكريا لا يبارى ، ولعلي لا أبارح الحق اذا قلت ان هذا الجانب

لا يشاركه فيه إلا النادر من الأنبياء والمرسلين ، ولعل الأمة الاسلامية في حاجة ملحة في هذه الأيام لالتماس جانب العظمة العسكرية في حياة محمد صلى الله عليه وسلم حتى تقتدي به وتبني قوتها العسكرية التي تستطيع أن تحرس بها حقوقها وتدافع بها عن كيانها وتحقق لعقيدتها ولنفسها ولأوطانها العزة والمنعة والقوة والسيادة .



لابد لنا ونحن بصدد الحديث عن محمد صلى الله عليه وسلم كقائد عسكري من أن نبين موقف الاسلام من الحرب والسلام . خاصة ونحن نعلم أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان يمثل الاسلام وينفذ تعاليمه في كل أعماله وتصرفاته .

السلام في الاسلام هو الأصل والقاعدة التي ينطلق منها هذا الدين والسلام الشامل من أهم أهداف الاسلام التى يسعى لتحقيقها وجميع عقائد الاسلام وتشريعاته وقوانينه وعباداته وأخلاقه توجد السلام وتحققه وتحميه (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) (١) والاسلام نفسه مشتق من السلام والسلام اسم من أسماء الله الحسنى (الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون) (٢) وخروج المسلم من الصلاة بالسلام وتحية المسلم للمسلم السلام وتحية المؤمنين يوم القيامة السلام (تحيتهم يوم يلقونه سلام) (٣) وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يصفح ويقول السلام (فاصفح عنهم وقل سلام) (٤) وكثيرا ما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بأن يفشوا السلام وكان ذلك مما أمر به أول ما دخل المدينة وأسس الدولة الاسلامية فكان يقول للناس (أيها الناس أطعموا الطعام وأفشوا

---

١ ــ من آية ١٥ ، ١٦ : المائدة
٢ ــ آية ٢٣ : من سورة الحشر
٣ ــ جزء من آية ٤٤ ــ سورة الأحزاب
٤ ــ الآية ٨٩ : من الزخرف

السلام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام) .

وإذا كان السلام هو القاعدة في الاسلام فان الحرب هي الاستثناء الذي يخرج على القاعدة وهي الضرورة التي يلجأ اليها الاسلام في بعض الأحيان حيث لا حيلة له في اجتنابها « لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية . واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » (١)

والاسلام لا يلجأ للحرب إلا لمقاومة البغي والظلم ولذلك نراه يرفض معظم الأسباب التي تدفع إلى الحرب ويستبعد ألوانا منه لا يقر بواعثها وأهدافها فهو يستبعد الحروب التي تثيرها العصبية ويستبعد الحروب التي يثيرها حب الأمجاد الزائفة للملوك والقادة أو حب المغانم الشخصية ويستبعد الحروب التي تثيرها الرغبة في السلب والنهب والطغيان والاستعمار ولا يقر إلا نوعا واحدا من الحروب فالحرب المشروعة الوحيدة التي يقرها الاسلام هي التي أشار اليها الرسول صلى الله عليه وسلم حينما سئل . . « الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » (٢) إذن فالحرب الوحيدة التي يقرها الاسلام هي التي تقوم لتكون كلمة الله هي العليا[٣]، ومن أجل ذلك يمكن أن نحصر أهداف الحرب في الاسلام في الآتي : —

١ — وصول الخير الذي جاء به الاسلام الى الناس جميعا : فاذا وجد حائل يحول بين الدعوة وبين وصولها

---

١ — متفق عليه : رياض الصالحين .

٢ — من كتاب السلام العالمى والاسلام للشهيد سيد قطب بتصرف

٣ — البخارى

إلى الناس فلابد من إزالة هذا الحائل ولو بالحرب والقتال مهما كان هذا الحائل . قال تعالى : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) (١) والاسلام لا يكره أحداً على الدخول فيه فالقرآن يقول بصراحة (لا إكراه في الدين) (٢) ويقول (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) (٣) ولكن الاسلام يزيل الحواجز والعقبات والسدود التي تفتن الناس عن الاسلام .

٢ ــ تحقيق العدالة في الأرض وردع أهل البغي والظلم ولو كانوا من المسلمين حتى يستقر العدل الذي يأمر به الله ــ قال تعالى (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) (٤).

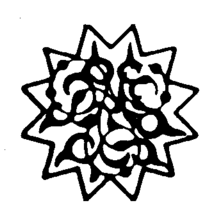
٣ ــ دفع العدوان والدفاع عن الحقوق حتى يتمتع كل إنسان بالأمن والاستقرار قال تعالى : (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال النساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا) (٥).

(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) (٦).

---

١ ــ جزء من آية ٣٩ الأنفال
٢ ــ جزء من آية ٢٥٦ البقرة
٣ ــ جزء من آية ٢٩ : الكهف
٤ ــ الآية : ٩ من سورة الحجرات .
٥ ــ الآية ٧٥ : النساء
٦ ــ الآية ١٩٠ : البقرة

ذلك إجمال فكرة السلام في الاسلام « السلم قاعدة والحرب ضرورة لتحقيق خير البشرية لا خير أمة ولا خير جنس ولا خير فرد . ضرورة لتحقيق المثل الأنسانية العليا التي جعلها الله غاية للحياة ، ضرورة لتأمين الناس من الضغط وتأمينهم من الظلم وحمايتهم من الضر . ضرورة لتحقيق العدل المطلق في الأرض فتصبح كلمة الله هي العليا » (١) .



١ ـ من كتاب السلام العالمى والاسلام للشهيد سيد قطب

ردفــريــة

مما تقدم يتبين لنا أنه لم يكن في يوم من الأيام من أغراض القتال في الاسلام أن يكره أحدا على الدخول فيه ولم يحاول المسلمون ذلك في أي وقت من الأوقات أما ما يزعمه المغرضون وأصحاب الأهواء ـ من المستشرقين ومن لف لفهم ـ حينما يقولون إن الاسلام انتشر بالسيف فهذا كلام باطل ينفيه الواقع وتدفعه نصوص الكتاب والسنة ، وإن الانسان المنصف يمكنه بشيء من البحث والنظر أن يصل إلى الحقيقة الكبرى التي أشرت اليها والتي أكدها الكثير من المنصفين يقول سير توماس أرنولد : في كتابه (الدعوة إلى الاسلام) (١) (ويمكننا أن نحكم من الصلات الودية التي قامت بين المسيحيين والمسلمين من العرب بأن القوة لم تكن عاملا حاسما في تحويل الناس إلى الاسلام فمحمد نفسه قد عقد حلفا مع بعض القبائل المسيحية وأخذ على عاتقه حمايتهم ومنحهم الحرية في إقامة شعائرهم الدينية كما أتاح لرجال الكنيسة أن ينعموا بحقوقهم ونفوذهم) (٢) ويقول (ومن هذه الأمثلة التي قدمناها آنفا من ذلك التسامح الذي بسطه المسلمون الظافرون على العرب المسيحيين في القرن الأول من الهجرة واستمر في الأجيال المتعاقبة نستطيع أن نستخلص بحق أن هذه القبائل المسيحية التي إعتنقت الاسلام إنما فعلت ذلك

---

١ ـ (الدعوة الى الاسلام) ترجمة حسن ابراهيم وزميليه فى ص / ٤٨ .

٢ ـ المصدر السابق ص /٥١ .

عن اختيار وارادة حرة وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد على هذا التسامح ، هذا ما يقوله المنصفون والحق أن الاسلام في جميع أدوار التاريخ لم يحاول أن يفرض نفسه على أي فرد من الناس ، بل التاريخ يحكي أن بعض الولاة حاولوا في وقت من الأوقات أن يحددوا دخول الناس في الاسلام فهذا عامل الخراج على مصر في زمن عمر بن عبد العزيز يرسل إلى الخليفة يبين له أن المصريين أكثروا الدخول في الاسلام وأنه يخشى نقص الجزية ويعرض عليه أن يوافق على الحد من الدخول في الاسلام ومن دخل لا ترفع عنه الجزية فأرسل الخليفة عمر بن عبد العزيز اليه معنفا مهددا وقال له هذه الكلمة التي لازالت ترن في أذن الزمان (إن محمدا صلى الله عليه وسلم أرسل هاديا ولم يرسل جابيا دع الناس والدخول في الاسلام) .

إن القرآن الكريم يؤكد بصورة لا تدع مكانا للشك أن الناس لا يجبرون على عقيدة لا يقتنعون بها ولا يتجاوبون معها فهو يقول بصريح العبارة (لا إكراه في الدين) (١) ويقول (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) (٢) ويقول مخاطبا الرسول صلى الله عليه وسلم (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء) (٣) ويقول كذلك (إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) (٤) ويقول (ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم) (٥) ويقول (وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) (٦)

---

١ ــ الآية ٢٥٦ البقرة — ٢ ــ الآية ٢٩ الكهف — ٣ ــ ٢٧٢ البقرة

٤ ــ ٢١ ، ٢٢ الغاشية — ٥ ــ ١٢٨ آل عمران — ٦ ــ ٤٥ ق

ويقول (فان أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فانما عليك البلاغ) (١) ويقول (فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك الا البلاغ) (٢) ويقول (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) (٣) .

هذه الآيات وغيرها كثير تؤكد أن الاسلام لا يقر اجبار أحد على الدخول فيه ، وإذا كان كما رأينا في هذه الآيات وغيرها يؤكد أن مهمة محمد الرسول صلى الله عليه وسلم إنما هي البلاغ والبيان فقط وليس عليه اجبار انسان على الدخول فيه فالاسلام يستبعد أن يقوم غير محمد صلى الله عليه وسلم بالاجبار وهذا هو الذى يؤكده الواقع التاريخي للاسلام من يوم أن نادى محمد صلى الله عليه وسلم على الصفا إلى الآن بل إننا نعلم أن الفقهاء يرون أن إجبار أي انسان على أي أمر من الأمور لا يجعل هذا الشيء مشروعا ويمكننا أن نقول : العقيدة هي أول شيء يجب أن يتوفر فيها الاقتناع الكامل بها حتى يصح الدخول فيها واذا أكره احد على الايمان فان إيمانه لا يصبح صحيحا حتى يقره قلبه ونيته ونحن نعلم أن الاسلام يعول دائما على النية والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه) (٤) إذن لابد أن يتوفر الاقتناع الكامل والنية الصادقة حتى يصبح الايمان صحيحا ولذلك فان الاسلام كما قلنا يستبعد الاكراه على الدخول فى الاسلام أما الحروب التي خاضها الاسلام

---

١ ـ ٢٠ آل عمران ٢ ـ ٤٨ الشورى ٣ ـ ٩٩ يونس

٤ ـ أول حديث من صحيح البخارى .

فلم تكن للاجبار ولكنها قامت لتكون كلمة الله هي العليا .
إن محمدا صلى الله عليه وسلم حينما وقف على الصفا ودعا إلى الاسلام ونادى بكلمة التوحيد وواجهته قريش بالعنف والشدة وواجهت من آمن به بالتقتيل والتعذيب والاضطهاد لم يحاول صلى الله عليه وسلم أن يرفع يده دفاعا عن نفسه وغضب على من طلب منه من صحابته أن يأذن لهم في أن يدفعوا عن أنفسهم وتجده يأمر أصحابه بالهجرة مرتين إلى الحبشة ثم إلى المدينة بعد أن آمن جمع كبير من الأوس والخزرج . ان الانسان يمكن أن يتساءل كم من الدماء أسالها الرسول صلى الله عليه وسلم على مدى ثلاث عشرة سنة من بدء البعثة حتى الهجرة ؟ إن محمدا صلى الله عليه وسلم كان يكتفي بتلقي الضربات دون أن يحاول ـ كما قلنا ـ حتى مجرد الدفاع عن نفسه وحينما بايعه الأوس والخزرج (الانصار) بيعة العقبة الكبرى قالوا : لو أردت أن نميل بأسيافنا على أهل منى لفعلنا . فقال لهم : « لم أومر بقتال بعد ! ! » (١) .

ولما هاجر وأسس الدولة كان لابد من اتخاذ موقف من قريش لأنها في موقف تحاول فيه أن تمنع العرب من الدخول في الاسلام . لقد وجهت كل إساءة إلى المسلمين وصدت عن سبيل الله وحاولت قتل النبي صلى الله عليه وسلم وهي التي تدنس الحرم بالأوثان والأصنام ولا يمكن أن يقوم الرسول صلى الله عليه وسلم بتطهير البيت من الاصنام ولن يستمع العرب إلى صوت الحق إلا بالقضاء على سلطة قريش أو إن شئت فقل بالقضاء على سلطة زعماء قريش الذين يكتسبون ماديا من وجود الشرك والأصنام .

---

(١) ص / ١٦٢ فقه السيرة

ولذلك كان لابد ـ لتكون كلمة الله هي العليا ـ من محاربة قريش وحاربها الرسول صلى الله عليه وسلم فلما قضى على سلطة زعمائها تطهرت الكعبة وتحطمت الأصنام ودخل الناس في دين الله أفواجا ولما سقطت سلطة قريش لم ينقل لنا التاريخ أن الرسول صلى الله عليه وسلم حاول أن ينتقم من أعدائه الألداء بل قال لهم اذهبوا فأنتم الطلقاء ، ولم يحاول أن يجبر أحدا منهم على الدخول في الاسلام حتى هؤلاء المعاندين من أكبر الأعداء الذين قرر الرسول صلى الله عليه وسلم قتلهم أولا ثم عفا عنهم لم يحاول أن يجبر أحدهم على الايمان وحينما قال له صفوان بن أمية أمهلني شهرين أفكر في أمري وفي الدخول في الاسلام قال له الرسول صلى الله عليه وسلم لك أربعة أشهر) (١) .

هذا هو موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من قريش العاتية المعتدية فأي شيء في هذا الموقف ؟ هل كان هؤلاء الناس ينتظرون من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقف مكتوف اليدين أمام قريش وأمام اعتداءاتها وظلمها ؟

يقول العقاد في كتابه عبقرية محمد « إن الرجل حين يقاتل من حوله إنما يقاتلهم بالمئات والألوف وقد كانت المئات والألوف الذين دخلوا في الدين الجديد يتعرضون لسيوف المشركين ولا يعرضون أحدا لسيوفهم . وكانوا يلقون عنتا ولا يصيبون أحدا بعنت وكانوا يخرجون من ديارهم لياذا بأنفسهم وأبنائهم من كيد الكافرين ونقمة الناقمين ولا يخرجون أحدا من داره . فهم لم يسلموا على حد السيف خوفا من النبي الأعزل المفرد بين قومه الغاضبين عليه بل أسلموا على الرغم من سيوف المشركين ووعيد

---

(١) مغازى الواقدى ج ٥ ص / ٨٥٣

الأقوياء المتحكمين ، ولما تكاثروا وتناصروا حملوا السيف ليدفعوا الأذى عن أنفسهم ويبطلوا الارهاب والوعيد . ولم يحملوه ليبدأوا أحدا بعدوان أو يستطيلوا على الناس بالسلطان » . .

ويقول العقاد كذلك في نفس الكتاب « لكن لا يعاب عليه أن يحارب بالسيف « سلطة » تقف في طريقه وتحول بينه وبين أسماع المستعدين للاصغاء اليه لأن السلطة تزول بالسلطة ولا غنى في اخضاعها عن القوة ، ولم يكن سادة قريش أصحاب فكرة يعارضون بها العقيدة الاسلامية ، وانما كانوا أصحاب سيادة موروثة ، وتقاليد لازمة لحفظ تلك السيادة في الأبناء بعد الآباء وفي الأعقاب بعد الأسلاف ، وكل حجتهم التي يذودون بها عن هذه التقاليد أنهم وجدوا آباءهم عليها ، وأن زوالها يزيل مالهم من سطوة الحكم والجاه ، وقصد النبي صلى الله عليه وسلم بالدعوة عظماء الأمم وملوكها وأمراءها لأنهم أصحاب السلطة التي تأبى العقائد . . الجديدة . . . » .

ويقول العقاد كذلك « ومن التجارب التى دل عليها التاريخ الحديث كما دل عليها التاريخ القديم أن السلطة لا غنى عنها لانجاز وعود المصلحين فمحاربة السلطة بالقوة غير محاربة الفكرة بالقوة ولابد من التمييز بين العمليتين لأنهما جد مختلفتين » .

ويقول العقاد كذلك « الاسلام لم يحتكم إلى السيف قط إلا في الأحوال التى أجمعت شرائع الانسان على تحكيم السيف فيها ، فالدولة التي يثور عليها من يخالفها بين ظهرانيها ماذا تصنع ان لم تحتكم الى السلاح ؟ وهذا ما قضى به القرآن الكريم (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة

ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين) » (١) .

وأظن أن هذا ظاهر بالنسبة لقريش حسب ما ذكرنا سابقا . .

أما اليهود فنحن نعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم عاهدهم بعد الهجرة وتعهد لهم بأن يعيشوا في المدينة آمنين على أرواحهم وأموالهم وتعهد لهم كذلك بالا يتعرض لهم في دين ولا عقيدة فهم أحرار في عقيدتهم وفيما يؤمنون به وتعاهد معهم على أن يتعاونوا معه في الدفاع عن المدينة ولقد وفي الرسول بعهده معهم ولكنهم غدروا فكان لابد من تأديبهم . والملاحظ أن الرسول لم يأخذ قبيلة منهم بغدر غيرها فلما غدرت بنو قينقاع أدبهم وحدهم ولم يتعرض لبني النضير ولا بني قريظة ولما غدرت بنو النضير لم يتعرض لبني قريظة أما خيبر فقد دخل معهم زعماء بني النضير وأخذوا يحرضونهم على حرب الرسول صلى الله عليه وسلم وفعلا أعدوا جيشا كبيرا ودربوه وجمعوا له الكثير من السلاح وأعلنوا أنهم بهذا الجيش سيهزمون محمدا فكان لابد من مبادرتهم بالحرب حتى لا يفاجئوا المدينة ، لقد كان اليهود أهل غدر وخيانة وبغي وظلم وكانوا مستحقين ما نالهم من عقاب ، أما الروم فقد قتل أحد ملوك العرب النصارى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان لابد من حفظ هيبة الاسلام وتأديب من قتلوا رسول رسول الله صلى الله وسلم ولقد استنجدت القبائل بالروم فأمدوهم بمائة ألف حاربوا المسلمين في معركة (مؤتة) ومن يومها بدأت الحرب مع الروم وأوشكوا أن يهاجموا المدينة وأخذوا

---

(١) الآية ١٩٣ : البقرة

يجمعون الجموع وهنا خرج الرسول لمقاتلتهم في معركة تبوك ولكنهم تفرقوا فرجع الرسول صلى الله عليه وسلم . ثم إن قيصر يمثل سلطة ظالمة تظلم من تحكمه وتقف سدا أمام وصول دعوة الاسلام فكان لابد من تحطيم هذا السد والقضاء على هذه السلطة .

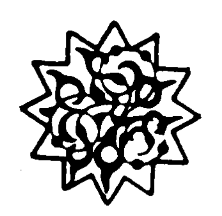
ونفس هذا ينطبق تقريبا على الفرس فقد أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم كتابا إلى كسرى يدعوه إلى الاسلام ولكن كسرى مزق الكتاب وأرسل الى عامله في اليمن يطلب منه أن يرسل رجلين شديدين إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليقضيا عليه ويقيداه ويرسلاه إلى كسرى وكذلك كان كسرى يمثل سلطة تمنع وصول دعوة الاسلام الى الفرس فكان لابد من ازالة هذه السلطة .

وبهذا يمكن أن نتبين أن الاسلام لم يحارب في يوم من الأيام ويحمل السلاح ليجبر الناس على الدخول فيه ، وإني أسأل كذلك . كيف دخل مسلمو أندونيسيا والفلبين وتايلاند وغيرها في هذه المنطقة ، لقد دخل الاسلام هذه المنطقة عن طريق التجار ولم يدخل فيها جندي واحد يحمل سلاحا حتى يقال إن الاسلام دخل فيها بالسيف وقل نفس الكلام عن غرب أفريقيا ووسطها وشرقها وجنوبها كل هذه المناطق دخلها الاسلام عن طريق التجار أو الطرق الصوفيـة والدعوة الفردية التي كان يقوم بها بعض المسلمين .

ان الذين يتهمون الاسلام بهذه التهمة من صليبيين ويهود يجب أن يرجعوا الى تاريخ الاسلام والى تاريخهم ويقارنوا بين التاريخين ليكونوا منصفين وحينئذ فلن يصلوا إلا الى حقيقة قوية ناصعة وهي أن غير الاسلام هو الذى استعمل العنف والقوة والسلاح لمحاربة عقيدة المخالفين

وفكرتهم ، أما الاسلام فهو دين التسامح والسلام . حرص على أن يترك لكل انسان الحق في أن يعتقد ما يريد ويؤمن بما يقتنع به .

وهناك آية كبيرة صنعها الاسلام ، وهو مهــزوم مضرج في دمائه ، وذلك بعد أن دخل المغول بغداد ، وفعلوا بها وبأهلها ودورها وبكتبها وحضارتها الأعاجيب ، ونهر دجلة أكبر شاهد على ذلك ، واحتلوا عاصمة الاسلام ما يقرب من نصف قرن ، بعد هذا بدأ الاسلام يغزو الحكام المتجبرين والجنود البسطاء الذين عاشوا هذه الأعمال . بدأ بغزو قلوبهم وهو المهزوم الضعيف الذي لا حول له ولا قوة . هذه الحقيقة الفريدة لم توجد الا مع هذا الاسلام وعلى أرضه ، انها تقف وحدها ، في تاريخ الأمم والشعوب ، والأديان والمذاهب . لا مثيل لها ولا نظير في تاريخ الدنيا .



عظمة الرسول العسكرية

لقد تحدثنا سابقا عن كون الرسول صلى الله عليه وسلم كان قدوة للناس في جميع المجالات وقلنا إن الرسول صلى الله عليه وسلم برّز في المجال العسكرى ولم يجاره في هذا المجال أي نبي من الأنبياء ، وعظمة الرسول صلى الله عليه وسلم في المجال العسكرى لها جوانب متعددة كثيرة وسنحاول أن نتحدث عن بعض هذه الجوانب حتى نتبين مدى عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم العسكرية .

(١) الخطة العامة والخطة الخاصة

لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم يقاتل بدون خطة عامة أي ما يسمى حديثا بـ (الاستراتيجية) لقد كانت للرسول صلى الله عليه وسلم خطة عامة يتبعها في حروبه — وإن شئت فقل : استراتيجية ـ كما كان يضع خطة لكل معركة .

أما خطته العامة (الاستراتيجية) فيمكن أن نبينها بأن نلفت الأنظار إلى ما قلناه سابقا عن أن الحرب يلجأ اليها في الاسلام لتكون كلمة الله هي العليا . ولقد كانت خطة الرسول صلى الله عليه وسلم ترتبط بهذه القاعدة أنه يريد أن تكون كلمة الله هي العليا في جميع بلاد الدنيا ولكنه لن يستطيع أن يحارب كل القوى ، اذن فلابد من ترتيب أولويات في الحرب حتى يصل إلى الهدف ، والمعلوم لنا أن

الرسول صلى الله عليه وسلم بعث في مكة ومكة تسكنها قريش ، وقبيلة قريش تعد زعيمة القبائل العربية والعرب جميعا لقريش تبع ، ولذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم يريد أن تؤمن قريش حتى يجعل من مكة قاعدة ينطلق منها لرفع كلمة الله ومكث الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة في مكة يحاول إدخال قريش فى الاسلام . ومع الجهد الجهيد لم يؤمن من قريش إلا القليل فأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم يسعى لايجاد قاعدة أخرى غير مكة وأخذ يعرض نفسه على القبائل بل خرج إلى الطائف علّ ثقيفا ترضى بالاسلام ومع ذلك لم يجد في العرب قبيلة ترضى أن تؤمن بهذا الدين وتحمل مسئولية نشره والدفاع عنه والتضحية في سبيله ، ولكن الله سبحانه وتعالى ، هيأ الفرصة للرسول صلى الله عليه وسلم فآمن بعض الأوس والخزرج ـ والأوس والخزرج قبيلتان تسكنان المدينة ـ وبايعهم الرسول صلى الله عليه وسلم ببيعة العقبة الأولى والثانية (الكبرى) ووجد فيهم صدق الايمان والحرص على التضحية في سبيل الله فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من آمن في مكة بالهجرة إلى المدينة ثم هاجر هو كذلك وهناك في المدينة أسس الرسول صلى الله عليه وسلم دولة الاسلام ، ووجدت القاعدة التي يمكن ان ينطلق منها الرسول صلى الله عليه وسلم لتكون كلمة الله هي العليا ، ولما نزل قوله تعالى (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . . ولله عاقبة الأمور) (١) بهذه الآيات أذن الله للمسلمين بالجهاد .

ابتدأ الرسول صلى الله عليه وسلم بتنفيذ خطته

---

(١) آية ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ من سورة الحج

العامة « استراتيجيته » فما هي هذه الخطة العامة ؟ المعلوم لنا أن الحديث عن كل خطة ينحصر في أمرين (الهدف المقصود) (١) (الوسائل المقترحة للوصول إلى هذا الهدف) (٢) ، أما الهدف عند الرسول صلى الله عليه وسلم فهو كما قلنا العمل لتكون كلمة الله هي العليا ولكن كيف تكون الوسيلة لتحقيق الهدف ؟ ان أعداء الحق كثيرون والرسول صلى الله عليه وسلم لن يستطيع أن يحاربهم جميعا في وقت واحد وخاصة كما نعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعمل في حدود البشر ، أما أعداء الحق فهم :

١ ــ المشركون من العرب (قريش والقبائل الأخرى) .
٢ ــ اليهود الذين يسكنون المدينة والذين يسكنون خارجها في خيبر ووادي القرى وتيماء .
٣ ــ أهل الكفر حول الجزيرة العربية .

فكيف تصرف الرسول صلى الله عليه وسلم وكيف وضع خطته ؟ لقد وضع الخطة على أساس أن يبدأ بالقضاء على سلطان قريش للأسباب الآتية : ــ

١ ــ قريش تحمي الشرك في مكة وتضع الأوثان في البيت الحرام قبلة المسلمين ولابد من تطهير البيت من الشرك .
٢ ــ قريش زعيمة العرب ولو دخلت فى الاسلام تبعها بعد ذلك العرب يدخلون في دين الله أفواجا .
٣ ــ قريش بادرت الرسول صلى الله عليه وسلم بالعداء وعذبت المسلمين واضطهدتهم وقتلت بعضهم بل حاولت قتل الرسول صلى الله عليه وسلم وأهدرت دمه

وأخرجت المسلمين من بلدهم واستولت على أموالهم ودورهم .

لهذه الأسباب كانت أولويات الخطة تقتضي محاربة قريش والقضاء على سلطتها حتى يتطهر البيت الحرام من الأصنام وحتى يدخل العرب في دين الله أفواجا فيستطيع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكوّن في الجزيرة العربية القاعدة القوية والقوة الرادعة التى تستطيع أن تجاهد لتكون كلمة الله هي العليا ولذلك بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم يدخل مع قريش في حرب وقاتلها في غزوات متعددة حتى أذعنت ودخل الرسول مكة وفتحها ودخل الناس في دين الله أفواجا وتكونت القاعدة التي انطلق منها المسلمون لرفع كلمة الله ، أما اليهود فهم أهل كتاب ولهم معرفة بالوحي وكانوا يخبرون الأوس والخزرج بقرب ظهور النبي صلى الله عليه وسلم فلما ظهر الرسول رفضوا الايمان به ولما دخل الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة عقد معهم معاهدة أمنهم فيها على عقيدتهم وعبادتهم ودمائهم وأموالهم ولكنهم لما غدروا كان لابد من القضاء عليهم . لقد أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتفرغ لقريش ولكنه كان في حسابه في خطته أن يتصرف بقوة أمام أي قبيلة يهودية تتحرك ضد الاسلام وكان لابد من أن يجعل الرسول صلى الله عليه وسلم هذا في حسابه خاصة واليهود أهل غدر وخيانة ولذلك بادر الرسول صلى الله عليه وسلم كل قبيلة من قبائل اليهود عند أول غدر يقع منهم حتى قضى عليهم في المدينة فاطمأن بعد أن تطهرت قاعدته ومع ذلك حينما تحرك الرسول صلى الله عليه وسلم للعمرة ورفضت قريش السماح له بالدخول نجده لا يحسم الأمر مع قريش ويرضى بأن يوقع معها صلح

الحديبية لجملة أسباب كان من بينها أنه كان يخشى أن تتحرك خيبر لضرب المدينة والرسول مشغول بحرب قريش خاصة وان زعماء بني النضير الذين أجلاهم الرسول عن المدينة كانوا قد انضموا الى خيبر ليحرضوها على حرب المسلمين وفعلا أعدت خيبر جيشا مدربا ومسلحا تسليحا جيدا بلغ عدده عشرة آلاف رجل وكانت تريد بهذا الجيش أن تقتحم المدينة وتهزم المسلمين ، ولذلك نجد القرآن الكريم يشير الى المعركة التي لابد أن تقوم مع خيبر في سورة الفتح التي نزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم في طريق رجوعه من صلح الحديبية . وغزا خيبر ووادي القرى وتيماء وبذلك أمن الرسول صلى الله عليه وسلم على قاعدته (المدينة) أمن عليها من اليهود الذين كانوا في الداخل ومن اليهود الذين كانوا في الخارج حتى اذا أبعد في حرب مع قريش كان آمنا على المدينة ولذلك حينما غدرت قريش ونقضت صلح الحديبية تحرك إليها وفتح مكة . وبعد أن تم الفتح وتسابقت العرب في الدخول في الاسلام نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يتطلع لرفع كلمة الله خارج جزيرة العرب فكانت غزوة مؤتة وتبوك وبعث أسامة .

وبهذا الاستعراض نتبين أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن تصرفه في المعارك اجتهاد الساعة ولكن كان تصرفه قائما على خطة عامة أو استراتيجية ثابتة تستمد من قوله تعالى (يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) (١) .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم كذلك يعد خطة خاصة بكل معركة ، وكانت الخطة توضع حسب ظروف

---

(١) جزء من آية ١٢٣ سورة التوبة

المعركة والموقع وعدد الجيوش إلى غير ذلك من الأمور التي نراها عند دراستنا لغزوات الرسول صلى الله عليه وسلم . لقد كان صلى الله عليه وسلم وقبل المعركة يحدد مكان كل فرقة ومكان كل جندي وينظم الصفوف ويصدر التوجيهات للجنود وقد يغير صلى الله عليه وسلم الخطة أو يعدلها لظهور أمور لم تكن في الحسبان ويمكننا أن نضرب مثالا بغزوة بدر لنبرهن على صدق ما استخلصناه سابقا .

لقد خرج الرسول صلى الله عليه وسلم يوم بدر وكانت خطته قائمة على مهاجمة قافلة أبي سفيان وعلى كيفية القيام بهذه المهاجمة لكن لما فر أبو سفيان بطريق البحر وخرجت قريش لتحمي قافلتها ولحرب المسلمين غير الرسول صلى الله عليه وسلم الخطة لتتسق مع الوضع الجديد بعد أن استشار أصحابه ، وكما تحكي لنا السيرة نجده يحدد موقع كل جندي وينظم الصفوف ويأخذ برأي سعد بن معاذ لما أشار عليه ببناء العريش ويقف في بدر في موقع فريد يحقق للجيش الاسلامي أكبر قدر من التفوق . لقد اختار الموقع من حيث الأرض وارتفاعها وانخفاضها ومواجهة الشمس في شروقها والقرب من الآبار إلى غير ذلك من الأمور الدقيقة التي أعدها الرسول صلى الله عليه وسلم في خطته حتى يأخذ بأسباب النصر .

اذن ننتهي إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان لا يحارب اعتباطا أو ارتجالا بل كانت له خطة عامة يلتزم بها في تحركه في المعارك وله كذلك خطة خاصة يلتزم بها في كل معركة وهذه الصفة من أهم صفات القائد الناجح القائد العبقري القائد العظيم .

الاعداد للمعركة

إن الجيوش التي تعد للمعارك نفسيا وماديا هي التي يمكن أن تحقق الانتصار فى المعارك وأن تصمد ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحرص على إعداد جيشه للحرب والقتال إعدادا شاملا كاملا مما يؤكد عبقرية الرسول صلى الله عليه وسلم العسكرية ، ولقد كان هذا الاعداد ينطلق من قوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) (١) ونجد القرآن يجعل كلمة (قوة) نكرة لتفيد العموم والشمول .

الاعداد المعنوي

لعل الاعداد المعنوي هو أهم قسمي الاعداد بل هو أساس كل إعداد فلابد من اعداد الجندي قبل المعركة وفي أثنائها وبعدها إعدادا معنويا كاملا حتى يستطيع أن يقوم بواجبه خير قيام .

ولقد استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم باهتمامه بهذا الجانب من الاعداد أن يصل الى درجة جعلت هؤلاء العرب الصعاليك قوة خطيرة انطلقت فى كل اتجاه ترفع كلمة الله وتعلي راية التوحيد ، أجل لقد استطاع الرسول أن يجعل من القلة كثرة ومن الضعف قوة ومن الفتيان الصغار قادة وأساتذة ومن الأسلحة الهزيلة الخفيفة أسلحة مؤثرة ومحققة لأهداف حامليها الأبطال المجاهدين والغر الميامين .

---

(١) الآية ٦٠ سورة الأنفال

وكان القرآن الكريم أعظم وسيلة استعملها الرسول صلى الله عليه وسلم فى الاعداد المعنوي .

لقد أعد الرسول صلى الله عليه وسلم جنده ـ أولا ـ بالايمان بالله عز وجل والايمان بقدرته تعالى التي لا تحدها حدود وأنه القاهر فوق عباده له الحكم والأمر ، مالك الملك يعطي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء وهو وحده يعز من يشاء ويذل من يشاء إنما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، وأعد جيشه كذلك بالايمان بقدر الله تعالى وإن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) (١) (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) (٢) .

وأعدهم كذلك بالايمان برسالتهم وقدسيتها وأن فيها الخير لهذه البشرية وأن عليهم أن يحملوا هذا الخير إلى كل الناس ولقد فهم المسلمون ذلك المعنى ولذلك نجد ربعي بن عامر يقول لرستم قائد الفرس حينما سأله عن السبب الذي أخرجهم من بلدهم للقتال « إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله ومن ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الأديان الى عدل الاسلام فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم اليه » (٣) .

إنها رسالة عظيمة يقاتلون لنشرها بين الناس لا يبتغون بها علوا ولكنهم يجاهدون ابتغاء رضوان الله وطلبا لخير الناس . إن القرآن أعلمهم أنهم خير أمة أخرجت

---

(١) الآية ٥١ التوبة

(٢) نهاية الآية ١٥٤ آل عمران

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ج ٧ط / بيروت

للناس فعليهم أن يعلموا الناس الخير ويدعوهم إليه. (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) (١) ، وأعدهم كذلك بالايمان بنصر الله لأن الله وعدهم بذلك حتى وإن لم ينتصروا فهم الشهداء الفائزون فاذا استشهدوا في معركة فان إخوانهم سينتصرون في المعارك الآتية أما هم فقد أدوا واجبهم وكفى (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر) (٢) علمهم الرسول ذلك وأخبرهم القرآن وبشرهم بالنصر (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) (٣) إنهم جند الله يحاربون لينصروا دين الله وحكم الله فلابد أن ينصرهم الله (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) (٤) انهم يعلمون أن عاقبتهم على أي حال كريمة عظيمة فهم مؤمنون بأن لهم النصر أو الشهادة (قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين) (٥) اما عز الحياة والنصر فيها واما شرف الممات وجنة عرضها السموات والأرض ، وجعلهم كذلك يعلمون أن الحياة الدنيا قصيرة حقيرة ، وأن الآخرة هي التي يجب على العاقل أن يطلب النعيم فيها (وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون) (٦) وعلمهم كذلك أن طبيعة الحياة أن يقوم الصراع فيها بين الحق والباطل وأن الحق لابد أن ينتصر (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق

---

(١) الآية ١١٠ آل عمران — (٢) الآية ٢٣ : الأحزاب

(٣) الآية ٥١ غافر — (٤) من آية ٧ محمد

(٥) أول آية ٥٢ التوبة — (٦) نهاية الآية ٦٤ العنكبوت

والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال) (١) وعلمهم كذلك أن هذا الصراع به يستطيع المؤمن أن يقدم برهان صدقه ، فالصراع بين الحق والباطل والقتال بينهما لمصلحة المؤمن (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) (٢) (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم) (٣) وعلمهم أن المؤمن حينما يستشهد فانما عقد مع ربه صفقة ربح فيها الربح الأوفر (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) (٤) ومن أنواع الاعداد المعنوي هذه التربية التي قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم حيث هذب نفوسهم وراض قلوبهم وطوعها لله عز وجل بأنواع المجاهدات النفسية والعبادات من صلاة وصوم وذكر (يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة) (٥) (يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) (٦) لقد كانت الصلاة إعدادا عظيما للمسلم حتى بعد الحرب وعلى نظامها فالجندية كما نعلم تقوم كما يقولون على الضبط والربط وإن شئت فقل على النظام والتعاون والجندي المسلم يتدرب على النظام التعاون ، أو على الضبط والربط خمس مرات في اليوم فهو يصلي لله عز وجل مع المسلمين . عليهم أن يعدلوا صفوفهم ولا يتركوا ثغرات أو فرجات بينهم وعليهم أن يكملوا الصفوف الأول فالأول وعليهم أن يطيعوا الامام

---

(١) الآية ١٧ الرعد (٢) الآية ٢ ، ٣ العنكبوت (٣) الآية ٣١ محمد

(٤) الآية ١١١ التوبة (٥) الآية ١٥٣ البقرة (٦) الآية ٤٥ من الأنفال .

ولا يخالفوا وأن يتبعوه في حركته فلا يجوز لهم أن يسبقوه أو يساووه الى غير ذلك من أصناف التربية التي يتعلمها الجندي في الصلاة وفي الصوم يتعلم الجندي كبح جماح شهواته والصبر على مطالبه والاستمرار على موقفه حتى يصل إلى هدفه .

وفي الزكاة يتعلم المسلم البذل فاذا بذل ماله لفقير ، والمال شقيق الروح كان عنده الاستعداد لبذله في سبيل الله في الجهاد والقتال ، ومن تدرب على بذل ماله هان عليه بذل دمه ، والحج تدريب كذلك عملي على الجهاد ، انه مفارقة للأوطان والأهل والمال بل حتى مفارقة للملابس ولما اعتاده الانسان وهو اعلان للتجرد والتسليم لله عز وجل ، وفيه الاشعار بوجوب التضحية بالدم لله عز وجل يفهمها المؤمن حينما يقدمه هديه في منى ، ولذلك كان الحج جهادا كما سماه الرسول صلى الله عليه وسلم حينما بين أن الحج جهاد المرأة .

كل ما ذكرناه سابقا كان بيانا لبعض صور الاعداد المعنوي قبل المعركة ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم كذلك يشحذ الهمم ويشعل الحماس وهو في ميدان المعركة ، مثلا في غزوة بدر يخاطب المسلمين قائلا (لا يقاتلهم اليوم رجل ، فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة) (١) ووقف وهو يقول لأصحابه « قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض ! فقال عمير بن الحمام : يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض ! قال : نعم . . قال : بخ بخ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما حملك على قولك بخ بخ : قال : والله يا رسول

---

(١) ابن هشام ص/ ٢٦٧

الله إلا رجاء أن أكون من أهلها . قال : فانك من أهلها » (١) .

عن عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « انتظر في بعض أيامه التي لقي فيها العدو ، حتى مالت الشمس قام فيهم ، فقال : يأيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية ، فاذا لقيتموهم فاثبتوا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف) (٢) .

ويحمل سيفا في غزوة أحد وهو يقول من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقال أبو دجانة وما حقه يا رسول الله ؟ قال أن تضرب به العدو حتى ينحني ، قال أنا آخذه يا رسول الله بحقه ، فأعطاه إياه وكان أبو دجانة رجلا شجاعا له عصابة يعصب بها رأسه فاذا عصب رأسه علم أنه يقاتل حتى النصر أو الموت ، فأخرج عصابته فعصب بها رأسه ، وجعل يتبختر بين الصفين . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « انها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن » (٣) .

وخطب الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين يوم أحد فقال : « يأيها الناس ، أوصيكم بما أوصاني به الله في كتابه من العمل بطاعته ، والتناهي عن محارمه ، ثم إنكم بمنزل أجر وذخر لمن ذكر الذي عليه ، ثم وطن نفسه على الصبر واليقين والجد والنشاط ، فان جهاد العدو شديد كريه قليل من يصبر عليه إلا من عزم الله له رشده فإن الله مع من أطاعه وإن الشيطان مع من عصاه ، فافتتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد ، والتمسوا بذلك ما وعدكم

---

(١) مسند أحمد ج ٣ ص/١٣٦ ـ ١٣٧ ـ وأخرجه مسلم ج٦ ص/ ٤٤، ٤٥

(٢) مسند أحمد ج٣ ١٣٦ ـ ١٣٧ ـ وأخرجه مسلم ج٦ ٤٤ ، ٤٥

(٣) جاء فى الصحيحين

الله ، وعليكم بالذي أمركم به فاني حريص على رشدكم ، وان الاختلاف والتنازع والتثبط من أمر العجز والضعف ، وهو مما لا يحب الله ولا يعطي عليه النصر ولا الظفر » (١) .

ومن باب التعبئة المعنوية أثناء المعركة الدعاء ، والدعاء ما هو إلا وسيلة عملية قوية لرفع الروح المعنوية وإعداد الانسان المقاتل نفسيا للصمود في الحرب والصبر على شدائدها . ان الانسان حينما يدعو الله تعالى يحس بقوة عظيمة تملأ عليه قلبه وروحه وخاصة اذا أكد له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الدعاء أثناء المعركة دعاء مستجاب انه هنا يحس باتصاله بالله عز وجل القاهر فوق عباده والذى بيده الأمر والذي يقول للشيء كن فيكون ، إن الدعاء صلة وثيقة بين العبد وربه ولذلك سماه الرسول صلى الله عليه وسلم مخ العبادة واهتم به إهتماما كبيرا أثناء المعارك ، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : حدثني عمر بن الخطاب قال : لما كان يوم بدر ـ نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا ، فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه : اللهم أنجز لي ما وعدتني به . اللهم آتني ما وعدتني به . اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام فلا تعبد في الأرض . فما زال يهتف بربه مادا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه . ثم التزمه من ورائه وقال : يا نبي الله . كفاك مناشدتك ربك ، فانه منجز لك ما وعدك ، فأنزل الله عز وجل

---

(١) امتاع الأسماع ص/١٢١ من رواية الواقدى

(اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين) فأمده الله بالملائكة (١) .

وروي عن عبد الله بن عمرو ـ قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر بثلثمائة وخمسة عشر من المقاتلة كما خرج طالوت فدعا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجوا فقال : اللهم انهم حفاة فأحملهم ، اللهم إنهم عراة فاكسهم ، إللهم انهم جياع فأشبعهم ، ففتح الله عليهم يوم بدر فانقلبوا حين انقلبوا ، وما فيهم رجل الا قد رجع بحمل أو حملين واكتسوا وشبعوا (٢) .

كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو يوم أحد ، فيقول : اللهم إني بك أجول وأصول وفيك أقاتل . حسبي الله ونعم الوكيل (٣) .

وبعد أحد . وكانوا بأصل الحرة قال : « اصطفوا نثني على الله ، فاصطف الرجال صفين خلفهم النساء وكان مما دعا به : اللهم لك الحمد ، اللهم لا قابض لما بسطت ، ولا باسط لما قبضت ، ولا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ثم قال : اللهم عذب كفرة أهل الكتاب الذين يكذبون رسولك ويصدون عن سبيلك ، اللهم أنزل عليهم رجسك وعذابك اله الحق . آمين » (٤) .

وروى علي بن أبي طالب عن بغض ما وقع في غزوة الأحزاب ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « شغلونا عن صلاة الوسطى (صلاة العصر) حتى غربت الشمس ملأ الله قلوبهم وبطونهم ـ أو بيوتهم ـ نارا » (٥) .

---

(١) صحيح مسلم / شرح النووى ج ١٢ ص/ ٨٤

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ـ المجلد الثانى ص/ ٢٠ طبعة بيروت

(٣) نور اليقين ص/ ١٥٦

(٤) امتاع الاسماع ص/ ١٦٢ ، ١٦٣ (٥) امتاع الاسماع ص/ ٢٣٢

ومن دعائه يوم الأحزاب : اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهـزم الأحـزاب اللهـم اهزمهـم وانصرنـا عليهم (١) .

ومن دعائه كذلك يوم الأحزاب : اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا ، وروى الشيخان في صحيحيهما أنه قال : اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاعداء ، اللهم اهزمهم وزلزلهم وانصرنا عليهم(٢) .

ومن دعائه كذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة أنه كان يقول : « لا اله الا الله وحده ، أعز جنده ، أعز عبده ، وغلب الأحزاب وحده . فلا شئ بعده » .

ولما خرج صلى الله عليه وسلم قاصدا خيبر فلما أشرف عليها أخذ يضرع الى الله تعالى طالبـا النصر والمعونة ، فقال لأصحابه : « قفوا وأخذ يدعو ، وهـم يرددون معه اللهم رب السموات وما أظللن ، ورب الأرضين وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الريـاح وما ذرين ، فانا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها ، أقدموا باسم الله تعالى » (٣) .

تحطيم الروح المعنوية للعدو

وكما كان صلى الله عليه وسلم يعمل على تقوية الروح المعنوية لجنده كان كذلك يعمل على تقويض روح أعدائه وزلزلتهم حتى ينهاروا ويستسلموا أو ينهزموا ويفروا ، ولقد استعمل فى ذلك كثيرا من الأساليب التي توصله إلى

---

(١) امتاع الاسماع ص/٢٣٨ (٢) البخارى (٣) امتاع الاسماع ص/٣١٠

ما يهدف إليه ، فمن الأمثلة على ذلك أنه حينما هاجم اليهود في خيبر أخذ يهتف « الله اكبر خربت خيبر إنا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » ، وهذا الهتاف الذي كان المسلمون يهتفون به في كل معركة « الله أكبر ، الله أكبر » من أهم الأمور التي كانت تحطم روح العدو وتلقي الرعب في قلبه حينما كانوا يسمعون المسلمين يهتفون بهذا الهتاف ويزأرون به زئير الأسود .

ومن الأمثلة على ذلك ما فعله بأبي سفيان يوم الفتح لقد أمر صلى الله عليه وسلم عمه العباس أن يحبس أبا سفيان عند مضيق الوادي . ويجعله يرى كتائب الجيش الاسلامي وهي تمر عليه فيرى العدد والعدد فتتحطم مقاومته ويتأكد أنه لن يستطيع أن يواجه المسلمين وهذا ما وقع فعلا لقد ذهب أبو سفيان بعد ذلك إلى مكة وأخذ يصرخ في قريش ــ وهو زعيمها وقائدها ــ لقد أتاكم محمد بما لا قبل لكم به .

ومن الأمثلة على ذلك الطرق والأساليب التي كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتبعها في حربه مثل مفاجأة العدو والاحاطة به ، والمبادرة بحربه وهو لم يزل يستعد للحرب كما حدث في تبوك . .

إلى غير ذلك من الأساليب التي تؤكد عبقرية الرسول صلى الله عليه وسلم العسكرية . .

التفاؤل والأمل

لعلنا نستطيع أن نقول إن من بين أنواع الاعداد المعنوي التي اهتم بها الرسول صلى الله عليه وسلم اهتماما كبيرا محاولته صلى الله عليه وسلم ملء قلوب المؤمنين بالأمل

والثقة في نصر الله تعالى والتفاؤل بالمستقبل وما يتحقق لهم فيه من عزة وسيادة .

والحق أن هذا سلاح معنوي استعمله الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع مراحل دعوته في السلم والحرب قبل الهجرة وبعدها .

والكلام عن هذا الموضوع وضرب الأمثلة له يحتاج الى وقت طويل ، ولكننا سنكتفي بالقليل الذي يمكن به أن نتأكد من حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على ملء قلوب المسلمين بالثقة في النصر والتفاؤل بالمستقبل . من بين هذه الأمثلة ، ما روي أن خباب بن الأرت جاء الى الرسول صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة في الفترة التي شددت فيها قريش قبضتها على المسلمين . . جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد برده بجوار الكعبة بعد أن ألهبت ظهره السياط وشوت جسده النار وأحرقته الشمس ونهكه التعذيب الشديد . . فقال : يا رسول الله ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا . فأعطاه الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثة دروس : الدرس الأول في تعلم الصبر والثبات على المحن والبلاء لأن هذا هو طريق الأنبياء والمصلحين الصادقين ، ولأن هذا طريق الحق دائما ، والدرس الثاني أعطاه البشارة بالنصر والتأييد والتمكين في الأرض وتحقيق الأمن فيها للمسلمين ، والدرس الثالث بين له أن طبيعة الانسان التعجل ولكن الأفضل له التريث .

وترك الأمور تسير كما قدر لها الله ما دام المؤمن يؤدي واجبه ويجاهد في سبيل الله ويدعو إلى الحق .

قال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ، ثم

يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن الله تعالى هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت فلا يخاف الا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون » (١) .

يقول الشيخ محمد الغزالى معلقا على هذه الحادثة « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبث عناصر الثقة في قلوب رجاله ، ويفيض عليهم ما أفاضه الله على فؤاده من أمل رحيب في انتصار الاسلام وانتشار مبادئه ، وزوال سلطان الطغاة أمام طلائعه المظفرة في المشارق والمغارب وقد اتخذ المستهزئون من هذه الثقة مادة لسخريتهم وضحكهم . كان الأسود بن المطلب وجلساؤه ، اذا رأوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ـ يتغامزون بهم ـ ويقولون قد جاءكم ملوك الأرض الذين سيغلبون غدا على ملك كسرى وقيصر ، ثم يصفرون ويصفقون » (٢) .

وحينما اشتد العذاب بالمسلمين أمرهم بالهجرة الى الحبشة وقال لهم « تفرقوا في الأرض فان الله سيجمعكم » هكذا يأمرهم بالتفرق ويؤكد لهم أنهم سيجتمعون مرة أخرى .

ويوم الهجرة يعد سراقة أساور كسرى وهو مهاجر مع صاحبه تطارده قريش ، ويوم بدر بعد أن استشار أصحابه ووجد منهم اقبالا على الجهاد والتضحية ، قال لهم : « سيروا وأبشروا ، فان الله وعدني احدى الطائفتين والله لكأني أنظر الى مصارع القوم » (٣) . بل كما يروي بعض

---

(١) رواه البخارى (٢) فقه السيرة للغزالى ص/ ١١٠ ـ ١١٢

(٣) ابن هشام ج ٢/ص ٦٣ ـ ٦٤

الصحابة أنه حدد المكان الذي سيصرع فيه صناديد قريش ولقد تحدث الصحابة أنهم ما فارقوا مصارعهم التي حددها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي يوم الأحزاب أثناء حفر الخندق ، في البرد الشديد والجوع القارص ، والفقر المدقع ، والكرب والبلاء ، والعدو محيط بالمدينة من كل جهة ، تقف أمام المسلمين صخرة صلبة لا يستطيعون تحطيمها فيذهبون الى الرسول صلى الله عليه وسلم فيأخذ المعول ويضربها ثلاث ضربات تصير بعدها رملا أهيل .

وكان بعد كل ضربة يتطاير منها شرر يضيء خلال هذا الجو الداكن وكان الرسول مع كل ضربة يكبر تكبير فتح فيكبر المسلمون وراءه ، واذابه بعد ذلك يحدثهم أنه أضاء له قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل أن أمتى ظاهرة عليها ، وفي الثانية أضاء القصور الحمر من أرض الروم وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ، وأضاء لي في الثالثة قصور صنعاء وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها . فأبشروا) . فاستبشر المسلمون وقالوا : الحمد لله موعد صادق .

أما المنافقون ومرضى القلوب فقالوا : يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنتم تحفرون الخندق لا تستطيعون أن تبرزوا فنزل القرآن متحدثا عن المؤمنين (ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما) (١) . وقال عن المنافقين (واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا) (٢) .

---

(١) الآية ٢٢ الأحزاب (٢) الآية ١٢ الأحزاب

ولما جاءه أمر بني قريظة وأنهم نقضوا العهد وانضموا الى الأحزاب ، قال : « أبشروا بفتح الله ونصره » .

وهكذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم في كل خطوة من خطواته العسكرية يعتقد بأنه سينتصر لأنه صاحب حق وصاحب الحق يعيش مع الأمل الجاد الصادق بأنه سيفوز وينتصر وستكون النهاية في جانبه ، إنه صاحب حق يعتز به ويعتز بالانتساب إليه فهو أكثر ثقة في الله وفي نصره وفي تأييده وعونه مهما علا الباطل وارتفع وأصبح له جنود وأعوان ، يقول :

الشهيد سيد قطب (١) (ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم كان عارفا بالحق الذي معه ، معرفته بالباطل الذي عليه الجاهلية في الأرض كلها يومذاك ، وكان واثقا من أن هذا الحق لابد أن ينتصر على هذا الباطل ، وأنه لا يمكن أن يوجد « الحق » في صورته هذه ثم لا يكون ما يكون !) .

ولقد كان القرآن الكريم يؤكد كذلك هذا المعنى ويبرزه للمؤمنين واكتفي في ضرب الأمثلة ببعض الآيات التي تبين هذا المعنى ، قال تعالى : (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) (٢) ، وقال (حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا) (٣) ، وقال (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) (٤) وقال (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا

---

(٣) كتاب الشهيد سيد قطب « هذا الدين » ص/ ١١٥ .

(١) الآية ٥١ غافر　　(٢) الآية ١١٠ يوسف　　(٣/) الآية ٥ القصص

الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) (١) وقال (ان الله يدافع عن الذين آمنوا) . . (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز) (٢) .

الأعداد المادي

كما اهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاعداد المعنوي اهتم كذلك بالاعداد المادي ، والأخذ بالأسباب التى تؤدي الى تحقيق النصر ورفع راية التوحيد وقد كان اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بالاعداد المادي يأخذ صورا متعددة نحاول في هذه العجالة أن نتحدث عن بعضها ونضرب أمثله لها من صور اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بالاعداد المادي اهتمامه بالفرد الذى يباشر الحرب ويخوض المعارك .

اهتم الرسول بهذا الفرد اهتماما عظيما من حيث المحافظة على سلامة جسمه وتقويته ثم تدريبه على القتال ، إن الأوامر التى أمر بها الاسلام وبينها الرسول صلى الله عليه وسلم والتي تتعلق بالطعام والشراب وتحريم الضار منها للجسم والتي تتعلق بالمحافظة على سلامة الجسم والبعد به عن كل ما يؤدي إلى ضعفه والتي تتعلق كذلك بمداواته إذا أصابه المرض أو نزل به الوهن .

كل هذه الأمور يمكننا أن نمثل بها لنتبين إلى أي مدى حاول الرسول صلى الله عليه وسلم أن يحافظ على سلامة

---

(١) الآية ٥٥ النور

(٢) الآية ٣٨ ـ ٤٠ الحج

جسد الفرد لأن المؤمن القوي أحب الى الله من المؤمن الضعيف كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه أقدر على حمل مسئولية الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى ثم نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يحث على التدريب على فنون القتال والجهاد ، بل نجده يشترك في هذا التدريب ، فحينما وجد جماعتين من المسلمين يتبارون في الرمي - قال : « ارموا بني اسماعيل فان أباكم كان راميا ارموا وأنا مع بني فلان فأمسك الآخرون وقالوا : كيف نرمي وأنت معهم ؟ فقال : ارموا وأنا معكم جميعا » (١) وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال (من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا) (٢) ولقد سمح صلى الله عليه وسلم للأحباش أن يلعبوا لعبة الحرب برماحهم في مسجده الشريف ، ونجده يهتم بتوفير السلاح للمسلمين .

لقد كان المسلمون في بداية حربهم مقلين في السلاح ، وورد أنه في بداية المعارك كان كل ثلاثة يحاربون بسيف واحد وفي غزوة بدر كان كل ثلاثة أو أربعة رجال يتعاقبون بعيرا واحدا ولكن السلاح بعد ذلك توفر لهم بحسن تدبير الرسول صلى الله عليه وسلم الذي حرص على تدبير السلاح للمسلمين بكل وسيلة ، فحينما حاصر بني النضير وبني قينقاع أصر على أن يأخذ منهم السلاح ولم يسمح لهم بأخذ شيء منه .

وفي غزوة خيبر استطاع أن يحصل على الدبابات وحصل كذلك على المنجنيق واستعمل هذه الاسلحة فيما بعد خاصة في حصار الطائف . وحينما تحرك بعد الفتح لمواجهة

---

(١) رواه البخارى - الترغيب والترهيب جـ ٢ / ص ٣٩٩ .
(٢) رواه أبو داود - الترغيب جـ ٢ / ص ٤٠٠ .

هوازن وثقيف ، استعار دروعا من صفوان بن أمية ليتدرع بها المسلمون .

ولقد أرسل صلى الله عليه وسلم بعثة من بعض المسلمين الى جرش ليشتروا الأسلحة من هناك (١) والذي قدم بها خالد بن سعيد بن العاص . ولقد كانت كتيبة المهاجرين والأنصار التي تحرك بين رجالها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يدخل مكة كانت هذه الكتيبة مدججة بالسلاح لا يرى الناظر إليها الا الحديد والسلاح ولقد ذهل أبو سفيان حينما رآها ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم في وسطها ، فقال للعباس من هؤلاء ؟ فقال له العباس : هؤلاء المهاجرون والأنصار يحلقون حول رسول الله ، فقال أبو سفيان لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما . فقال العباس : إنها النبوة (٢) .

صورة هذه الكتيبة وصورة السلاح والحديد فيها تؤكد إلى أي مدى كان صلى الله عليه وسلم يهتم بالسلاح ونجده يقول للمسلمين (إن الله يدخل الجنة بالسهم الواحد ثلاثة نفر ، صانعه يحتسب في صنعته الخير ، والرامي به ومنبله (٣) .

ولقد رغب الرسول صلى الله عليه وسلم كل مسلم أن يكون مستعدا بعدته وآلته حتى ولو لم يكن قادرا على الحرب فلعله يعطي السلاح لغيره يجاهد به فيكون له ثواب الجهاد (من جهز غازيا فقد غزا (٤) ونجده يهتم بأفضل عدة للحرة فى زمانه وأعني بها الخيل التي قال عنها (الخيل معقود في

---

(١) يروي ذلك المقريزى في حصار الطائف وجرش هي الآن من أعمال الأردن الى الشمال من عمان بحوالي ٣٥ كيلو مترا .

(٢) امتاع الأسماع ص / ٣٧٦

(٣) أبو داود جـ ٢ / ص ٤٠٠ الترغيب . (٤) رواه مسلم جـ ٦/ص ٤٨ .

نواصيها الخير) (٥) وورد عنه انه قال فيها (من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا بالله ، وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة (١).

ولا نعجب بعد ذلك إذا علمنا أن بعض الصحابة كان يحتبس ستين وثمانين فرسا في سبيل الله ومنهم من كان يحتبس ألفا ، واحتبس خالد بن الوليد أدراعه وعتاده في سبيل الله .

وورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال كذلك (ارموا واركبوا ، وأن ترموا أحب الي من أن تركبوا ، كل شيء يلهو به الرجل باطل إلا رميه بقوسه وتأديبه فرسه وملاعبته امرأته فانهن من الحق) ولقد حث على عدم ترك التدريب على الحرب حتى عند الأمن والسلام ، ولقد مر بنا الحديث (من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا) (٢) . وورد عنه أنه قال (ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه (٣) .

ولقد كان إهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بالرمي كثيرا (ولقد قبل الرسول صلى الله عليه وسلم رافع بن خديع في غزوة أحد بعد أن رده لصغر سنة لأنه علم أنه يجيد الرمي (٤) .

وأثر عنه صلى الله عليه وسلم أنه فسر القوة ـ وهو على المنبر ـ بقوله (ألا ان القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي) والرمي أهم وأخطر ما يقاتل به

(١) رواه مسلم جـ ٦/ص ٣٢ .   (٣) رواه البخارى .
(٣) أبو داود جـ ٢/ص ٤٠٥ الترغيب والترهيب .
(٤) رواه مسلم جـ ٢/ص ٤٠٠ الترغيب والترهيب .
(٦) سيرة ابن هشام جـ ٣/ص ١٨ .

الناس . فقد كان رميا بالسهام في الماضي فأصبح رميا بالصواريخ والقنابل الذرية في هذا الزمان .

الشـــورى إعداد معنوي مـــادي

إن محمدا صلى الله عليه وسلم كان رسولا مؤيدا من عند الله عز وجل وهو سيد المرسلين وسيد ولد آدم ـ رفع الله درجته وفضله على أنبيائه ورسله وأجرى وحيه على لسانــه (وما ينطــق عن الهــوى ان هو الا وحـــي يوحي) (١) ، (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنـا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي الى صراط مستقيم) (٢) .

وعلى الرغم من هذا ، وعلى الرغم من أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان راجح العقل ذكي الفؤاد نافذ البصيرة سريع البديهة عنده القدرة ـ بفضل الله ـ على الفصل في الأمور بسرعة ودقة وحكمة ـ ويكفينا مثالا في هذا حكمه في وضع الحجر الأسود لما اختلفت قريش أيهم يضعه ـ رغم كل هذا فان الرسول صلى الله عليه وسلم يحرص الحرص الشديد على استشارة جنده قبل المعركة وفي أثنائها وكان كثيرا ما ينزل على رأي احد جنوده ـ ولو كان صغيرا ـ إذا وجد فيه الصواب بل كان ينزل على رأي الأغلبية ولو كان مخالفا لرأيه حتى ولو كانت هناك علامات تدل على خطأ رأي الأغلبية .

وحرص الرسول صلى الله عليه وسلم على مشاورة أصحابه ينبع من : ـ

---

(١) الآية ٣ ، ٤ : النجم .   (٢) الآية ٥٢ : الشورى .

١ – أنه يريد أن يؤكد أن هذه الأمة تتميز بالشورى ويقوم الحكم فيها على الشورى ولا يقوم على الاستبداد – قال تعالى (وأمرهم شورى بينهم) (١) .

٢ – كان الرسول يعلم أنه لابد مفارق لهذه الدنيا فهو يريد أن يضع القواعد التي يسير عليها حكام المسلمين من بعده .

٣ – كان الرسول يريد أن يجعل الجنود يشعرون بأنهم لا يساقون سوق النعاج بل لهم الرأي في كل عمل يقومون به وهذا الشعور يجعلهم يقتنعون بما يقومون به ويحرصون على بذل الجهد كل الجهد في سبيل انجاحه .

٤ – يريد أن يؤكد معنى أخوة المسلمين وتكافلهم

هذه بعض المعاني التى جعلت الرسول صلى الله عليه وسلم يحرص على الشورى في كل معاركه ، وفي جميع الحروب التي خاضها .

في غزوة بدر مثلا لا يبدأ القتال ولا يتجه اليه الا بعد استشارة المؤمنين ويطلب الشورى مرة واثنتين وثلاثا ، يتكلم أبو بكر ويتكلم عمر ويتكلم المقداد ولكنه لازال يقول أشيروا علي أيها الناس . لقد كان كل المتكلمين من المهاجرين وهو يريد أن يسمع رأي كل المسلمين خاصة الأنصار لأنه بايعهم على أن يدافعوا عنه داخل المدينة . . ولكنه الآن سيحارب خارج المدنية ، إنه يريد أن يعرف هل الأنصار مستعدون للحرب خارج المدنية ؟ ويفهم الأنصار فيقول سعد بن معاذ أظنك تعنينا يا رسول الله ؟ فيقول : نعم فيقول سعد ويعلن تأييده للحرب فيسر الرسول ويتقدم

---

(١) الآية ٣٨ : سورة الشورى .

للمعركة ، وفي بدر كذلك يأتيه الحباب بعد أن نزل فى منزل ويقول له : يا رسول الله . أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نفارقه أم هو الرأي والحرب والمكيدة . فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم : بل هو الرأي والحرب والمكيدة ، فيقول الحباب : ليس هذا بمنزل . انهض يا رسول الله بالناس حتى نأتي أقرب ماء من عدونا ننزله ، ونغور كل الآبار التي وراءه ، ثم نبني حوله حوضا فنملأه ماء ، ثم نقاتل العدو ولدينا الماء نشرب ولا يشرب عدونا ، فقال صلى الله عليه وسلم : لقد أشرت بالرأي ، وانتقل المسلمون إلى حيث أشار الحباب .

وفى غزوة بدر قبل الرسول كذلك بناء العريش حسب مشورة سعد بن معاذ ، ونجده كذلك بعد المعركة يستشير أصحابه ويأخذ برأي أبي بكر رضي الله عنه وذلك في موضوع الأسرى فيأخذ منه الفدية ومن لم يكن معه مال علم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة (١) .

وفي غزوة أحد لما علم بخروج المشركين استشار أصحابه ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يميل الى البقاء في المدينة والدفاع عنها من شارع إلى شارع ومن بيت إلى بيت وكان يرى هذا الرأي كبار السن من المسلمين إلا أن الشباب أبوا ذلك وأصروا على الخروج وملاقاة عدوهم خارج المدينة وكان مع هذا الرأي حمزة رضي الله عنه ونظر الرسول صلى الله عليه وسلم فرأى أن الأغلبية تريد الخروج فأقر الأغلبية ولو أنه مخالف لرأيه .

ونجد القرآن الكريم هنا يؤكد الأخذ بمبدأ الشورى رغم ما حدث ، لقد كان من الممكن أن يقال أن الأخذ

---

(١) عيون الأثر .

بالشورى والنزول على رأي الأغلبية أوصل إلى ما نرى من الالآم التي نزلت بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين وحتى لا يتكلم أحد بمثل هذا الكلام نرى الآيات التي نزلت تتحدث عن غزوة أحد تقول آية منها « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يُحب المتوكلين) (١) .

هكذا نجد الله تعالى يؤكد الأخذ بمبدأ الشورى رغم كل ما حدث ، وفي غزوة الأحزاب نجد الرسول صلى الله عليه وسلم كذلك يستشير أصحابه لما بلغه خروج الأحزاب .

يقول الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه خاتم النبيين (فجمع النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة واستشارهم فيما يصنع مع هذه الجموع ، فقد كانوا أكثر من أن يخرجوا إليهم ولا أن يتركوهم يدخلون المدينة وخصوصا أن بني قريظة على مقربة من المؤمنين ويدلونهم على عورات المسلمين ، لا هذا ولا ذاك يصلحان للعمل ولابد من عمل يكون وقاية حتى يجيء نصر الله تعالى ، وقد وعد به ، فقال (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) (٢)

وقد وجد العمل حينما أشار سلمان الفارسي بحفر الخندق فأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم بمشورته ، وعندما اشتد الحصار وانضم بنو قريظة إلى الأحزاب راسل الرسول صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن الفزاري والحارث بن أبي حارثة فطلب إليهما الرجوع بقومهم على أن يأخذوا ثلث ثمار المدينة فوافقا فأرسل إلى الانصار يستشيرهم وجاء سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فلما عرض

---

(١) الآية ١٥٩ من آل عمران . (٢) الآية ٤٧ الروم .

عليهما الأمر قالا : « يا رسول الله أهذا أمر تصنعه من أجلنا أم هو أمر أمرك الله به لابد لنا من العمل به . قال : بل شيء أصنعه لكم ، لقد رأيت العرب وقد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم فقالا : يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الاصنام لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منا ثمرة واحدة الا شراء أو قرى ، أفحين أن أكرمنا الله تعالى بالاسلام وهدانا اليه واعزنا به وبك نعطيهم ثلث ثمارنا والله مالنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم » (١) .

ولما حاصر الرسول صلى عليه وسلم الطائف وطال الحصار استشار نوفل بن معاوية فقال : يا نوفل ما ترى في المقام عليهم ؟ فقال : يا رسول الله ثعلب في جحر إن أقمت عليه أخذته وإن تركته لم يضرك ، فأذن الرسول صلى الله عليه وسلم بالرحيل (٢) ، ولما أذن الرسول في نحر ظهر القوم جاءه عمر بن الخطاب وقال : يا رسول الله لا تفعل ، ولكن اجمع أزواد الناس وادع الله وبارك ، فعمل الرسول صلى الله عليه وسلم بمشورته فلما اجتمعت أزوادهم مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها فدعا فيها بالبركة ثم قال : قربوا أوعيتكم . فجاءوا بأوعيتهم ، فجعل الرجل يأتي فيأخذ ما شاء من الزاد حتى لا يجد له محملا .

وفي غزوة تبوك أقام الرسول صلى الله عليه وسلم بتبوك بضع عشرة ليلة لم يجاوزها ولم يلق حربا فلما

---

(١) امتاع الأسماع ص/٢٣٦
(٢) زاد المعاد ج ٢ ص/١٩٧

استشار أصحابه في مجاوزتها الى ما هو أبعد من ديار الشام قال عمر : إن كنت أمرت بالسير فسر ، فقال لو كنت أمرت بالسير لم أستشر ، فقال عمر : يا رسول الله ان للروم جموعا كثيرة وليس بالشام أحد من أهل الاسلام وقد دنونا منهم ، وقد أفزعهم دنوك فلو رجعنا في هذه السنة حتى يحدث الله أمرا ـ فسمع لمشورته وأذن بالعودة إلى المدينة .

وهكذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستشير في كل أموره ، قال أبو هريرة « ما رأيت أحدا أكثر مشورة من رسول الله صلى الله عليه وسلم » (١) .

وعن عبد الله بن عمر قال « كتب أبو بكر الصديق إلى عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شاورنا في الحرب وعليك به » (٢)

صلة الرسول ﷺ كقائد بجنده

إن القواد العظام هم الذين يتربعون على قلوب جنودهم ـ ويعيشون بداخلها ، ويملؤون أفئدة الجنود بالحب البالغ .

فصلة الحب بين الجنود والقائد تكون فوق الضبط والربط والنظام . بل هي تيسر الضبط والربط والنظام ، وهذه العلاقة القائمة على الحب تؤثر كثيرا في سير المعارك ، وفي نتائجها ، وفي تقرير مصيرها . لم يشاهد التاريخ بشرا أحبه جنوده كحب جنود محمد صلى الله عليه وسلم ولم ير

---

(١) الترمذي

(٢) رواه البزار والطبراني ـ كنز العمال ج ٣/٤٥١

الناس قائدا مثل محمد ﷺ ولم يعلم العالمون قائدا في شرق المعمورة أو غربها أثر في جنوده . عن طريق الحب — هذا التأثير الكبير .

فكل من حول الرسول وكل من عاشره كان على أتم الاستعداد لتقديم الغالي والنفيس للرسول « ص » كان مستعدا أن يضحي بكل ما يملك ، مستعدا لأن يقدم نفسه وروحه في أي وقت من الأوقات فداء للرسول « ص » وخاصة في الميادين التي يجب فيها البذل والتضحية والجهاد .

انطلق هذا الحب من قول الله تعالى « قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين (١) » .

وترجم هذا الحب في السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره فيما يرضي الله سبحانه وتعالى ، ترجم هذا الحب في سرعة التلبية والاستجابة لرسول الله « ص » فى كل أمر وفي كل قضية وخاصة المواقف العسكرية التي تحتاج الى سرعة البت والقطع وسرعة الحركة والتنقل ، وسرعة المفاجأة ، فالاشارة من القائد ما هي الا أمر من الأمور التي يجب أن يطاع فيها ، وأن يكون ذلك موجودا في واقع حياة كل جندي .

ومما زاد من دهش الناس واستغراب القارئين وعجبهم أن يفعل النبي « ص » هذا في أمة أمية . في أمة ما تعودت الخضوع في نظام والانضباط تحت قيادة ،

---

(١) التوبة — آية رقم ٢٤

والانتظام في جماعة ، فلذلك تعجب الناس لما وصل اليه النبي « ص » مع جنوده الى هذا الحال .

وصل الجندي مع قائده الى حالة نسي فيها شخصيته ومطالبه الخاصة وحاجياته التي يحتاج اليها في دنياه ، كان من أعظم رغبات الجندي أن يخرج مع قائده مجاهدا يغبر أقدامه ويعفر وجهه في ميادين الشرف ، في ميادين الجهاد .

اصطحب الجندي قائده معه أينما توجه ، وأنى اتجه . على معنى أنه اصطحب أقواله وأفعاله وأعماله وسيرته معه في كل شأن واتخذه قدوة في كل أمر . وذلك هو الشئ الجديد الذي طرأ على حياة الرجل العربي في علاقته مع رئيسه أو زعيمه أو قائده .

يقف الرسول ﷺ يصف الصفوف في يوم بدر ، ويعدها لملاقاة العدو ، وهو في أثناء هذه المهمة التي يقوم بها . يتجلى مقدار حب الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . . ولنأخذ ذلك الموقف مثلا على ذلك ، تقدم سواد بن غزية الصفوف ، فدفعه النبي « ص » في بطنه ــ فقال : استو يا سواد بن غزية فقال : أوجعتني يا رسوال الله ، والذي بعثك بالحق . أقدني : فكشف عن بطنه ، وقال : استقد . . ان هذا لأمر عجيب ولشئ غريب ان يطالب الجندي قائده . وهو في ميدان المعركة بهذه الغمــزة البسيطة . والنبي يعتقد أنه سيقتص منه وكان من الممكن ان يؤجله النبي صلى الله عليه وسلم الى نهاية المعركة او كان من الممكن أن يقول : إن هذا الامر بسيط وهين ــ وانهم قد تعودوا فيما بينهم مثل هذه الأمور البسيطة .

أو أن هذا شيء من مقتضيات المعركة ومــن لوازمها ؟ أو أن يرده ردا جميلا فيه إنهاء للمسألة بصورة

ما . ولكن المسألة غير هذا فلما كشف الرسول ليقتص سواد بالفعل منه ، فاعتنقه وقبله ، فقال له النبي ما حملك على ما صنعت ، فقال : حضر من أمر الله ما قد ترى وخشيت القتل ، فأردت أن يكون آخر عهدي بك (أن يمس جلدي جلدك وأن أعتنقك) (١) . هذا مظهر من مظاهر حب الجنود لقائدهم في وقت الشدائد .

وفي غزوة أحد . ثبت رسول الله « ص » في مكانه . ونال منه المشركون ما نالوا .

وكسرت رباعيته ودخلت حلقتان من المغفر في وجنته ، وهو ثابت في مكانه لم يزل ﷺ شبرا واحدا بل وقف في وجه العدو وأصحابه تئوب اليه مرة منهم طائفة وتتفرق عنه مرة .

وثبت بين يديه يومئذ ثلاثون رجلا كلهم يقول : وجهي دون وجهك ونفسي دون نفسك وعليك السلام غير مودع (٢)

ولما أسر زيد بن الدثنة وأخذه المشركون للقتل قال له أبو سفيان أنشدك الله يا زيد ، أتحب أن محمدا عندنا الآن في مكانك تضرب عنقه ، وأنك في أهلك ، قال والله ما أحب أن محمدا في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه ، وأنا جالس في أهلي .

عندئذ قال زعيم المشركين أبو سفيان ، ما رأيت من الناس أحدا يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمدا .

وفي يوم أحد تأتي هند بنت عمرو بن حرام زوجة عمرو بن الجموح وقد استشهد زوجها وابنها خلاد . وأخوها عبد الله بن عمرو بن حرام ، وتسألها السيدة

---

(١) امتاع الأسماع ص/٧٩ ، ٨٠ (٢) امتاع ص/١٣١ ، ١٣٢

عائشة عن الأمر فتقول : أما رسول الله فصالح ، وكل مصيبة بعده جلل ، واتخذ الله من المؤمنين شهداء » (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا) (١) وسألتها عائشة : من هؤلاء ؟

قالت أخي وابني وزوجي (٢)

ولما بعثت قريش عروة بن مسعود الثقفي عام الحديبية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ عروة يكلم النبي ﷺ في أمر قريش « وفي اعدادهم وتهيئتهم للغاية ، ومما قاله للرسول « ص » وقد لبسوا جلود النمور ، يعاهدون الله الا تدخلها عليهم عنوة أبدا والله لكأني بهؤلاء ، قد انكشفوا عنك غدا . وكان أبو بكر رضي الله عنه خلف النبي « ص » فقال له : أنحن ننكشف عنه ، ثم جعل يتناول لحية النبي صلى الله عليه وسلم وهو يكلمه ، مما يدل على جرأته وصلفه وخشونته وعبثه .

وكان المغيرة بن شعبة واقفا على رأس النبي « ص » وهو بالحديبية ، فكلما مد يده الى لحية رسول الله يقرع يده ويقول له : أكفف يدك عن وجه رسول الله قبل ألا تصل اليك .

قام عروة من عند رسول الله وقد رأى ما يصنع به أصحابه فعاد الى قريش يقول لهم :

يا معشر قريش اني قد جئت كسرى في ملكه ، وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه ، واني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في أصحابه ، ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء أبدا (٣)

---

(١) الآية ٢٥ الأحزاب . (٢) امتاع ص/١٤٧

(٣) مختصر سيرة ابن هشام ص/٢٥٤ .

وطبعا كان موقف النساء من رسول الله ﷺ لا يقل عن ذلك أبدا دفاعا عنه وتضحية من أجله وثباتا معه .

ذكر سعيد بن أبي زيد الأنصاري أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول : دخلت على أم عمارة فقلت لها يا خالة : أخبريني خبرك ، فقالت خرجت أول النهار أنظر ما يصنع الناس ، ومعي سقاء فيه ماء ، فانتهيت إلى رسول الله « ص » وهو في أصحابه . والدولة والريح للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون ، انحزت إلى رسول الله « ص » فقمت أباشر القتال ، وأذب عن الرسول « ص » بالسيف وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراح إلي قالت رأيت على عاتقها جرحا أجوف له غور ، فقلت من أصابك بهذا . قالت ابن قميئة أقمأه الله . لما ولى الناس عن رسول الله أقبل يقول : دلوني على محمد . فلا نجوت إن نجا فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله « ص » فضربني هذه الضربة . ولكن فلقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كانت عليه درعان .

وهكذا وصل القائد عن طريق حب جنوده له إلى ما حقق الأهداف والأغراض ومما زاد الجنود حبا للقائد وتعلقا به ، وارتباطا وثيقا بكل ما يقول ويفعل معرفتهم به معرفة حقيقية معرفة عن قرب ، بجميع تصرفاته معهم . عرفوه أنه معهم في كل شيء يشاركهم في السراء والضراء كرجل منهم وكواحد من أفراد الجيش لا يتميز عنهم بشارة ولا علامة ولا بطعام ولا بشراب بل هو أكثرهم جهدا وأعظمهم بذلا . وأكثرهم عطاءا ، وأفضلهم وأحسنهم معاملة ، وأقلهم أخذا وأخشنهم طعاما وشرابا وملبسا .

جمع الحطب معهم . وحمل الحجارة والتراب في بناء المسجد وفي حفر الخندق حتى غطى التراب بطنه . بل نجده في المقدمة عند الشدائد ، فعندما تستعصي على المسلمين الصخرات يأتي هو فيفتتها بضرباته .

ويشاركهم في المشي إلى الجهاد وتكون له نوبة كواحد منهم .

ويقول لستما بأقدر مني على المشي ولست بأغنى منكما عن الأجر ، حينما يطلبان منه أن يكفياه المشي .

وعندما تشتد المعركة يكون هو في المواجهة ولا يتنقل منها ولا يتحرك عنها . . يقول علي « رضى الله عنه » كنا إذا اشتد البأس ، واحمرت الحدق لم يكن أحد أقرب الى العدو منه « ص » .

وفي يوم أحد لم يزل قيد شبر من مكانه وثبت فيه حتى فاء إليه المسلمون وفي يوم حنين يثبت في مكانه ويقول : أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب . ويسوي الصفوف بنفسه . والمواقع التي يقف فيها القوم . كل ذلك يعطينا أنها قيادة تجعل الاصحاب يعتبرونه أحب اليهم من كل شيء حتى من أنفسهم ويجعل الناس الآخرين يعجبون لهذا ويصيبهم الدهش والغرابة لهذا التصرف النادر . إنها القيادة تميل اليها القلوب . . وتهفو اليها الأفئدة . . وتفديها الأرواح . .

تفتيت قوة العدو في الميدان

القائد الناجح هو الذي يستطيع أن يعرف قوة عدوه ، وبناء على هذه المعرفة يدبر أموره وشئونه

العسكرية ، فاذا كانت قوة عدوه قوة كبيرة هائلة . . ضخمة فيتصرف القائد تصرفا يضمن لنفسه النصر ، أو يحتفظ بقواته حتى لا تذهب تحت سنابك خيل العدو .

في ضوء هذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتصرف في أعماله العسكرية ، ففي يوم الأحزاب أرسل الى عيينه بن حصن والحارث بن عوف وهما قائدا غطفان . فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه ، وعن أصحابه ، فجرى بينه وبينهما الصلح ، حتى كتبوا الكتاب ، ولم تقع الشهادة ، ولا عزيمة الصلح الا المراوضة في ذلك . فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل بعث إلى السعدين . فذكر ذلك لهما واستشارهما فيه (١)

وبعد حديث طويل قال له سعد بن معاذ لا تعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم . .

وهذا العرض من الرسول على غطفان لاشك أوجد خلخلة وزعزعة في نفوس هؤلاء الناس ، فهؤلاء المجتمعون على حرب رسول الله ليسوا يدا واحدة ، ويمكن أن يعمل الرسول على تفتيت قوتهم ، وخاصة بعدما تعلقت نفوسهم بهذا العرض الجديد من الرسول صلى الله عليه وسلم .

يقول الشيخ أبو زهرة (٢) :

قد أفاد عرض الصلح أمرين عظيمين :

أولهما : أن النبي « ص » علم عزيمة أصحابه ، وأنهم يريدون لقاءهم .

ثانيهما : أن ذلك أطمع غطفان ومن معهـا من القبائل ــ والطمع إذا سكن حل العزيمة ، وقد ترتب على

---

(١) ابن هشام ص/٢١٨ (٢) خاتم النبيين ــ ج ٢ ص/٣٠٩

ذلك الأطماع . أنهم تململوا لطول الحصار ، وجرى بينهم وبين قريش خلاف ، وهموا أن يعودوا من حيث جاءوا من غير أن ينالوا شيئا » .

لهذا لما جاء نعيم بن مسعود الأشجعي لرسول الله مسلما ليلا . أمره النبي صلى الله عليه وسلم بأن يخذل الناس ، وأذن له أن يقول فتوجه إلى بني قريظة ، وأشار عليهم ألا يقاتلوا مع قريش وغطفان ، حتى يأخذوا منهم رهنا من أشرافهم فقبلوا رأيه واستكتمهم مجيئه إليهم . ثم جاء إلى أبي سفيان في رجال قريش وأعلمهم أن قريظة قد ندمت على ما كان منها ، وأنهم راسلوا محمدا بأنهم يأخذون من أشراف قريش وغطفان سبعين رجلا يسلمونهم إليه ليضرب أعناقهم حتى يرد بني النضير إلى ديارهم ويكونون معه حتى يردوا قريشا عنه ، وسألهم كتمان أمره .

ثم جاء غطفان وأعلمهم عن بني قريظة بما أعلم به قريشا عنهم وحذرهم أن يدفعوا إليهم رهنا . وبعد مراسلات بين بني قريظة وقريش وغطفان كان من نتائجها نجاح مهمة نعيم بن مسعود . ويئس كل منهم من الآخر واختلف أمرهم (١) .

وفي يوم خيبر وضع الرسول ﷺ أول ما نزل الجيش في منطقة بين غطفان واليهود حتى لا تمدهم بجيشها ، يقول ابن كثير في السيرة أقبل حتى نزل بواد يقال إنه الرجيع فنزل بينهم وبين غطفان ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر ، لأنهم كانوا لهم مظاهرين على وسوال الله « ص » . فبلغني أن غطفان لما سمعوا بذلك ثم خرجوا

---

(١) بتصرف من الامتاع ص/٢٣٨

ليظاهروا اليهود عليه ، حتى اذا ساروا منقلة ، سمعوا خلفهم في أموالهم وأهليهم حسا ، ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم فرجعوا ، على أعقابهم ، فأقاموا في أموالهم وأهليهم ، وخلوا بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين خيبر (١) .

ويقول ابن القيم في زاد المعاد « سار إلى خيبر في المحرم فنزل ﷺ بالرجيع . . (واد بين خيبر وغطفان) ، فتخوف أن تمدهم غطفان فبات به حتى أصبح فغدا اليهم (٢) .

وفي امتاع الاسماع « يبعث الله على غطفان الرعب . فخرجوا على الصعب والذلول (كناية عن هربهم) فذل عند ذلك عدو الله ابن أبي الحقيق وأيقن بالهلكة (٣) .

وبعث الرسول « ص » مع وفد هوازن الذين جاءوا اليه أن يذهبوا إلى مالك بن عوف سيدهم الذي أقام بالطائف ويذكروا له ان الرسول يعفو عنه إن جاءه مسلما ويرد عليه ما أخذ منه .

فلما بلغ ذلك مالكا انسل من ثقيف حتى أتى رسول الله « ص » وهو بمكة أو بالجعرانة فأسلم وحسن إسلامه . فرد الرسول ﷺ عليه أهله وماله (٤) .

وبعد ذلك اتجهت حملات الرسول « ص » صوب القبائل العربية المتعاقدة مع الفرس والروم بهدف اخضاعها وتنخلع عن تأثير الدولتين الكبيرتين ، من ذلك غزو دومة الجندل وغزوة ذات السلاسل لحرب قضاعة . وغزوة مؤتة

---

(١) ابن كثير ج ٣/ ٣٤٥

(٢) ج ٢ ص/ ١٢٣

(٣) ج ١ ص/ ٣١٣

(٤) السيرة النبوية لابن كثير ص / ٦٨٣ بتصرف .

لحرب الروم الذين تجمعوا بأرض الشام على أطراف الجزيرة .

وتحققت أهداف هذه الحملات من حيث إظهار قوة المسلمين . وتمزيق الأحلاف بين هذه القبائل وبين الفرس والروم ، كما أصبح للاسلام وجود على حدود الدولتين وألزمت القبائل التى ظلت مع المسيحيين على التعاقد مع الاسلام والخضوع له .

ويذكر المؤرخون أن سكان تبوك من الروم وخدام هربوا عند وصوله « ص » إليها وذلك راجع إلى ما ظهر عند أول احتكاك فعلي بين المسلمين والروم في غزوة مؤتة . فقد شهد الروم أن المسلم يريد أن يموت فى سبيل الله ولا يعنيه كيف مات مادام قد قتل عدوا قبل موته .

لأن المسلم كان في ذروة الحماس للاسلام بينما كان الرومي ، وإن كان محاربا مدربا إلا إنه لم يكن متحمسا للنزاع بين المذاهب المسيحية . فضلا عن أن الحرب مع الفرس قضت على خبرة المحاربين الرومان فهم لا يقاتلون إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر .

وقد أقام الرسول « ص » على حدود الامبراطورية عشرين يوما يتحدى من يشاء أن ينازله أو يقاومه ، يعمل على حماية حدود الجزيرة العربية .

وكان يوحنا بن رؤبة صاحب أيلة « العقبة » أحد المقيمين على الحدود ، فوجه اليه الرسول رسالة بأن يذعن أو يغزوه . فأقبل يوحنا وعلى صدره صليب من ذهب وقدم الهدايا وتقدم بالطاعة ، وصالح الرسول وأعطاه الجزية ، كما صالح الرسول « ص » أهل جرباء وأذرع . وأعطوه الجزية .

لم يكن بعد انسحاب الروم خوف من هجومهم ، ولكن كان الرسول ﷺ يخشى انتقاض أكيدر بن عبد الملك الكندي النصراني أمير دومة الجندل ، ومعاونة جيوش الروم اذا جاءت من ناحيته ، فبعث إليه خالد بن الوليد ومعه أربعمائة وعشرين فارسا لاخضاع أكيدر وأن يعتقله ، فذهب خالد إليه وجاء به أسيرا وكان حليفا لهرقل بعد أن صالح أهل الحصن ، ولحق بالنبي ومعه الأكيدر ، فأقر الرسول « ص » ما أمضى خالد واطلق سراح أكيدر وكتب له أمانا كما كتب لغيره .

وبهذا حقق الرسول ﷺ تأمين حدود شبة الجزيرة العربية وأقام من هذه البلاد معاقل بينه وبين الروم ونذكر كلاما للدكتور مصطفى السباعي في كتابه عظماؤنا في التاريخ ص ١٠٢ يؤيد وجهة نظر أن الرسول كان يفتت قوة أعدائه ، ولا يلقاهم جميعا ، يقول : « كان رسول الله ﷺ يحرص على أن لا يواجه الاعداء جميعا في وقت واحد ، فاذا تجمعوا لقتاله حرص على التفريق فيما بينهم بكل الوسائل . حتى اذا أمكنته الفرصة بطش بأقواهم ثم بمن بعدهم حتى يتم له النصر . وبذلك نجت الدعوة في حياته صلى الله عليه وسلم من كثير من المتاعب ، وحال دون تألب الأعداء عليه جميعا الا حين لم يستطع لذلك دفعا . . وأنزل الضربات المتتالية بأعداء الدعوة فريقا اثر فريق . . »

الحزم والسرعة في مواجهة المشكلات

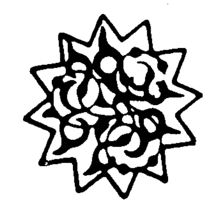
بعد هزيمة المسلمين في أحد واستشهاد سبعين صحابيا . وإصابة عدد كبير من المسلمين بجراحات بالغة

وحالة المسلمين النفسية مترديه . هذا كله كان أمام الرسول صلى الله عليه وسلم بعد المعركة . وبجوار ذلك سمعة المسلمين بين القبائل العربية وخاصة المحيطة بالمدينة ولكن الرسول ﷺ ينتقل بالمسلمين نقلة كبيرة تنطوي على معان كثيرة . وهذه النقلة هي الاتجاه بالمسلمين إلى حمراء الأسد ، فأمر من ينادي بالخروج إليها وخرج الرسول فعلا بمن كان معه بالامس فقط ، ورابط في حمراء الاسد ثلاثة أيام وشاع أمر هذه الخرجة بين القبائل العربية ، فردت الى المسلمين اعتبارهم ووصل خبرها إلى أبي سفيان وجيشه ، ففت في عضده وآثر الاتجاه الى مكة لا يلوي على شيء .

وعند عودة المسلمين من بني المصطلق . أوشك خلاف أن يدب بين المهاجرين والانصار . وقال عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه ما قال . وأصبح الناس ، وليس لهم حديث إلا ذلك ، فما كان من النبى ﷺ أمام هذا الامر الذى يعرض وحدة المسلمين للخطر . إلا ان يميت هذه الفتنة في مهدها . فمشى الناس يومهم ذلك حتى أمسى وليلتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياما . كل ذلك ليشغلهم عن الحديث الذي كان بينهم بالامس .

ولما ذهب النبي ﷺ الى بني قريظة ليؤاخذهم بجريرتهم ويعاقبهم على نقضهم العهد . وقبل أن يصدر الرسول حكمه تواثبت الأوس . وطلبوا من الرسول « ص » العفو كما عفى عن بني النضير ، لان بني قريظة حلفاء الأوس في الجاهلية ، فلما كلمته الأوس في ذلك . قال رسول الله « ص » ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم

رجل منكم ؟ قالوا بلى . قال رسول الله ﷺ فذاك الى سعد بن معاذ فحكم فيهم سعد بن معاذ بما يرضي الله ورسوله وانتهت هذه المشكلة على ما يحبه الله . وفي يوم الفتح كان سعد بن عبادة يحمل راية رسول الله « ص » فنادى وقال : يا أبا سفيان : اليوم يوم الملحمة . اليوم تستحل الحرم اليوم أذل الله قريشا . فقال أبو سفيان للنبي عندما حاذاه زعم سعد ومن معه كذا . وذكر كلام سعد . عند ذلك دفع اللواء الى ابن سعد (قيس بن سعد بن عبادة) وعزل سعدا عنها . وكان ذلك تصرفا حميدا حل به هذه المشكلة .



مظاهر عبقرية الرسول العسكرية

المظهر الأول ينقسم الى :

(أ) تنظيم الجيش أثناء المعارك :

اعتنى الرسول « ص » عناية فائقة بتنظيم الجيش وترتيبه ، والضبط والربط فانتصر يعقد بالفريق الأحسن نظاما وترتيبا ، ودقة في أداء واجباته . وبدأ المسلمون لأول مرة فى بلاد العرب ـ يقاتلون في صفوف منتظمة . وهذا ما أشار اليه القرآن بقوله (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) (١) .

فقد جعل « ص » الجيش يقاتل في صفوف منتظمة ، ويقوم بتسويتها ويقوم عوجها بيده وقد وجد سواد بن غزية بارزا من الصف يوم بدر فغمزه بعود في يده وقال له : استقم يا سواد (٢) .

وقبل بناء العريش ليشرف على المعركة ويوجهها من مكان حصين . يوم بدر ولو قدر أن حصلت الهزيمة ، يرجع إلى المدينة ، ويأتي بمن بقي بها فان الرسول خرج لاحدى الطائفتين ـ العير أو النفير ـ ومنعهم الرسول في بدر من أن يبدأوا عدوهم بقتال حتى يأذن لهم ـ وقد صفهم ليلا (٣) .

(١) سورة الصف : (٢) ابن اسحاق (٣) السيرة ـ ابن كثير ج٢ ص/٩

وروى الترمذي عن عبد الرحمن بن عوف قال : صفنا رسول الله « ص » يوم بدر ليلا . وروى الامام أحمد من حديث ابن لهيعة قال : حدثني يزيد بن حبيب أن أسلم أبا عمر حدثه أنه سمع أبا أيوب يقول : صفنا رسول الله « ص » يوم بدر . فبدرت منا بادرة أمام الصف . فنظر اليهم النبي ﷺ فقال : « معي معي » .

ومن تعليمات النبي « ص » للجيش يوم بدر كما قال ابن اسحاق ألا يحملوا حتى يأمرهم وقال : إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل (١) . وفي صحيح البخاري إذا أكثبوكم يعني المشركين ، فارموهم ، واستبقوا نبلكم (٢) . وأمر النبي « ص » أن ينضحوهم بالنبل أولا . ثم لا يبدأوا حتى يقتربوا منهم وحتى يتأكدوا من أصابة الهدف . وقال لهم يوم خيبر « ثم الزموا الأرض جلوسا ، فاذا غشوكم فانهضوا وكبروا » (٣) .

وبلغ من حرص النبي ﷺ على النظام أنه كان يشرف بنفسه على ترتيب أوضاع النساء . . اللاتي اشتركن في العمليات ، وكان يجعل عليهن قائما على أساس من النظام الدقيق ، حتى لا يحدثن هرجا ولا مرجا عند القتال ، فيضيع الربط والضبط اللازمان لكل حركة أثناء اللقاء . وقد أعد مكانا للنساء في غزوة أحد ، خوفا من الاخلال بالنظام .

ومما حدث في بدر قبوله مشورة الحباب بن المنذر في تغيير المكان . وبناء حوض وتغوير القلب التي في الخلف

---

(١) ص/٤١٦ ج ٢ السيرة النبوية لابن كثير .

(٢) ابن كثير ج ٢ ص/٤١٦

(٣) باشميل – فتح خيبر – ص/١٣٥

وأمر ان تقطع أجراس الابل . لئلا يشغل الناس بها (١) .
وجعل اللواء في يوم بدر ـ لمصعب بن عمير ، وكان أبيض ، وأعطى راية المهاجرين وكانت سوداء لعلي بن أبي طالب . وراية الأنصار للحباب بن المنذر ، وجعل على كل فريق رجلا منهم ليأنس كل فريق بصاحبه (٢) .

وفي أحد صف النبي صلى الله عليه وسلم الصفوف ، وجعل الرماة خلف ظهر الجيش ، وعلى رأسهم عبد الله بن جبير وأوصاهم ، ألا يتركوا أماكنهم حتى لو رأوا أن السيف يتخطفهم وأوصى عبد الله ومن معه بأن ينضحوا عن المسلمين الخيل ، وقال له « انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتوا من خلفنا فاثبت مكانك لا نؤتين من قبلك » (٣) .

وأمر الجيش ألا يبدأ العدو بقتال ، وأن يكونوا جميعا على قلب رجل واحد ، وعليهم أن يسمعوا الأوامر التي تصدر اليهم من القيادة ويقوموا بتنفيذها . كأنه كان يعيش مع أحدث الجيوش نظاما في هذه الايام .

وفي يوم الأحزاب قام هو وصحابته بحفر الخندق وبعض الناس يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم اكتفى بحفر الخندق ، وبقي بجواره يرد المعتدين ومن يريد أن يقتحمه وينظم الحراسة والدوريات وهذا أمر مهم جدا أمام تصميم قريش التي جاءت لغزو المدينة بهذه الالآف ولكن هناك أشياء أخرى قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم منها أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر النساء والذراري أن تكون في أطم . أي فى بناية متينة ، تكون كالحصون لئلا يكونوا تحت عين بني قريظة ولكيلا يكون المجاهدون في فزع على نسائهم ، وذريتهم ، ولكيلا يصيبوا منهم غرة .

---

(١) (٢) ج ٢ ص/١٢٠ أبو زهرة . (٣) ج ٢ ص/١٦٨ أبو زهرة

والنبي صلى الله عليه وسلم أقام سلمة بن أسلم ومعه مائة رجل في حراسة المدينة وأقام زيد بن حارثة ومعه ثلاثمائة رجل أخرى لحراسة المؤمنين من انقضـــاض اليهود .

وله في كل غزوة وحركة نظام جديد يدخله على الجيش بما يتفق مع وضعه ووضع عدوه ففي يوم الفتح استنفر الناس جميعا : المدينة وما حولها ، وبعث اثني عشر من خلصاء أصحابه الى البادية لاستنفار القبائل .

وعند دخول مكة كان لنظام الدخول أثر بالغ على كل من رأى هذا الجيش وخاصة أبا سفيان ومن كان على دربه .

ثم نظم الجيش إلى أربعة ألوية . وجعل على كل لواء رجلا من الرجال المعدودين : الزبير بن العوام ، وخالد بن الوليد ، وقيس بن سعد بن عبادة ، وأبا عبيدة عامر بن الجراح . . ودخل هو من المكان الذي دخل منه أبو عبيدة وبهذا التنظيم فتحت مكة بسرعة حتى من حاول القتال سلم بعد جولات خفيفة لخالد بن الوليد .

(ب) الانضباط :

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية للطواف بالبيت ، وهذا هو مقصدهم ، وذلك هو غايتهم ، وأعلنوا عن ذلك ، وساقوا الهدي أمامهم ، وقدموه ليذبح عند الحرم ، وليعلم العرب بذلك ، ولكن قريشا رفضت دخول النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الطريقة .

وبعد السفارة بين الرسول وقريش ، جاء سهيل بن عمرو ، وتم عقد الصلح ، وتميز الرسول بالانضباط وحبس

الانفاس هو وأغلب المسلمين ، عند كتابة العقد وإملاء الشروط . وكان هناك بعض المسلمين ومعهم عمر غير مستريحين لهذه الشروط ولهذا الصلح خاصة وأن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبرهم. أنهم سيدخلــون مكة ، وسيطوفون بالبيت ، ورؤيا الأنبياء حق . فكان الرسول يرد على هؤلاء حينما يسألونه بقوله « انا رسول الله ، ولن أخالف أمره ولن يضيعني » (١) . . وكان أبو بكر يقول الزم غرزه وهذا القول لعمر بن الخطاب .

وفي أثناء اتجاه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى خيبر ، وفي ليلة مقمرة أبصر صلى الله عليه وسلم برجل يسير أمامه وعليه شيء يبرق في القمر . . فأنكر الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا : من هذا ؟ فقيل : أبو عبس بن جبر ، فقال صلى الله عليه وسلم أدركوه ، قال أبو جبر : وأخذني ما تقدم وما تأخر ، وظننت أنه نزل في أمر من السماء ، فجعلت أتذكر ما فعلت ، حتى لحقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال منكرا مالك تقدم الناس لا تسير معهم ؟ فقلت يا رسول الله : ناقتي نجيبة ، فلم يعاتبه الرسول صلى الله عليه وسلم بأكثر من الحبس الذى ناله على يد رجال الدورية من مقدمة الجيش (خيبر) (٢) .

وكان الأنضباط رائعا في يوم الفتح وانه لأعظم انضباط في تاريخ الدنيا كلها ، مدينة تفتح وكانت محاربة ويدخلها جيش من أربع جهات ، ولم يحصل قتال الا عندما دافع خالد عن نفسه ، وقد أمنهم الرسول ﷺ قبل دخول مكة ، وعفا عنهم في حرم الله الآمن حينما قال لهم : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

---

(١) امتاع الأسماع ص/٢٩٢ (٢) احمد باشميل ص/١١٦

المظهر الثاني ـ الأمن وينقسم الى :

(أ) الكتمان والسرية :

القائد العسكري الناجح هو الذي يخطط للأعمال التي يقوم بها والتحركات التي يتحركها ويتخذ من الأسباب والوسائل التي تعينه وتساعده على تحقيق ما يخطط له . وما يهدف اليه ، وما يسعى لايجاده .

ومن الوسائل التى اتخذها الرسول صلى الله عليه وسلم واعتمد عليها في كل تحركاته أو أكثرها ، السرية التامة الكاملة في تحركاتـه العسكريـة ، وأن القـواد العسكريين في الحروب الحديثة اعتمدوا على ذلك لنجاح خططهم ، فمثلا (نابليون) عند تحركه باسطوله إلى مصر أخفى ذلك حتى لا يعلم الانجليز به ، وفعلا لم يستطع الاسطول الانجليزى اللحاق به إلا بعد وصوله (ابي قير) بجوار الاسكندرية وقد نزل الجند إلى أرض مصر .

فتحركات الرسول صلى الله عليه وسلم كان لا يحس بها العدو ولا يشعر بها ، فيتلفت ليجد جيش المسلمين في منطقته أو على رأسه ، « إنا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » .

وهناك سرية سعد بن أبي وقاص التى كانت في السنة الأولى من الهجرة ، يقول سعد :

خرجت فى عشرين رجلا أو أحد وعشرين رجلا من المهاجرين على أقدامهم فكانوا يكمنون النهار ، ويسيرون الليل حتى صبحوا صبح خمس الخرار (اسم مكان بناحية

المدينة) من الجحفة قريبا من خم ، يريدون عير قريش ففاتتهم (١) .

وهناك الرسائل المختومة التي يعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم رائدا فيها ، ومبتكرا لها . والتي يحملها الجيش ، ولا يعرف مضمونها ، إلا بعد التوجه للعدو ، وفي المكان المذكور ، ثم يقوم بفضها القائد المسئول .

ظهر ذلك جليا في سرية عبد الله بن جحش ، فقد كتب له النبي صلى الله عليه وسلم كتابا وأمره ألا ينظر فيه إلا بعد يومين من مسيره ، ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره به ، ولا يستكره من أصحابه أحدا .

يقول ابن اسحاق : كانوا ثمانية وأميرهم التاسع ، فلما سار يومين بهم فتح الكتاب فاذا به : اذا نظرت في كتابي ، فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف ، تترصد بها قريشا ، وتعلم لنا من أخبارهم (٢) .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بعدما صلوا صلاة المغرب ، فمشوا ليلهم حتى وافوا ذا القصة مع عماية الصبح ، فأغاروا على القوم ، فأعجزوهم هربا ، وأخذوا رجلا ، واستاقوا نعما ، ووجدوا رثة من متاع ، وعادوا ، فخمس رسول الله الغنيمة ، وقسم باقيها ، وأسلم الرجل وترك لحاله (٣) .

وفي يوم الفتح قال صلى الله عليه وسلم لعائشة ، جهزينا ، وأخفي أمرك . وقال صلى الله عليه وسلم : اللهم خذ من قريش الاخبار والعيون حتى نأتيهم بغتة » (٤) .

---

(١) امتاع الاسماع ـ ج١ ص/٥٣

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ـ ج٢ ص/٣٦٦

(٣) أمتاع الاسماع ـ ج ١ص/٢٦٥

(٤) المرجع السابق ص/٣٦١

وأمر صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز ، وطوى عنهم الوجه الذي يريد ، وقال أبو بكر يا رسول الله أليس بيننا وبينهم مدة قال : إنهم غدروا ، ونقضوا العهد ، فأنا غازيهم ، واطو ماذكرت لك ، فظان يظن أنه يريد الشام ، وظان يظن ثقيفا ، وظان يظن هوازن (١) .

ولما أصيب خبيب وأصحابه ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم طالبا بدمائهم ليصيب من بني لحيان غرة ، فسلك طريق الشام ليرى أنه لا يريد بني لحيان ، حتى نزل بأرضهم ، فوجدهم ، قد حذروا ، وتمنعوا ، في رؤس الجبال (٢) .

ومن الأمور التى تتعلق بفتح مكة ، زيادة في الكتمان ، مراقبة الطرق إلى مكة ، حتى لا يتسرب النبأ اليهم ، واحتجاز كل من يشتبه في أمره ، والذي وكل اليه هذه المهمة عمر رضي الله عنه فكان عمر بأمر من الرسول يطوف على الطريق ، فيقول للحرس ، لا تدعوا أحدا يمر بكم تنكرونه ، الا رددتموه ، إلا من سلك الى مكة فانه يحتفظ به ويسأل عنه (٣) .

بهذا الكتمان وتلك السرية وهذا التخفي ، نجح النبي صلى الله عليه وسلم نجاحا باهرا في الوصول إلى ما كان ويرمى اليه ، ويهدف إليه وخاصة عند فتح مكة ، ومنع النبي صلى الله عليه وسلم من أن يذاع أى خبر عن تحركات الجيش ، أو مقصده أو الاماكن التي ينزل فيها ، ولما أقدم حاطب بن أبي بلتعة على فعلته التي فعلها ، كاد المسلمون

---

(١) المرجع السابق ص/٣٦٢

(٢) السيرة / لابن كثير ص/١٥٦

(٣) الواقدى بتصرف ج٢ ص/٧٩٦

أن يقتلوه ، ويعلن عمر عن نفاقه ، لولا مقالة النبي صلى الله عليه وسلم فى أهل بدر ـ فهو بدري ـ لفتك به وقتله .

يقول الاستاذ / محمود شيت خطاب عن اذاعة أنباء الجيش ، في كتابه الرسول القائد « حذر الاسلام من اذاعة الأسرار العسكرية ، وجعل اذاعتها من شأن المنافقين ، وطلب الرجوع بها للقيادة العامة ، كما طلب من المسلمين أن يتثبتوا فيما يصلهم من أنباء قبل الركون اليها والعمل بها .

« لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض ، والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ، ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا » (١) .

وزيادة في التعمية ، وتضليل العدو والتمويه عليه بعث الرسول صلى الله عليه وسلم بسرية عسكرية إلى ناحية نجد شرقي المدينة ، فأمر السرية أن تتحرك إلى مكان يقال له بطن أضم (وهو واد لأشجع من قبيلة غطفان) (٢) .

(ب) العيون :

العين مهمتها صعبة وشاقة وتكليف شديد وعسير ، عليه أن يذهب إلى أرض العدو أو المكان الذي ينزل فيه ، ويختلط به ، ويعيش بداخل معسكره فترة حتى يحصل على المعلومات اللازمة ، والتي جاء من أجلها .

ففي يوم بدر يرسل الرسول صلى الله عليه وسلم بسبس بن عمرو ، وعدي بن أبي الزغباء وقد مضيا حتى نزلا بدر . فأناخا الى تل قريب من الماء ، ثم أخذا شيئا لهما

---

(١) الآية ٦٠ : الاحزاب

(٢) فتح مكه ـ باشميل

يستسقيان فيه ، ومجدي بن عمرو الجهني على الماء ، فسمع عدي وبسبس جاريتين من جواري الحاضر يتلازمان على الماء ، الملزومة تقول لصاحبتها إنما تأتي العير غدا ، أو بعد غد ، فأعمل لهم ، ثم أقضيك الذي لك . قال مجدي صدقت ، ثم خلص بينهما (١) .

وفي يوم أحد لما علم النبي صلى الله عليه وسلم بأمر قريش ، أرسل أنسا ومؤنسا ابني فضالة يتنطسان (يتجسسان) خبر قريش . فاعترضا لقريش بالعقيق - واد على ثلاثة اميال من المدينة وعادا الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبراه . ثم بعث الحباب بن المنذر بن الجموح ، فدخل فيهم فحزرهم ، وجاءه بعلمهم (٢) .

وفي يوم الأحزاب بعث النبي صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان ، لينظر ما فعل القوم ، وما يقولون ، فدخل عسكرهم في ليلة شديدة البرد ، فاذا هم يصطلون على نار لهم والريح لا تقر لهم قدرا ولا بناء ، وهم يشتورون في الرحيل حتى ارتحلوا ، ثم ذهب حذيفة إلى غطفان فوجدهم قد ارتحلوا فأخبر النبي بذلك (٣) .

وبعد فتح مكة سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قبائل هوازن وثقيف ، ونصر وجشم وسعد بن بكر وناس من بني هلال قد جمعوا جموعهم لحربه .

حقا إنها لجموع كثيرة ، جمع بينها حرب رسول الله ، وإزالة هذا الاسلام والقضاء عليه ، وهذا عدو لا يستهان به أبدا ، ولابد من أن يعرفه ويعرف كل ما يتعلق به .

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ج١ ص/٣٩٨ (٢) أمتاع الاسماع ص/١١٥

(٣) السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص/٢١٧

فبعث النبي اليهم عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي ، وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ، فأقام فيهم حتى علم وسمع ، ما قد أجمعوا عليه من حربه صلى الله عليه وسلم وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه ثم أتى رسول ، فأخبره الخبر (١) . .

إن الحصول على المعلومات يحقق هدفين : هدفا مباشرا وهو وضع خطة ضد العدو وهدفا غير مباشر ، وهو توفير الأمن لجيوشنا ضد تحركات العدو وخططه ، وبالتالي تجنب الوقوع في المفاجآت ، فالمعلومات عن العدو ركن مهم من أركان الأمن .

(ج) الطلائع :

القائد الناجح هو الذي يتخذ الطرق السليمة الموصلة للنصر والتي تجعله يفوز في المعارك التى يخوضها مع أعدائه ، والغلبة عليهم ، ويقف التاريخ أمامه وقفة إكبار وإعزاز ، ومن هذه الطرق اللازمة الحصول على المعلومات التي تصل اليه عن عدوه ، فكلما كان الحصول من الاستكشاف دقيقا ومحيطا كانت خطة مواجهة هذا العدو أقرب إلى الكمال .

فالطلائع مهمتها الحصول على المعلومات التى تهم القائد في لقائه مع هذا العدو ورسولنا صلى الله عليه وسلم خير من يعترف له التاريخ بهذه المواقف . فهو قد عرف عدوه وعرف عنه كثيرا مما يحتاج اليه فى معركته معه .

---

(١) بتصرف من امتاع الاسماع ص/٢٧٥

ففي يوم بدر أسرع هو وأبو بكر يجمعان المعلومات عن قريش فوقفا مع شيخ كبير يقال له سفيان ، وسأله الرسول صلى الله عليه وسلم عن قريش وعن ـ محمد ـ منكرا نفسه من الرجل ـ فقال له بلغني أن محمدا وأصحابه خرجوا في يوم كذا فإن صدق الذى أخبرني به ، فهو اليوم بمكان كذا ، وبلغني أن قريشا خرجوا يوم كذا ، فإن صدق الذي أخبرني به فهم اليوم بمكان كذا ، ولما كان الموقع الذي قال عنه الشيخ إن محمدا به صحيحا ، فقد علم الرسول صلى الله عليه وسلم أين توجد قريش من كلام الشيخ .

وبعث الرسول صلى الله عليه وسلم بعثة استطلاعية من علي والزبير وسعد إلى بدر يلتمسون الخبر ، فأصابت البعثة غلامين لبني الحجاج وبني العاص ، وسأل الرسول الغلامين « كم ينحرون كل يوم » ؟ قالا : يوما تسعا ويوما عشرا ، فعرف الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك أن عدد قريش يتردد بين التسعمائة والألف (١) .

وبعث الرسول صلى الله عليه وسلم يوم أحد أنسا ومونسا ابني فضالة ، فأخبراه بحالة المشركين ثم بعث الحباب بن المنذر بن الجموح وعاد بمعلومات لا تختلف عما أرسله العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتابه الذي أبلغه فيه نبأ تحرك قريش إليه .

وكانت بعثة سلمة بن سلام هي البعثة الثالثة للاستطلاع في هذه الغزوة ، وأبلغت هذه البعثة الرسول صلى الله عليه وسلم أن طليعة قريش قد قاربت المدينة (٢) .

---

(١) امتاع الاسماع ص/٧٦ ، ٧٧ (٢) بتصرف من امتاع الاسماع

وعندما بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم أن خالد بن نبيح الهذلى يجمع الناس في موطنه (عرنه) ليغزو بهم بعث الرسول صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أنيس ليستطلع الأمر ، فسار عبد الله الى هناك حيث التقى بخالد ودار بينهما حديث عرف منه عبد الله أن خالدا ينوي مهاجمة الرسول صلى الله عليه وسلم فراوغه ثم فاجأه ، وقتله (١) .

نمي إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بني قريظة قد نقضوا العهد ، فأرسل سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وعبد الله بن رواحة ، وخوات بن جبير قال : انطلقوا حتى تأتوا هؤلاء القوم فتنظروا أحقا ما بلغنا عنهم فان كان حقا فالحنوا لي لحنا أعرفه ، ولا تفتوا في أعضاد المسلمين ، وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس ، فذهبوا وعرفوا غدر القوم وجاءوا ولحنوا للنبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين (٢) .

(د) اتخاذ الأدلة والتحول الى الطرق الآمنة :

من فن القيادة الواعية البصيرة أن تسلك في سيرها بالجيش طرقا بعيدة عن المخاطر والمهالك ، وتتجنب الدروب التى تجعل الجيش خاضعا لتصرفات العدو أو هجماته .

وقد حاول الرسول صلى الله عليه وسلم أن يهتدي بأهل الخبرة والرجل الخريت فى معرفة الطرق ، وسلوك ما يصلح له منها ، ويمنح الجيش الأمن والسلامة .

---

(١) بتصرف من امتاع الاسماع

(٢) سيرة بن كثير ـ ج٣ ص/١٩٩ ، ٢٠٠

ففي آلهجرة اتخذ عبد الله بن أريقط دليلا يدله على المسالك والطرق ، وأوصى النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد أن يتخذ الأدلة حينما ولاه الجيش المتجه لغزو الروم ، ومن وصاياه أيضا له أن يقدم أمامه العيون والطلائع .

ولما ذهب الجيش إلى خيبر ،كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يجهلون هذه المنطقة ولا يعرفون شيئا عن طرقها ولا عن طبيعة البلاد التي سيمرون عليها لهذا فقد استعانوا بأدلاء أهل خبرة حتى وصل الجيش إلى خيبر آمنا .

من هؤلاء الأدلاء الذين اختارهم النبي صلى الله عليه وسلم القائد حسيل بن خارجه وعبد الله بن نعيم ، وكلاهما من قبيلة أشجع النجدية التي يرتاد رجالها دائما في الجاهلية منطقة خيبر (١) .

وفي يوم أحد قال صلى الله عليه وسلم : هل من رجل يخرج بنا من كثب ، من طريق لا تمر بنا عليهم ، فقال أبو خيثمة أنا يا رسول الله . فأخذ يسير فنفذ في حرة بن حارثه ، وبين أموالهم ، حتى سلك بهم في مال لمربع بن قيظي ، وكان رجلا منافقا ضريرا . فلما سمع حس رسول الله ـ فقام يحث في وجوههم التراب . .

الى أن قال صلى الله عليه وسلم : فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصيرة (٢) .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية ، حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان

---

(١) باشميل / خيبر ص/١١١

(٢) البخارى ومسلم

الكعبي . فقال يا رسول الله ، هذه قريش قد سمعت مسيرك ، فخرجوا معهم العوذ (١) المطافيل . قد لبسوا جلود النمور ، وقد نزلوا بذي طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا . .

ثم قال صلى الله عليه وسلم : من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها ؟ . قال رجل من أسلم : أنا يا رسول الله ، فسلك بهم طريقا وعرا أجرد (٢) بين شعاب فلما خرجوا منه ، وقد شق ذلك على المسلمين ، فأفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي . قال رسول الله : قولوا نستغفر الله ، ونتوب اليه ، فقالوا ذلك ، فقال ، والله إنها للحطة التي عرضت على بني اسرائيل فلم يقدموها (٣) .

وحينما أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم أبا سلمة إلى بني أسد أمره بالسير ليلا ، والاستخفاء نهارا ، وسلوك طريق غير مطروقة حتى لا يعرف عدوهم . . بمسيره إليهم ، ولا يطلع على تحركاته أي فرد من أفراد العدو (٤) .

(هـ) الحراسة :

الرسول صلى الله عليه وسلم كقائد للجيش الاسلامي ، وكمسئول عن حماية المجتمع في المدينة اهتم اهتماما كبيرا بموضوع الحراسة . واتخذ الأهبة

---

(١) العوذ المطافيل : النوق ذوات اللبن معها اولادها . وهى كناية عن النساء معها الأطفال .

(٢) كثيرة الحجارة .

(٣) ابن كثير ص/ ٣١٤ (٤) الامتاع ص/ ١٧٠

والاستعدادات اللازمة لذلك ، خوفا من هجمات العدو وتحسبا لانقضاضاته التي ينزلها على غرة من المسلمين . فلو اقتضى الأمر أن يقوم هو بنفس هذه المهمة ، مهمة الحراسة لقام بها وهو القائد المشغول بكل قضايا الجيش واحتياجاته . ومتطلباته وتموينه إلى غير ذلك من الأمور الحينية .

ففي يوم أحد استعمل على الحرس محمد بن سلمة في خمسين رجلا يطوفون بالعسكر . وقال صلى الله عليه وسلم حين صلى العشاء من يحفظنا الليلة ؟ فقام ذكوان بن عبد قيس فلبس درعه ، وأخذ درقته ، فكان يطيف بالعسكر ليلته (١) .

وفي يوم الخندق كان صلى الله عليه وسلم يختلف إلى ثلمة في الخندق يحرسها ، فاذا آذاه البرد دخل بيته ، فأد فأته عائشة . . فاذا دفئ خرج إلى تلك الثلمة يحرسها (٢) .

وكان يهتم بحراسة المدينة عندما يخرج في غزوة من الغزوات ، فكان يقيم حرسا قبل أن يتحرك حتى لا تفاجأ المدينة بوجود الأعداء فيها . ففي ذهابه إلى ابن عينية سنة ست من الهجرة ، أقام سعد بن عبادة في ثلاثمائه من قومه ـ يحرسون المدينة خمس ليال حتى يرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته (٣) .

وفي الحديبية كانت الحراسة مناوبة بين ثلاثة من المسلمين من بينهم محمد بن مسلمه الذى ظفر بخمسين

---

(١) امتاع الاسماع ص/١١٩
(٢) امتاع الاسماع ص/٢٢٩
(٣) امتاع الاسماع ص/٢٦٣

رجلا من قريش ، خرجوا ليصيبوا غرة من المسلمين فجاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقي الخمسون حتى بعثت قريش بعثمان وعشرة معه من المهاجرين (١) .

ولما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طريق العيون بمجيء قريش يوم اخد أمر صلى الله عليه وسلم بحراسة المدينة حراسة قوية ، وبات سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة وعليهم السلاح في المسجد بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) وقد يكون في جيش المسلمين حراسة على الحراسة زيادة في الأمن واحتياطا للأمر ، وابعادا للعدو .

وكان صلى الله عليه وسلم استعمل على حرسه بتبوك عباد بن بشر ، وكان يطوف في أصحابه بالعسكر مدة اقامته صلى الله عليه وسلم فسمع صوت تكبير من ورائهم في ليلة . فاذا هو سلطان بن سلامة ، خرج في عشرة على خيولهم يحرسون الحرس فقال صلى الله عليه وسلم رحم الله حرس الحرس في سبيل الله فلك قيراط من الأجر على من حرستم من الناس جميعا أو دابة (٣) .

المظهر الثالث ـ السرايا ومهمتها

من الأمور العظيمة التى قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن استقر في المدينة ـ وعلى رأس سبعة أشهر من تمام هجرته ـ أرسال البعوث والسرايا إلى أماكن متعددة وكانت أعداد هذه السرايا مختلفة ، فقد تزيد حتى

---

(١) امتاع الاسماع ص/ ٢٩٠
(٢) امتاع الاسماع ص/ ٤٧٠
(٣) امتاع الاسماع ص/ ٤٧

تصل إلى ثلاثمائة ، وقد تقل حتى يصل عددها إلى ستة نفر من المسلمين .

وهذه السرايا كان لها أغراض كثيرة متعددة ، من هذه الأغراض اظهار المسلمين بمظهر القوة والمنعة ، وأنهم أصبحوا يتحركون هنا وهناك ، وقد أمدهم الله بالقوة والعون . . ولابد أن تعلم قريش بهذا التغيير الذي طرأ على الجماعة المسلمة بعد هجرتهم ، فقد بدلهم الله من ضعف الى قوة ، ومن قلة إلى كثرة ومن فقر إلى غنى ، ومن تحمل للعذاب والصبر عليه وعدم مقاومة الظلم والبغض ، إلى اذن بالقتال وحرب هؤلاء المشركين الذين أخرجوهم من ديارهم وأموالهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله .

وهذه السرايا التي أرسلها الرسول صلى الله عليه وسلم أخذت تجوب الجزيرة هنا وهناك تتعرف على الأرض وعلى الشعاب وعلى مواطن القبائل المتفرقة ، وعلى القوة التى تتمتع بها هذه القبائل .

فبعد أن كان الرسول يعرض نفسه في مكة وفي المواسم وفي الأسواق على الناس ليحموه حتى يبلغ دعوة الله أصبح معه أتباع وأصحاب كرام يحملون التبعة معه ويجوبون هذه المناطق معه مرة ، ووحدهم مرة أخرى .

وكانت هناك سرايا مهمتها الدعوة إلى الله ، يتضح ذلك من حادثة بئر معونة ويوم الرجيع . فقد ذكر ابن هشام عن ابن اسحاق ــ قال : حدثنا عاصم بن عمرو عن قتادة قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من عضل والقارة . فقالوا يا رسول الله ان فينا اسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك . يفقهوننا في الديـــن ، ويعرفوننا القرآن ، ويعلموننا شرائع الاسلام فبعث رسول

الله صلى الله عليه وسلم معهم نفرا ستة ـ يقول ابن اسحاق ، فخرجوا مع القوم حتى اذا كانوا على الرجيع . . غدروا بهم ، فاستنصروا عليهم هذيلا فلم يرع القوم وهم في رحالهم الا الرجال بأيديهم السيوف . . وكانت النهاية أنهم قتلوا ثلاثة ، وأسروا ثلاثة ، وقتل واحد من الثلاثة في الطريق الى مكة والاثنان ـ زيد وخبيب ـ قتلتهما قريش بعد الحبس والتعذيب في مكة (١) .

وحادثة بئر معونة لا تختلف عن هذه غدرا وخيانة ، وذلك أن عامر بن مالك بعد أن عرض عليه الرسول الاسلام فلم يسلم ولم يبعد ، قال : يا محمد لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك . فبعث أربعين رجلا ، فكانت نهايتهم الغدر ، واستشهدوا جميعا ، ولم يبق منهم الا كعب بن زيد ، فانهم تركوه وبه رمق وعاش حتى قتل يوم الخندق وعمرو بن أمية الضمري ، وأنصاري كانا في سرح القوم ، فقتل الانصاري وذهب عمر بن أمية واخبر الرسول بقصتهم وما حدث لهم (٢) .

وبعض هذه السرايا التي تتصل بقريش من قريب أو بعيد في لقاء حربي ، أو لقاء بدون حرب من شأنها أن تعرف شيئا عن المسلمين المستضعفين في مكة أو الذين لم يستطيعوا الخروج مهاجرين ، ويتحينون أقرب فرصة يخرجون فيها إلى المدينة .

فكان من هؤلاء المؤمنين الموجودين في مكة من يخرج في متاجر قريش عساهم أن يجدوا سبيلا لأن يلحقوا

---

(١) سيرة ابن هشام ج٣ ـ ص/١٢٥

(٢) بتصرف من سيرة بن كثير ج٣ ص/١٤١ ـ ١٤٢

بالمؤمنين اذا كانت الهجرة فاتتهم عند خروج النبي صلى الله عليه وسلم فانها لن تفوتهم من بعد . فقد حدث عند التقاء سرية عبيدة بن الحارس بن عبد المطلب بعير قريش . التي انصرف الفريقان فيها ، ولم يتقاتلا ، أن فر من القرشيين الى المسلمين المقداد بن عمرو البهرائي حليف بني زهرة ، وعتبة بن غزوان بن جابر المازني وكانا مسلمين ، ولكنهما توصلا بالكفار إلى المسلمين ليأمنا الايذاء (١) .

وكان من مهمة هذه السرايا تأديب بعض القبائل التي اشتركت مع قريش في حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، كما فعل بنو أسد ، فقد اشتركوا مع قريش يوم الأحزاب فبعث الرسول صلى الله عليه وسلم رجلا من بني أسد وهو عكاشة بن محصن اليهم ولكنه لم يجدهم حيث قد ارتفعوا الى أعالي الجبال ، فاستاق إبلا لبعضهم عاد بها الى المدينة .

ولتأديب بعض القبائل التي اعتدت على الدعاة ، وقتلوهم كما حدث في بئر معونة وقد خرج الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه لتأديب بني لحيان الذين قاموا بهذه الفعلة الشنعاء ولتأديب القبيلة التي اعتدت على (دحية بن خليفة الكلبي) مبعوث الرسول صلى الله عليه وسلم الى قيصر بعد عودته ، فسلبوا كل ما معه ولم يبقوا عليه إلا ثوبا خلقا .

وهناك بعض الشخصيات قامت بايذاء النبي صلى الله عليه وسلم والتعرض له بكل قول قبيح أو تأليب القبائل على المسلمين وشر هؤلاء لن يقف عند حد ، وهم حجر عثرة

---

(١) أبو زهرة – ج٢ ص/٤٨

في تبليغ دعوة الله واذا بقوا فسيزدادون عتوا وفسادا ، ولابد من مؤاخذتهم من قريب فاتجهت بعض السرايا للتخلص من (ابن عتك) اليهودي . وسرية لقتل (كعب بن الأشرف) وسرية عبد الله بن عتيك لقتل مؤلب الاحزاب (ابي رافع) اليهودي .

يقول الشيخ الغزالي مبينا الحكمة من هذه السرايا في كتابه فقه السيرة والحكمة تتلخص في أمرين :

أولهما : إشعار مشركي يثرب ويهودها وأعراب البادية الضاربين حولها بأن المسلمين أقوياء ، وأنهم تخلصوا من ضعفهم القديم . . ومن حق المسلمين أن يعنوا بهذه المظاهرات العسكرية على ضآلة شأنها ، فان التربص بالاسلام في المدينة كثر ، ولن يصدهم عن النيل منه إلا الخوف وحده .

والأمر الثاني : من حكمة بعث السرايا ـ انذار قريش عقبى طيشها ، فقد حاربت الاسلام ، ولا تزال تحاربه ، ونكلت بالمسلمين في مكة ، ثم ظلت ماضية في غيها . فأحب الرسول صلى الله عليه وسلم ان يشعر حكام مكة بأن هذه الخطة ستلحق بهم الأضرار الفادحة ؛ وانه قد مضى الى غير عودة ـ ذلك العصر الذي كانوا يعتدون فيه على المؤمنين وهم بمأمن من القصاص (١) .

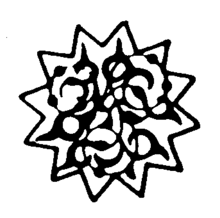
ويقول الشيخ أبو زهرة في كتابه خاتم النبيين « ولكن هذه السرايا كانت لمناهضة زعماء قريش ، اذ كانوا أصحاب المتاجر التي تحملها العير من وقت لآخر . ولأن اولئك الزعماء أخرجوا المؤمنين من ديارهم ، واموالهم ، فكان

---

(١) فقه السيرة ص/٢٢٨ ـ ٢٢٩

حقا على هؤلاء أن يعاملوا الذين أخرجوهم من أموالهم معاملة بالمثل . أو ليأخذوا مقابلا لبعض ما أخذوه ، وليذيقوا أولئك الزعماء وبال ما صنعوا » .

ويقول « وكانت هذه السرايا الأولى في السنة الأولى من الهجرة اشعارا لهم بأن الاسلام قد امده الله تعالى بالقوة ليرهبوه ، ما داموا لم يسالموه بل انهم لم يرغبوه ، وكذلك كانت غزواته الأولى في الأبواء والعشيرة وغطفان ، وبدر الأولى فقد كانت خالية من القتل والقتال بل كانت لهذا الاشعار (١) .



---

(١) أبو زهرة – ج ٢ ص/٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤

خاتمة

ان أهم ما يراد من دراسة هذه السيرة العطرة والسنة المطهرة هو اظهار الأخلاق التي كان عليها المصطفى صلى الله عليه وسلم وبيان عظيم سلوكه ، وتوضيح مواقفه الخالدة ، وشرح أعماله المجيدة وانجازاته المتعددة في الميادين المختلفة .

وأن أعظم ما يجتنى من وراء هذه الأبحاث ، ابراز خصائص الشخصية المحمدية بكامل مقوماتها ، وما كان لها ، وايجاد ــ أو المحاولة الصادقة لا يجاد ــ لبنات مؤمنة صالحة نقية ، طاهرة ونماذج رفيعة وأمثلة حية تصطحب النبي صلى الله عليه وسلم في كل شأن من شئونها ، وترجع اليه في كل أمر من أمورها ، تحيا مع الأنفاس الربانية ، وتعيش مع وحي السماء متمثلة في حياتها أخلاقه ، وأعماله وتصرفاته وسلوكه ، وكل أنماط حياته .

هذا هو الدور الهام الذي تقع تبعاته على كل فرد مسلم صاحب رأي أو صاحب كلمة ، أو صاحب قلم أو صاحب ادارة مسئول رسمي ، أو غير رسمي .

أن أهم عمل قام به صاحب هذه السيرة العطرة صلى الله عليه وسلم هو ايجاد جيل واع مؤمن بصير ، أعده صلوات الله وسلامة عليه للاعطاء والبذل والتضحية بالمال والنفس والنفيس والوقت ، من أجل هذا الاسلام . .

فلما وجد هذا الجبل اعتدل ميزان العالم وتبدلت صفحته ، وتحولت معالمه ، لأن النفس البشرية قد تغيرت وتحولت ، ونظر الانسان الى السماء .

الرسول صلى الله عليه وسلم اختاره ربه واصطفاه واجتباه من بين خلقه ليبلغ رسالات الله عز وجل « انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله بأذنه وسراجا منيرا ، وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا » (١) .

ومع هذا الاصطفاء فهو بشر يتعامل مع الناس بأسلوب البشر في كل أموره وجميع شئونه ، وأكد القرآن هذه المسألة ، قال تعالى : « قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي » (٢) . وأكدها النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديثه قال : لا تطروني كما أطرت النصارى أبن مريم ، فانما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله « البخاري » .

الرسول قدوة :

ورسولنا صلى الله عليه وسلم قدوة للناس جميعا الى أن تقوم الساعة قال تعالى « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة (٣) فأخلاقه بلغت حد الاعجاز لأنها أخلاق القرآن الكريم ، والقرآن الكريم معجز ، فكذلك أخلاق المصطفى فيها الأعجاز فهو الخلق الكامل ، والأدب الكامل ، صلى الله عليه وسلم ، وليس هناك مقارنة بينه وبين الأنبياء .

(١) آية ٤٥ ـ ٤٧ الأحزاب (٢) آية ١١٠ الكهف

(٣) آية ٢١ الأحزاب

السلام هو القاعدة ـ هو الأصل في الاسلام ، فجميع عقائد الاسلام وتشريعاته ، وقوانينه وعباداته وأخلاقه ، تحقق السلام وتحميه « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوان سبل السلام (١) .

والاسلام مشتق من السلام ، ومن أسماء الله الحسنى السلام ، اذا السلم في الاسلام هو القاعدة . والحرب ضرورة لتحقيق :

١ ـ أن تكون كلمة الله هي العليا ، على معنى أن يصل هذا الخير للناس جميعا ، فاذا وجد من يمنع ذلك ويحول بين الناس والاسلام ، فلابد من ازالة هذا الطاغوت . فإن توليت فإنما عليك إثم الاريسيين)

٢ ـ الأثر الثاني لتحقيق العدالة في الأرض وردع أهل البغي والظلم ولو كانوا مسلمين وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين (٢) .

٣ ـ الأثر الثالث دفع العدوان ـ والدفاع عن الحقوق حتى يتمتع كل انسان بالأمن والاستقرار قال تعالى : «ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، الذين يقولون ربنا أخرجنا

---

(١) جزء من آية ١٥ ، ١٦ المائدة

(٢) آية ٩ الحجرات

من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا » (١) .

رد فرية

ليس من مبادئ الاسلام أن يكره أحدا على الدخول فيه بعد قوله تعالى « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » (٢) وقوله « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » (٣) والمكره عمله في الاسلام لا يعتد به ، ثم المكره لا يصلح لأي عمل ، وخاصة اذا اكره على عقيدة يرفضها وأكبر شاهد على عدم الاكراه بقاء الملايين من المسيحيين وغيرهم في طول بلاد الاسلام وعرضها بل حمتهم الدولة الاسلامية ، ودافعت عنهم وقدمت لهم ما يحتاجون اليه في معايشهم .

استراتيجية الرسول العامة

والحديث عن الخطة ينحصر في أمرين : الهدف المقصود ، والوسائل المقترحة للوصول الى الهدف ، فالهدف عند رسول الله ، العمل على أن تكون كلمة الله هي العليا . . وأعداء الاسلام كثر :

١ ـ قريش والقبائل الأخرى .
٢ ـ اليهود في المدينة وخيبر .
٣ ـ أهل الكفر حول الجزيرة العربية .

والرسول وضع خطته للقضاء على قريش أولا ـ للأسباب الآتية : ـ

---

(١) آية ٥ النساء (٢) آية ٢٥٦ البقرة (٣) آية ٩٩ يونس

١ ـ لأنها تحمي الشرك .
٢ ـ ولأنها زعيمة العرب يتبعها غيرها من القبائل حول البيت الحرام .
٣ ـ قريش بادرت الرسول بالعداء فمحاربة قريش للقضاء على سلطانها وليدخل العرب في الاسلام فكانت الغزوات مع قريش ، ولم يذهب للعمرة الا بعد أن تطهرت المدينة من اليهود ، وعقد الصلح مع قريش مخافة أن تدخل خيبر الى المدينة عند اشتغاله بحرب قريش ولكنه ذهب الى خيبر وقضى على قوتها .

الاعداد للمعركة

أعد النبي ﷺ المؤمنين اعدادا معنويا وذلك عن طريق الايمان بالله وأنه مالك الملك والايمان بقدر الله ، وأعدهم بالايمان برسالتهم وقدسيتها . وأعدهم بالايمان بنصر الله ، وأن المسلم يستطيع أن يقدم بالصراع بين الحق والباطل برهان صدق (أحسب الناس أن يتركو أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) (١) ومن أنواع الاعداد التربية التي قام بها الرسول وراض قلوبهم عليها بأنواع العبادات (يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة) (٢) وأعدهم أثناء المعركة بالترغيب في الجنة ، ومن الاعداد المعنوي الدعاء ، وهو وسيلة لرفع الروح المعنوية ، والدعاء مخ العبادة .

وقام الرسول بتحطيم الروح المعنوية للعدو كوجود الجيش في الصباح عند خيبر وكايقاد النار في الحديبية ويوم

---

(١) آية ٢ : العنكبوت (٢) آية ١٥٣ : البقرة

الفتح ، وكايقاف أبى سفيان في مضيق الوادى ليشاهد جيش المسلمين ، ومن الاعداد المعنوي التفاؤل والأمل في نصر الله وذلك حينما كان يضرب الصخرات يوم الخندق فيفتتها ، ويذكر لهم أن الاسلام سيصل الى فارس والروم واليمن . وهناك الاعداد المادي : فقد أعد شخصية المسلم بالحفاظ على صحته وبالتدريب على الرمي ، ثم حصل على السلاح بكل وسيلة : حصل عليه من بني النضير وبني قينقاع وخيبر ، واستعمل المنجنيق والدبابات ، واستعار دروعا من صفوان بن أمية ، وقد استعد بالاعداد المادي كما طلب القرآن في قوله (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) الأنفال : ٦٠ .

ومن الاعداد المادى المعنوي ، مشاورة النبي للمسلمين في كل شأن من شئون الجهاد وصلة الرسول بجنده مبنية على الحب ، فحب الرسول القائد ملك عليهم كل شيء فهو أحب اليهم من أولادهم وآبائهم وأزواجهم بل من أنفسهم ، وبهذا قدموا أنفسهم رخيصة في سبيل الله .

وعمل الرسول ﷺ أثناء الحرب على تفتيت قوة العدو ، فانه قال لنعيم بن مسعود خذل عنا ، وحال بين غطفان وخيبر حينما صبح خيبر بالخميس ، ولم تستطع غطفان أن تناصر اليهود .

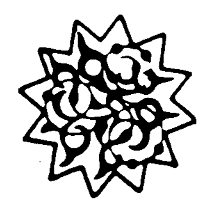
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حازما وسريعا في مواجهة المشاكل الطارئة ، وذلك حينما دعا المسلمين للخروج الى حمراء الأسد ، وقضى على فتنة عبد الله بن أبي بن سلول حينما قال مقالته في المسلمين .

وهناك مظاهر لعبقرية الرسول في الميدان وقبله :

المظهر الأول : يتضح هذا في تنظيم الجيش وترتيبه ووقوفه صفوفا منتظمة والانضباط ويتضح ذلك في الانضباط الذى ظهر واضحا يوم الفتح ودخل جيش الاسلام الى مكة بعد حروب طاحنة .

المظهر الثاني : يتجلى في الكتمان والسرية ، وكذلك في العيون التي كان يرسلها ثم في الطلائع التي كانت تتقدم الجيش ، ثم في اتخاذ الأدلة وتغيير الطرق المعروفة ، ومن الأمور التي كان يقوم بها حتى بنفسه الحراسة .

المظهر الثالث : السرايا المتعددة التي جابت هنا وهنالك لأهداف شتى ومقاصد كثيرة .



توصيات ومقترحات

١ ـ دراسات للسيرة النبوية في ضوء القرآن الكريم .
٢ ـ تحقيق الروايات التي بها تضارب كما جاء في بعض كتب السيرة وبيان الصحيح منها .
٣ ـ ايجاد مرجع شامل وموثوق به لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم .
٤ ـ دراسات تحليلية للسيرة العطرة .
٥ ـ ايجاد مرجع شامل دقيق لسيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .
٦ ـ ايجاد كراس في الجامعات الاسلامية لدراسة السيرة دراسة تخصصية .
٧ ـ اعداد دراسات واعية لرد كل المفتريات التي أوردها المستشرقون والملحدون وغيرهم من سب النبي صلى الله عليه وسلم والأصحاب الأطهار .

عبد اللطيف زايد

فهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

البحث الثاني : الجانب العسكري من حياة الرسول ﷺ .

اللواءُ الركن : محمد جمال الدين علي محفوظ

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة


مطابع قطر الوطنية
☎ ٢٣٦٨٠ ✉ ٣٥٥ ـ الدوحة ـ قطر